كِتَابُ البُرْهَان

وَكتَابُ المسَائِل وَالأَجوبَة

Apologie et Controverses

Muhammadanism.org
October 19, 2009
Arabic

عمّار البصري

‘Ammār al-Baṣrī

عمّار البصري

كِتَابُ البُرْهَان
وَكتَابُ المسَائِل وَالأَجوبَة

حَقّقه وقَدّم لَهُ

ميشَال الحَايك

دار المشرق

ص. ب: ٩٤٦، بَيروت ــ لبنان

١٩٧٧

ISBN 2-7214-5602-4

[Blank Page]

فهرس الكِتَاب

صفحة

مقدمة ٧
كِتَاب البُرْهَان ١٩
المحتويات ٢٠
في إثبات وجود الله ٢١
الدلائل على الدين الحق ٢٤
أسباب قبول النصرانية ٣٢
دفع شبهة التحريف ٤١
الكلام في التثليث ٤٦
القول في الاتحاد ٥٦
إثبات التجسد ٦٢
القول في الصلب ٧٩
القول في المعمودية ٨١
القول في القربان ٨٤
الكلام على الصليب ٨٧
الكلام في الأكل والشرب في الآخرة ٨٨
كتَاب المسَائِل وَالأجوبَة ٩١
المحتويات ٩٢
المقالة الأولى: في تثبيت قدم الله ووحدانيته وإثبات حدوث العالم. وفيه ثمانية وعشرون مسألة ٩٣
الفن الثاني: في تثبيت الإنجيل المقدس. وهو أربعة عشر مسألة ١٢٨
الفن الثالث: في تثبيت وحدانية الخالق بثلثة أقانيم. وهو تسع مسائل ١٤٨
المقالة الرابعة: في سبب تجسد الكلمة وما يتبعه، في الاتحاد والموت والبعث. وهو إحدى وخمسون مسألة ١٧٨
ملحق تصحيحي ٢٦٦

[Blank Page]

مقدّمَة

عمّار البصري اسم مجهول المسمى. لا نعرف عنه إلا ما سلم له من هذين الأثرين: «كِتَاب البُرْهَان» و«كتَاب المسَائِل وَالأجوبَة»، في مخطوطة يتيمة محفوظة في مكتبة المتحف البريطاني تحت رقم ٨٠١ من المخطوطات العربية.

والكتابان هما من جملة الآثار المسيحية التي سلمت من التلف على يد الاقباط. فالناسخ قبطي خطّهما عام ١٢٩٨ في الجودرية وهي حيّ من أحياء القاهرة. وأبو البركات القبطي حفظ لنا، في سلسلته للكتبة النصارى بالعربية، عنوان الكتابين، فعرفنا أن المؤلَّف الأول لا يُدعى «كتاب الأمانة» على ما ورد في المخطوطة البريطانية اعتباطاً[٢]، بل «كِتَاب البُرْهَان على سياقة التدبير الإلهي»، وان «كتَاب المسَائِل وَالأجوبَة» يُقسم إلى أربع مقالات من مائة ومسألتين، تتضمن الأولى ٢٨ مسألة، والثانية ١٤، والثالثة ٩، والرابعة ٥١ [٣]. وأبناء العسال الأقباط أدركوا قيمة عمّار البصري: فابو اسحق بن العسّال ذكره في «مجموع أصول الدين»[٤] مغدقاً عليه نعوت التعظيم؛ والأسعد أبو الفرج ابن

---

١. هذه المقدمة هي مختصر لما ورد في مقدمتنا الفرنسية من شروح يجب الرجوع إليها.

٢. راجع أدناه ص ٢١، الحاشية ٢.

٣. راجع السمعاني، المكتبة الشرقية *Bibliotheca Orientalis*، الجزء الثالث، القسم الأول، ص ٦٠٨ ــ ٦٠٩؛ وأبا البركات، مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة، طبعة سمير خليل، القاهرة ١٩٧١، ص ٢٩٨.

٤. مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس (عربي)، رقم ٢٠٠، ورقة ١١.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

العسال ذكره في مقالته عن النفس التي كتبها سنة ١٢٣١ [١]. والصفي أبو الفضائل ابن العسال اختصر الكتابين «مع تهذيب وزيادة لاحت في أثناء الاختصار وميل عن الرأي النسطوري وليس إلى ما يناقضه بل إلى ما يجوز للفرَق الثلاث القول به» [٢].

ولكن ما من أحد أفادنا جديداً عن شخصية عمّار البصري ولا عن ظروف مكانه وزمانه وحياته وأثاره الأخرى.

اسمه مشكلة. أتراه حقيقياً أم مستعاراً للتضليل لئلا يُعرَف صاحبه. ولكن ما للغاية من التخفي؟ أتراها الخشية على النفس من هول السلطان إذا سُبّ الرسول. ولكن عمّار لا يعرف السباب، بل كل ما جاء في كلامه رفيعُ المستوى لا ينحطّ مرة، ولو في حدّة الجدل، إلى القدح أو التعريض الذميم، إلا إذا افترضنا أن الصفحات من «كِتَاب البُرْهَان» [٣]، وفيها كلامه عن نشأة الإسلام ونبيّه، كانت تحمل شتيمة. ولكنه افتراض باطل.

لنقل ان عمّار اسمه الحقيقي. والبصري نسبة إلى البصرة، وهي مدينة شهيرة بموقعها على الفرات الساحلي حيث تلتقي الصحراء بالسهل الخصيب وتتشابك طرق المواصلات الآتية إلى شط العرب من بلاد ما بين النهرين وفارس والحجاز. أسسها عتبة بن غزوان على انقاض «الخريبة» الفارسية، على مقربة من وهنام اردشير التي كان النساطرة يسمونها فرات ميشان، وهي مركز اسقفي مشهور عندهم منذ أوائل القرن الثالث. وبعد أن أخذ عتبة فرات ميشان عنوةً وخرب معظمها حلّت البصرة محلّها وبلغت شأناً عظيماً في القرون الثلاثة الأولى للهجرة؛ فمن هناك انطلق النحو العربي على يد سيبويه والخليل بن أحمد وهناك نشأت ونمت المعتزلة على يد واصل بن عطاء وأبي الهذيل العلاّف والنظّام، وتأسست الطريقة

---

١. مخطوطة الفاتيكان (القسم العربي)، رقم ١٤٥، ورقة ٢ شمالاً.

٢. مخطوطة دير الشرفه (لبنان)، رقم ٥/ ٤؛ «كِتَاب البُرْهَان» من الورقة ٩٧ يميناً إلى الورقة ١٣٤ شمالاً؛ و«كتَاب المسَائِل وَالأجوبَة» من الورقة ١٣٥ يميناً إلى الورقة ١٨١ شمالاً؛ يقول الصفي ابن العسال أنه اشترى الكتابين في القاهرة سنة ١٢٤١؛ وقد كان يصح الاعتماد على هذا المختصر (القرن الرابع عشر) أكثر مما صنعنا، لو لم تتخلله أسطر عديدة بيضاء ولو لم يكن بحالة سيئة.

٣. انظر أدناه ص ٣١.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الصوفية التي أوضحها الحسن البصري؛ والبصرة هي أيضاً بلد التجديد الشعري مع بشّار بن برد وأبي نواس، والتجديد النثري مع ابن المقفّع وسهل بن هارون والجاحظ، مع ما لها من تأثير على نشوء الفقه والحديث والفِرَق في الإسلام.

وعند النساطرة يرد اسم البصرة في القوانين التي سنّها البطريرك تيموتاوس الشهير عام ٧٩٠ حيث يفرض أن يكون اسقف البصرة من يجب أن ينقل إليه النعي، أثر وفاة كل بطريرك، حالاً بعد اسقف عيلام. والبطريرك تيموتاوس (٧٨٠ ــ ٧٢٣)، مَن كانت له مع الخليفة المهدي (٧٧٥ ــ ٧٨٥) مجالس دينية شهيرة[١]، هو الذي أرسل إلى الجماعة المسيحية في البصرة رسائل إضافية ترشدهم في القضايا اللاهوتية التي يمكن أن تعرض لهم في مناظراتهم الدينية مع المسلمين. وفي هذه الرسائل بعض ما نجده في مؤلّفات عمّار البصري.

فإذا صحّ أن مؤلّفنا هو بصري وان عمّار اسمه العالمي، فهل وراء هذا اللقب اسم كنسي يحجب وجه أحد أحبار الكنيسة النسطورية؟ لا يمكن الأخذ بهذا الافتراض دون أن تثبت لنا فيه حجة سوى أن الرجل متمرّس بعلم اللاهوت محنّك بالمنطق الاغريقي، عارف بأدق دقائق قضايا الدين. وقد يكون في كلامه عن ان الله لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، «وان الواحد منا ليرفّع نفسه عن ذلك»، إشارة إلى أنه من جماعة المتبتّلين. ولكننا لا نعرف في عصره شخصية نسطورية بارزة تصح ان ينسب إليها الكتاب، فلا هو البطريرك تيموتاوس الذي توفي عام ٨٢٣، ولا هو حنين بن اسحق بسبب بعض التباين الفكري بين الاثنين. أتراه أبو نوح الانباري صاحب «تفنيد القرآن»، و«مقالة في التوحيد» و«مقالة في التثليث»[٢]؟ ولكن لِمَ يكون أبو نوح أخفى شخصه تحت اسم مستعار؟

المكان: البصرة. أما الزمان؟ في الكتابين إشارات نستقرئها، فنستمد منها

---

١. نشر شيخو هذه «المجالس» في المشرق ١٩٢١، ص ٣٥٩ ــ ٣٧٤، ٤٠٨ ــ ٤١٨؛ ثم جمعها في كتابه «ثلث مقالات»، بيروت ١٩٢٣، ص ١ ــ ٢٣.

٢. ذكرها بولس سباط في ملحق كتابه «الفهرس»، القاهرة ١٩٤٠، تحت عدد ٢٥٣٠، ٢٥٣١، ٢٥٣٢، ولا يعلم أحد ما صارت إليه هذه المخطوطات الثمينة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حجة قاطعة لتحديد زمن عمّار أدرجه غراف في موسوعته خطأً بين الجيل الحادي عشر والثالث عشر[١].

أول إشارة هي مقدمة «كتَاب المسَائِل وَالأجوبَة» حيث يشيد بأمير المؤمنين الذي جمع شمل المسلمين وتصفّح آراءهم وانصف بينهم واجتهد في تعزيز الدين، وكلّف عمّار بالردّ على الحائدين عن الحق. وكل ذلك لا يعني شيئاً ولا يثبت ان المؤلّف «أنهى كتابه إلى أمير المؤمنين»، بل هو أسلوب شائع مصطنع. وعلى كل حال فاننا لا نستطيع، من وراء هذه الاعتبارات التمهيدية، أن نتميز وجه واحد من الخلفاء.

والإشارة الثانية هي فقرة «كِتَاب البُرْهَان» ورد فيها ذكر «رجلٍ من الملوك في دهرنا أنه رحل عن مملكته بجميع جنده إلى الروم في طلب امرأة من بعض الحصون»[٢]. وفي اعتقادنا أن هذا الملك هو الخليفة المعتصم (٨٣٣ ــ ٨٤٢) وان «الامرأة» هي «العلوية» المنسوب إليها استغاثة «وامعتصماه!»، وان «بعض الحصون» هو عمّورية التي فتحها المعتصم سنة ٨٣٨، وفيها قال أبو تمام قصيدته: «السيف أصدق أنباء من الكتب»[٣]... فيكون عمّار كتب سنة فتح عمّورية.

والدليل الثالث هو في صمت عمّار عن العقيدة القائلة بأزلية القرآن؛ فلو كان المسلمون حينذاك يقولون بأن القرآن غير مخلوق، لمَا تردّد عمّار البصري في جدله معهم، كما فعل يوحنا الدمشقي قبله، في أن يعود عليهم بالحجة: إذا كان القرآن غير مخلوق، من حيث هو كلام الله، فالمسيح كلمة الله هو إذاً غير مخلوق. أيصح أن نستنتج من هذا الاغفال أن المناخ الفكري المعاصر هو مناخ المعتزلة، الذين نشأوا في البصرة نفسها وكان لهم فيها عراك مع المذاهب الكلامية المتراوحة بين التشبيه والتعطيل. وفي كتاب «البرهان» إلماح كثير إلى

---

١. G. Graf, *Geschichte der christlichen arabischen Literatur*، الفاتيكان، ١٩٤٧، الجزء الثاني، ص ٢١٠.

٢. راجع أدناه ص ٢٢.

٣. راجع الإيضاح بالنصوص في مقدمتنا الفرنسية، ص ٢٠ ــ ١٩ مع الحواشي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

هذه التيارات والنزعات العقائدية. فيجوز إذاً أن نفترض أن عمّار عاش في زمن المأمون (٨١٣ ــ ٨٣٣) الذي اعتنق مذهب الاعتزال قائلاً بخلق القرآن.

والدليل الأخير الذي يثبت ذلك بحجة قاطعة هو ما ورد في «فهرست» ابن النديم الذي يذكر ان أبا الهذيل العلاّف ألّف «كتاباً على عمّار النصراني في الردّ على النصارى»[١]. وأبو الهذيل العلاّف هذا هو تلميذ واصل بن عطاء أول المعتزلين، وهو أول من طرح، وإن يشكل بدائي مضطرب، أهم المشاكل الفلسفية التي سوف تعمّقها المعتزلة، وناهض بكتاباته الثنوية والمانوية كما فعل عمّار البصري في «كِتَاب البُرْهَان». والعلاّف وُلد بين سنة ٧٥١ و٧٥٣ في البصرة نفسها وتوفي معمّراً في سامرّا بين ٨٤٠ ــ ٨٤١. ولقد هجر البصرة واستقر في بغداد سنة ٨١٨ ــ ٨١٩ [٢]. ومن هناك اطّلع على مقالات عمّار مواطنه وردّ عليها.

لقد ثبت لنا إذاً من كل هذا ان عمّار عاش في زمن المأمون والمعتصم وانه معاصر لأسقفين شهيرين، أبي قره الملكي (توفي بعد ٨٢٥) اسقف حرّان، وأبي رائطة اليعقوبي (توفي بعد ٨٢٩) اسقف تكريت، وكلا الأسقفين ناظرا المسلمين في الشؤون الدينية وتركا لنا أولى الآثار المسيحية العربية في هذا المجال.

هؤلاء المفكرون الثلاثة الذين يمثلون الفِرَق المسيحية الكبرى ويعرفون التراث المسيحي بلغة السريان واليونان اطلقوا دون شك بالعربية قضايا الفلسفة واللاهوت الكبرى التي سيعالجها من بعد أهل الحكمة وأهل الكلام في الإسلام، على أساس عقلاني بعد أن طاعت لهم المصطلحات المنطقية المنقولة عن السريانية واليونانية.

إذ يجب أن لا ننسى أننا بعد قبل زمن الكندي أول فيلسوف عربي، وقبل أن جُمع الحديث نفسه على يد الشيخين مسلم والبخاري. انه عصر المعتزلة الأولين الذين ضاعت آثارهم الا عناوينها في فهرست ابن النديم، وقد قرأوا عمّار وأبي

---

١. كتاب الفهرست للنديم، طبعة رضا تجدّد المازندراني، طهران، ١٩٧١، ص ٢٠٤؛ وترجمة بايار دودج (Bayard Dodge)، *The Fihrist of al-Nadim* نيويرك، ١٩٧٠، الجزء الأول، ص ١٣١ ــ ١٣٢ من الطبعة الفرنسية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قره. فضرار بن عمرو (الجبل الثامن ــ التاسع) والمردار (توفي ٨٤٠) والعلاّف ألّفوا كتباً مختلفة بعنوان واحد وهو «كتاب الردّ على النصارى»، فكان ردّ العلاّف على عمّار والمردار على أبي قرّه؛ وجاء من بعدهم آخرون كأبي عيسى محمد بن هارون الوراق (توفي ٨٦١ ؟)، والفيلسوف الكندي (توفي ٨٧٠) وعلي بن سهل بن ربان الطبري (توفي ٨٥٥) والقاسم بن إبراهيم الحسني (شيعي توفي ٨٦٠) والجاحظ (توفي ٨٦٨)، وهؤلاء كلهم جاءوا بعد عمّار البصري أو عاصروه وكتبوا ردوداً على النصرانية تتراوح مقالاتها بين السخرية اللاذعة والتعمق التدريجي في الجدل المنطقي.

والردّ يفترض الاطلاع والاضطلاع. وهكذا فان تلك المحاورات والنقائض والمجادلات، مع ما فيها من حجج وأدلّة، طوّعت اللغة العربية للمصطلحات الفلسفية واللاهوتية وفتحت للتراث الديني المحصور بعد على القرآن والحديث نوافذ جديدة ومعضلات ومسائل ومشاكل سوف تتضارب حولها الفِرَق ويبني فوقها الفكر الإسلامي كلامه وحكمته وتصوفه.

فعمّار البصري، وهو أول من كتب بالعربية مجموعة جدلية بهذه الضخامة، هو إذاً صاحب أثر بعيد في تنمية الفكر الفلسفي وتوعية الوحي الديني على متطلبات العقل. أجل لم يحن الوقت بعد لتقييم هذا الأثر على بعده الحقيقي في تاريخ الفكر العربي المسيحي والإسلامي. يكفي أن نقول انه فريد من نوعه في ذلك العصر المأموني الخصيب. فلا أبو رائطة، على ما له من عمق وسلامة، ولا أبو قره، مع ما هو عليه من غزارة ومرونة، بلغا شأوه في الإحاطة المنطقية بالموضوع وفي ابتكار المفردات. وكذا يصحّ القول عن معاصريه الآخرين كالطبري والجاحظ والورّاق الذين يبدون هزيلين لدى عمق تفكيره الفلسفي.

وأما الذين جاءوا بعده فوصلت إلينا مؤلفاتها في هذه المواضيع الجدلية فقد عجزوا عامةً عن الغوص حتى عمقه أو السموّ إلى بعض قممه الفكرية. وعلى كل حال فانهم لم يمسكوا ممسكه من القضايا ولم يصل خيالهم إلى ابداع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الأمثال التي ضربها والمفردات التي ابتكرها، ما عدا ما له في هذين الأثرين من نظرات حادة ومنطقية صارمة وتعابير مصكوكة باليقين صنكاً.

يقف لدى الكون فيرى من شواهد نظامه أن «صانعه معدن كل علم وينبوع كل حكمة»؛ ويختصر بجملة واحدة كل البراهين: «الدليل على وجوده وجودنا»؛ والله قد خلق لا عن «مشيئة اضطرار» بل عن «إرادة اختيار».

ويقف لدى التاريخ فيجد أن إبداعه «تبرّع» من الله واستنفاذَه «تطوّع» من المسيح. فالخلق «كان هو في الكون وحده فصيّر لنا في الكون معه نصيباً فكوننا» بنعمة منه، ثم أتمّ النعمة بالمسيح الذي «تدرّع»، أو «تجسّد» بشراً به كل بشر كرامة «التأله» «بتأنسنه».

ويقف لدى المسيح فيرى «جوهر الخلق كله مجتمعاً في بدنه»، ولدى الصليب فإذا عليه علّق ذلك. «البشري الذي هو حجاب خالقنا» ومحل تجلّيه؛ ذاك من كان «قتيل يهود» هو نفسه بذل «بدنه ودمه تطوعاً وتبرعاً»، فأصبح «الكفيل الضامن عنا» و«حجتنا لدى الاب». ولأنه لم يمت كغيره من الناس «موتاً سوياً على فراشه ومضجعه»، لقد أبطل «بشاعة هذا الموت النازل بأولنا وآخرنا»؛ هذا الموت «لقد أبطله بالحقيقة واحد منا»، أخونا المسيح الذي قام «وارتفع إلى غير بلد الموت أعني السماء»؛ فانبعاثه العاجل هو انبعاثنا الآجل بعد فترة «رقدة بين الدنيا والآخرة». ولنا بذا دليل من القربان الذي «يجسّم ذكر الموت والقيامة، حتى إذا أخذوه بأيديهم فرّج عنهم الغمّ بذكر الموت وفرحوا بذكر القيامة وصاروا كأنهم أخذوا أمان الحياة بأيديهم، إذ لا شيء يكون أصحّ عند الإنسان ممّا يصير في يده وتحويه كفّه».

وإذا تأمّل عمّار بالمسيحية وعقيدتها وجد أن «ليس دين تحت السماء امنع لشهوة ولا اكسر عن لذة ولا أضيق أمراً من دين النصرانية»، لأنه قام «بتكليف العقول ما لا تعقله وتحميل الفكر ما لا يحمله»، ولأن «لا شيء أشنع من الدعاء إلى عبادة مصلوب والخضوع للصليب والإيمان بواحدة ثلثة».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فإذا كان هذا الدين قد ثبت وقُبل في العالم، على ما فيه من احراج، فلأن الآيات رافقته «فقهرت العقول»؛ فهو إذاً الدين الحق الذي «ارتضاه الله لخلقه»، لا دعوة «خاوية بل حقيقة واجبة». لدى هذا التأمل تتبدّد «خطرات الشك» من الوجدان «وتشبع القلوب يقيناً».

وإذا ردّ عمّار على اعتراضات المسلمين حول عقائد المسيحية يجيد في التحليل. في التثليث يشرح فلسفياً الفروق بين الجواهر والاعراض والأقانيم[١] والقوى، لينتهي إلى القول بأن الله ثلاث صفات أو معاني أو أقانيم جوهرية لا غير، وإليها مردّ كل الصفات والأسماء الإلهية الأخرى. وأما عن الأبوة والبنوة، «وهما أوحش ما وجدوه عندهم واشنعه لديهم»، فينكر «لحمية الولادة»، وأن يكون الله اتخذ صاحبةً وولداً، «إذ أن من أعظم المحال أن تلد امرأة إلهاً»، فالولادة روحية سامية فوق «ولادة النور من الشمس والكلمة من النفس بما لا يوصف». وعلى كل حال أيكون لله يدان ورجلان وجوارح وسمع وبصر وتعتريه الانفعالات النفسية المتقلبة كالغضب والكيد والشفقة، فيشارك الإنسان بها إلاّ بالأبوّة والبنوّة وهما أشرف ما لدى الإنسان وما يميزه عن غيره من المخلوقات. فلو كانت الأبوّة والبنوّة عاراً «لكانت حواء التي لم تولَد أعظم من جميع الأشياء ولكان الشيطان الذي لم يلد ولم يولد أعظم من إبراهيم خليل الرحمان، ولكان وجب التعظيم للدود والبقّ والبعوض والخطاطيف والدجاج» التي لا تلد. ولكن الأبوّة والبنوّة اللتين تقالا عن الإنسان وحده في العالم هما كرم فريد من الله «اكرمك به خالقك» إذ شابهك فيهما بحياته الذاتية، فكيف ترى «صار هذا نقصاً عندك فتنكّبت عمّا يجب من الشكر إلى الطعن والذم».

وإذ يردّ على من يرشق الإنجيل بالتحريف يقول إن الكتاب منتشر في ممالك مختلفة وألسنة متباينة وشيع مسيحية متفرقة اختلفت آراؤها في تأويل النص الواحد المشترك، «فاختلافها في التأويل يوضح محال ما ادُّعيَ عليها من اتفاقها على

---

١. الكلمة الأصلية هي «قنوم» لا أقنوم مأخوذة عن السريانية، وهي عريقة جداً نجدها في الكتابات الكنعانية بنفس المعنى: «في قنومه»، أي «في ذاته»؛ راجع المقدمة الفرنسية، ص 30,67-29.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تحريف التنزيل». وبعد إذا افترضنا أنهم أجمعوا على التحريف فاني «اسألك: أين اجتمعوا؟ وفي مملكة من منهم؟» ومتى؟ وكيف؟ «وكيف عرفت أنت ذلك؟ وليت شعري لِمَ هذا الحرص كله على التحريف؟ أتعظيمَ المسيح أرادوا؟ فلِمَ لم يمحوا ما في الإنجيل من تصغيره من ذكر الصليب والموت والدفن وغير ذلك؟ أو تصغيرَه أرادوا؟ فلِمَ لم يسقطوا ما فيه من تعظيمه من مثل قوله انه ديان يوم الدين ورب العالمين. أو أرادوا محوَ ما يصعب عليهم من سننه واثباتَ ما يسهل؟ فلِمَ لم يسقطوا الكتاب أصلاً، وكان اخفّ عليهم، ويضعوا لأنفسهم كتاباً كما يشتهون، ويثبتوا فيه انه لما أراد اليهود قتل المسيح فاتوه نفخ عليهم نفخةً فاحرقهم، وانه ارتفع إلى السماء حيّاً ولم ينله موت ولم تصبه آفة، وأن يتزوج المرء من النساء ما أحبّ، ويحرّموا تعذيب أبدانهم بالصوم وادمان الصلوات وترك اللذات... نعم ويثبتوا فيها ما يعقلونه لذيذاً عندهم في الآخرة أيضاً من النكاح والأكل والشراب وغير ذلك».

ويردّ عمّار على كل مسألة ممكنة فيقول مثلاً: «يهزأون من تقبيلنا الصليب فترجع عليهم بالحجة: ولِمَ تقبّلون حجراً كان المشركون يكرّمونه ويقبّلونه»، بينما «الخشب على حال القرب إلى الثمرة من الحجارة». فان أجابوا أنهم لا يقصدون «الحجر الحجر»، أجاب أننا لا نعني «الخشب الخشب» بل شعار الصليب الذي عُلِّق عليه البشريّ «حجابُ خالقنا».

وإذا أنكروا التجسد يقول: تجسد «لتطمئن نفوسنا إلى ثباته» معنا «وتثبت معرفته فينا وتحلو وتصفو عبادتنا له». وكيف ترضون أن يكون تجلّى لموسى «هو راع أخرس» من الشجرة، ولايليّا من السحاب، ولبني إسرائيل في تابوت من خشب، ولكم في بيت من حجارة، وللأنبياء في شبه ملاك؛ بينما ظهوره من بشر من الناس «أشبه بفضله وجوده وأشهر لتصحيح ثباته ووجوده عندهم وأبين لاكرامه إياهم وتشريفه لهم من ظهوره في أشباه بشر وصور أنسٍ وبيت حجارة وتابوت خشب وشجرة حقيرة وسحاب»؛ وهو لم يستنكف عن «فعل ما هو أفضل وأشبه» بجوده. فلذا تدرع جسداً «خاطب منه الناس» مباشرة، لأن جوهر الإنسان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خير مقام للتجلي الإلهي، والتجلي منه هو تشريف للجوهر الإنساني كله. ويتساءل عمّار: «لماذا يريد خالقك لك أيها الإنسان الشرف والعلو وأنت تريد لنفسك السفالة والدناءة؟». لعلك «تريد أن تساويه بنفسك في البخل!».

وفي كل هذا لا يسفّ عمّار البصري عن اناقة الجدل الرصين الذين لا يقنع بقرع الحجة عن سبيل المراشفة الشخصية والتهمة العكسية، بل ينهض إلى مستوى موضوعه فيعالجه بما أوتي من اطلاع على معارف عصره ومعضلات بني زمانه وعلى ما سبقه من تراثٍ مسيحي خبرته سبعة قرون من الاحتكاك بالفلسفة والاصطدام بالوثنية والتفاعل مع أساليب الحكم الدنيوي. فعمّار هو وريث لهذه المعطيات الثرية يأخذها من منابعها. فهو نسطوري قحّ في عقيدته يتقن أولاً السريانية فتظهر آثارها في مؤنثات النعوت والأسماء حين يتكلم عن «الثالوث المقدسة» و«الخلائق الموّاثة» و«تشبه ملكوتُ السموات».

وهو ثانياً مضطلع بما «اخترعته عقول اليونانيين الأولين من اللطائف التي أبهرت العقول وفتنت القلوب». يعرف أفلاطون ويبني عمارته اللاهوتية على أساس ارسطاطليسي، كما فعل آباء الكنيسة من قبل. وعلى كل حال فتهذيبه الفكري يوناني يبدو في طريقة جدله وقياساته وتركيب جملة الاعتراضية المتداخلة وأكرهه الحروف والظروف العربية على التعبير عمّا لم تألفه. وتظهر اغريقية منطقه في إكثاره من لفظة «إذ»، وهي تترجم حرف γάρ اليوناني (وهو ܓܹܐ بالسريانية) الذي يملأ عواميد محادثات أفلاطون.

وقد يكون أيضاً ملمّاً بالعبرانية لأنه يذكر بعض كلمات من التوراة بلفظها الأصلي. وقد يكون عارفاً بالطب، لا لأنه يذكر جالينوس، بل لكثرة ما يستعير من تشابيه مأخوذة من الطبابة، وهي فن جرى تقليد الاقبال عليه بين رجال الدين في الزمن القديم وعند النساطرة خاصة.

يعرف عمّار أيضاً عقائد الفرق المسيحية على اختلافها ومذاهب ابن ديصان ومرقيون وماني وزرادست، فينقضها أو يشير إليها أو يحاجّ فيها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ثم انه قرأ القرآن لما يذكر من آياته على نصها ومن تفسير المسلمين لها حيناً. ويذكر «الوعد والوعيد»، وهما من كلمات المعتزلة الذين شاعوا في زمانه ومكانه، وهم في بدء عهدهم وأول الشهود أو الشهداء في صدام العقل والايمان. وعمار البصري مرميّ في صلب هذا اللقاء العنيف، مسلّح بوسائل دفاعية خبرت الأجيال والاستعمال فعاليتها الوقائية.

وهو على كل حال يعرف كل مآخذ الإسلام على عقائد المسيحية وممارستها فيردّ على الاعتراض باعتراض مماثل ويرفقه بحجة العقل ونصوص الوحي.

ثم انه جمع في كتابه الثاني الأسئلة الكبرى المطروحة على الوجدان المسيحي، من مشكلة وجود الله واختلاف الأديان ومعضلة الألم والموت وموت الأبرياء. وأعطى لكل مسئلة جواباً نابعاً من يقينه المسيحي.

وكل هذا جاء بلغة عربية مميزة تفيض جزالةً باللفظ وترق حيناً في المبنى حتى الروعة، إلا متى واجه عمّار صعوبة التعبير المنطقي. إذ ان العربية في زمانه كانت لمّا تزل لغة فصاحة وحدس ونبوءة وأغاني لم تلن بعد خشونتها الصحراوية للمنطق الحضري ولم يسبق لها ان واجهت مقولات الجدل وقضايا الفلسفة ومعطيات اللاهوت التي عولجت أجيالاً من قبل باليونانية والسريانية.

لقد كان عمّار البصري من الأوائل الذين حاولوا تطويعها للتعبير عمّا اختزن عقله من معرفة وإيمانه من تراث. فلم يخش أن يستبيح لنفسه غير ما جرى من أصول صرفها ونحوها، حتى صار بها إلى شفير الشواذ. فإذا به يستعمل الأسماء كأنها مصادر تتعدى إلى مفاعيل فيقول: «كلامه ايانا»، «حدوثه كونها»، «اضطراره العقول»، ويتعدى باللازم، ويحرج الأفعال إلى حمل جملة مفاعيل، ويخلط الضمائر حتى يصعب معرفة ما للمضمر وما عليه وبه وفيه، ويحوّل الحروف عن استعمالها المألوف، ويفتق مشتقات جديدة فيتكلم عن «المكتوب المكتذَب» وعن «الإنجيل المفسور والكتاب المنشور»، وعن «البشر الآلمين» أي القادرين على الألم، وعن «عظموت الله»، وعن «الإنسان المنطيق»، وعن «اسحق

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المبرهَم»، أي الحامل طابع ابراهيم أبيه. ويبتكر في النسبة كلمات مثل «سمائي»، «امهاتي»، «دنياني»، «عقلاني»، «وحداني»، «حكماني»، «جسماني»، «جسداني»، ما عدا ما يقول في «الكينونة» و«البينونة»، و«البنية»، و«الكيفية» و«سوس الجوهر»، أي أصله، في مضامينها الفلسفية.

وبديعياته في هذا المجال مهرجان مفردات جمعناها في قاموس في آخر الكتاب مع معادلاتها الممكنة بالفرنسية. نكتفي هنا بذكر بعضها مثل «أنيّة» (من «أنا» أو من ὄν اليونانية)، «مائية» (من «ما»)، «ماهية»، «أبنيّة» (من ابن)، «لحمية»، «مسيحية» أو «مسيحة» (أي حال المسيح)، «غيرية»، «واحدية»، «وحدانية»، «اثنية»، «اثنينية»، «ناسوتية»، «انسية»، الخ... وهو أول كاتب بالعربية جرى تحت قلمه هذا السيل من الألفاظ الثرية.

عمّن أخذ هذه الاصطلاحات؟ ومن سبقه إليها أو إلى بعضها؟ أم كان السابق فأخذ اللاحقون أو المعاصرون عنه منها؟ فما هي مساهمته إذاً في الاستنباط وتمهيد الطريق للفلسفة والكلام والصوفية. لا يصح جواب عن هذه الأسئلة ما لم يكتب تاريخ نشوء الألفاظ ومعانيها، وسنحاول ذلك فيما بعد. حسبنا الان أن نذكر ان عمّار البصري كان من أول وأكبر المساهمين في التعارف المسيحي الإسلامي وفي التلاقي الفكري اليوناني ــ السرياني ــ العربي. كفاه انه استنبط من لفظة إنسان «انسنة»، «تأنسن»، «تأنس»، «أنسية»، «أنوسة»، فشق مشتقات متنوعة من مصدر واحد وشرح صدر الإنسان ووسّع عليه، في ضيق دينه، دنياه، وزاده إنسانية. وكفانا ثواباً على الجهد في بعث أثره من المجهول ما اكتسبنا من قراءته الصارمة. لقد تعلمنا على يده الكثير الكثير إذ ازددنا يقيناً، بعد عمّار البصري، بضرورة تعمير البيت المسيحي الإسلامي الذي يجب أن ترتفع عواميده الفكرية والدينية حتى العقد والعهد، فلا تصحّ دعوة الداعين إلى «خراب البصرة».

باريس ــ كانون الثاني ١٩٧٥

ميشال الحايك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

كِتَاب البُرْهَان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المحتويات

[كِتَاب البُرْهَان على سياقة التدبير الإلهي][1]

١ ــ [في إثبات وجود الله][2] ٢١

٢ ــ [الدلائل على الدين الحق] ٢٤

٣ ــ [أسباب قبول النصرانية] ٣٢

٤ ــ [دفع شبهة التحريف] ٤١

٥ ــ الكلام في التثليث ٤٦

٦ ــ القول في الاتحاد ٥٦

٧ ــ إثبات التجسد ٦٢
.....

٨ ــ [القول في الصلب] ٧٩

٩ ــ القول في المعمودية ٨١

١٠ ــ القول في القربان ٨٤

١١ ــ الكلام على الصليب ٨٧

١٢ ــ الكلام في الأكل والشرب في الآخرة ٨٨

---

١. العنوان مأخوذ عن أبي البركات، راجع أعلاه ص ٧.

٢. العناوين بين المقطعين غير موجودة في النص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

١ ــ [في إثبات وجود الله][1]

[2] بسم الله الرؤوف الكريم

نبتدئ بعون الله تعالى وحسن إرشاده بنسخ «كتاب تحقيق الأمانة». وهو يشتمل على الاتحاد وإثبات التجسد وفي القربان وعلى الأكل والشرب في الآخرة. وهو يشتمل على «مسائل وأجوبة». ولربنا المجد دائماً أبدياً أمين.

فأول ذلك ان حكماء اليونانيين مثل أفلاطون وأرسطو يقولون[3] في أمر العالم أعني عن الهواء والماء والنار وغير ذلك في تلك الأمثال والقياسات ترهيبا. فكما ان] // صار نفورها [2 a] ونفور جميع السباع مع قوتها على افناء جيل الإنسان[4]، يدلّك على تدبير الخالق ذلك على ما فيه صلاحه ونفعه...[5] على التبعّد عنه والنفور منه لئلا تهلكه بما في طبعها من القوة...[6] وصارت جنوداً مجندة مفردة عن موضع محله ترهيباً وتخويفاً ان...[7] وتكبر. وغدا طوره لم يأمن من أن تُسلَّط عليه فتسلبه حياته. وكانت...[8] قوتها مقصرةً إليه نفسه. وصار انس هذه الأشياء الحقيرة التي ليس لديها[9] القوة على إبادته بل له القوة على إبادتها،

---

١. هذا العنوان من الناشر لا من المخطوطة.

٢. هذه الفقرة كلها ما بين المقطعين مكتوبة بخط مختلف عما لحقها، ومن الثابت انها ليست من عمار البصري، بل زيدت على المخطوطة لفقدان المقدمة من الكتاب؛ وقد أطلق كاتبها على الكتاب عنوانا جديداً، فسماه «كتاب تحقيق الأمانة»، والصيحح انه «كِتَاب البُرْهَان»، كما يذكره أبو البركات.

٣. في النص «يقولوا». لقد اعتمادنا إعادة النص إلى صوابه، كلما مرة ورد في المخطوطة مثل هذا الجزم أو النصب، وهو يرد مراراً. فهو سهو من الناسخ لا خطأ من المؤلف.

٤. «جيل الإنسان». الكلمة الأولى غير واضحة، ومن الثانية لم يبق العطل الاّ حرفي «الا».

٥. «وطب». ومن بعدها كلمة أخرى ممحوة.

٦. «الق». ومن بعدها كلمة ممحوة.

٧. كلمة غير مقروءة.

٨. كلمة أولى ممحوة ومن الثانية لم يبق سوى «تها». أي: «وكانت مع قوتها».

٩. ليس من الكلمة سوى «بها».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أوضحَ دليل على أن الخالق أوحش تلك القاتلةَ القويةَ من الإنسان لئلا تبيده، وأنسَ هذه الضعيفةَ التي لا تقدر أن تأتي على نفسه، ليحرّكه بمعرفة النقلة عن هذا العالم، وأنه ليس موضع راحته ومستقرّة لكثرة آفاته واذاه. فصارت هذه المؤذية المؤلمة أعظم نفعاً له من الأشياء اللذيذة الطيّبة، لأن تلك تغذو[١] بدنه وهذه تقوّم نفسه وتحرّكه على تطالب عالم ليس فيه مكروه ولا أذى، وتزهّده في هذا العالم بما يدخل عليه من أذاها.

فاما الموت فمن يجهل دلالته على واهب الحياة، لأن الذي أعطى الحياة هو الذي أخذها وهو المسلّط على أخذ ماله القادر عليه لا غيره. ونعلم انّا يوم القيامة بتخليصنا من الموت نجتمع جميعاً على معرفة مَن خلّصنا منه بلا شك ولا اختلاف، ونعرف فضل لذّة الحياة بمكروه ما يخلصنا منه من الموت، ويصير الموت زائداً في نعمتنا بجود السرور بنا، كما يزيد ألم الجوع والعطش في لذة الطعام والشراب. وجمع الأمراض والأسقام مؤدّب لنا في هذا // العالم، [2 a] دالٌّ لنا على ما ينزل ممّا لا نقدر على دفعه، وكاسرٌ لنا عن المعاصي والآثام، وحاثٌّ لنا على الخير، ومزهّدٌ لنا في عالم الفناء مرغّبٌ في دار البقاء. وفي ذلك أسباب كثيرة يطول وصفها يلتقي أهل العقول بطرف منها.

فإذا وضح وجود الخالق من شواهد خلقه عليه فاني...[٢] يجتمع أيضاً إلى اجتماع العالم كله مع اختلافهم على الإقرار بإله واحد، إذ كان الاجتماع لا يكذب أبداً. فقد نرى هذه الملل الثلثة التي هي أكبر الملل أعني النصرانية واليهودية والإسلامية قد تشهد مع اختلافها بإجماعٍ على أن الله واحد. ونرى المجوس والمنانية والديصانية ونظراءهم مع شركهم، إذ يشهدون بأن اثنين أزليّين قد يقولون إن أحدهما إله والآخر شيطان، فلم يؤمنوا مع غلطهم إلاّ بإله واحد لأنهم لم يسمّوا الآخر إلهاً بل سمّوه رجساً لعيناً. ونرى حكماء اليونانيين مثل أفلاطون وأرسطو قد يشهدان بأن الإله واحد. فإن أرسطو يقول في كتابه في أمر العالم والسماء بعد

---

١. «تغذوا».

٢. كلمة ممحوة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

كلامه في السماء والأرض والهواء والماء والنار وغير ذلك من جواهر العالم إذ يقول: ينبغي الآن أن نتكلم في الذي هو علة هذا كله. فانه لا يحسن إذ يكلمنا على هذه الأشياء كلها أن يدع الكلام في الذي هو علّتها. وقال بعد ذلك بقليل: هو الإله الحق...[١] المدير الحكيم...[٢]، ومن قوته يُقبل السماويون، ثم شيءٌ بعد شيء إلى أن ينتهي إلى هؤلاء الأرضيين، ويقول في كتاب له آخر // يعرف بكتاب «الكون والفساد»، بعد قوله في الشمس والكواكب إنها تحرّك وتربي[٣] كل [3 a] شيء: ان فوق هذه آخر هو يدبّرها فهو لا يدبّر ولا يهيجه شيء، وهو دائم غير متغيّر ولا متبدّل وواحد في العدد.

وقال أفلاطون: ان صور الأشياء كلها كانت في علم المنعم[٤] مثل النقش في الخاتم، وبعد ان خلق كل شيء فذلك مثل النقش على الطين الذي إذ هو لا ينفصل عن الخاتم فهو في الطين ينظر إليه.

فاما عبّاد الأصنام فمع تسميتهم أصنامهم آلهةً فهم يقولون ان فوقها إله ليس فوقه شيء.

فإذا كان أهل العالم كلّه إنما هم نصارى ومسلمون ويهود ومجوس وزنادقة وفلاسفة وعبّاد أصنام وقد اجتمعوا جميعاً على غير التقاء ولا اصطلاح على توحيد جوهر الإله، فمن أجهل ممّن خالف اجتماع العالم كله مع شواهد الخلائق أيضاً على خالقها. وما ذلك إلا كمن قال انه لا نور للشمس وخالف العالم في ذلك كله.

وان كان المشركون قد جهلوا في تصييرهم شيئاً آخر مع الإله سمّوه شيطاناً ولم يزل، فقد اجتمعوا على توحيد جوهر الإله وجهلوا وحدانية الأزلي في فطر العقول متمكنة، كما قال بعض أهل الحق انه لا يُعقَل اثنان[٥] من غير أن يكون

---

١. كلمة غير مقروءة.

٢. قراءتنا «الحكيم» غير أكيدة. ومن بعدها كلمة غير مقروءة.

٣. أو «وتولي».

٤. أي الله الذي أنعم عليها بالوجود.

٥. في النص «اثنين».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

واحد، ويُعقل واحد من غير أن يكون اثنان. كما أنه إن كان لك غلام واحد أمكن أن نتخذ اثنين، وان كان لك اثنان[١] فليس يمكن إلاّ أن يكون الواحد من الاثنين وهو متقدم. فإن كان لك اثنان[١]، فليس يمكن[٢] أن يكون الاثنان قبل الواحد لا يمكن أن يكون، فالواحد قبل الاثنين يمكن والزمني قبل الأزلي لا يمكن أن يكون، والأزلي // قبل الزمني يمكن أن يكون، فقد وضح أن الأزلي [3 a] يجب أن يكون واحداً والأشياء كلّها بعده.

ففي أقل ما وصفنا ما يدلّ مَن فارق البهائمَ على خالقه الحكيم الغالب الصفات[٣]. له الحمد كثيراً.

٢ ــ [الدلائل على الدين الحق][٤]

وإذ أوضحنا وجود خالقنا تبارك اسمه، فقد وجب أن ننظر[٥] من دلايل العقول دون التقليد أيضاً. ان ابتداء معرفة الدين في الأرض ديناً يرضاه لجميع خلقه. ونُحضر ثلث دلائل **أولها:** انّا إذا علمنا انه جلّ وتعالى حكيم جواد بما شاهدنا من حكمته في تأليفه هذا العالم بيتاً عظيماً متقناً من أشياء متعادية وزنَ قواها بسابق علمه وغور حكمته حتى عدلها فلم تقصد واحدة الأخرى فينحلّ تركيب العالم وينتقض، مهما نرى من حكمته في تأليفه أبداننا وغيرها بما شاهدناه من جوده في إنشائه إيانا بغير حاجة به إلينا في تصييرنا في هذا العالم وتسخيره جميع ما فيه لنا، قضينا أنه لا يفسد ما فعل. فانّا لا نرى حكيماً يفعل فعلاً فيفسده، بل ذلك من صفات الجاهل بما يأتي النادم على ما يفعله. وان كان الله أفسد أبداننا بالموت فليس ذلك يناقض لقضيتنا: إن الحكيم لا يفسد ما صنع. لأنا

---

١. في النص «اثنتين».

٢. في النص هنا «الا»، وهي غلط لأنها تفسد المعنى وتأتي به عكس المقصود.

٣. العنوان من الناشر لا من المخطوطة.

٤. «الصفات»، قراءة غير أكيدة.

٥. «انظر» أو «ابصر».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

رأينا الحكماء قد يفسدون ليصلحوا، مثل الحبّ الذي يبذرونه في التراب ليجدوا منه حبّاً أطرى وأنفع، ويبلّونه بالماء فيفسد ويتجدد منه حبّ كثير بهيئة اكتسبها[١] في تجدده. ورأيناهم يقطعون الأرض ويكرمونها لتصلح بذلك لهم ويخرج منها ما يزينها. ويقطعون النبات ويحرقونها فتصلح بذلك الناس. وينشرون الخشب ليصلح لهم في النافع ويبلّون التراب بالماء ويغيّرونه عن جهته فيصلح به لهم البناء. فعلى نحو // ذاك يجب علينا أن نترك ما أفسد خالقنا من أبداننا [4 a] بالموت، ونعلم ونثق أنه لم يرد بذلك أن يبيدنا لأنه ليس فعلُ حكيم، بل ليجددنا بأعلى وأبهى وأتقن من هيئتنا هذه، لأسبابٍ تمنع شواهد الكلام من قطعة بإيضاحها.

فإذا صحّ عندنا أنه إنما أفسد أبداننا ليجددها، لزمنا أن نؤمن بقيامتها وحياتها. وإذ بجوده خلقنا لا لحاجة إلينا وقد صيرنا في هذا العالم الفاني الذي أحاطت بنا فيه المكاره والآفات، وجب علينا أن نعلم أنه لم يتمّم جوده الذي له خلقنا علينا رأفةً، وأنه سيفعل ذاك بأن يجدّدنا ويتمم نعمته وجوده علينا. فيصحّ عندنا أنه إذ كان لا محالة ناقلُنا من هذه الدار إلى غيرها، انه لم يبخل علينا بإخباره إيانا أعدّ لنا، بل قد قدّم البشرى بذلك إلينا وصيّر ذلك في كتاب لئلا ننسى ليتوارثه الأعقاب فيعظم سرورهم به.

والثاني انه إذ[٢] خلق الأنفس على هيئة يمكن بعضهم معها أن يضرّ ببعض، فلسنا نشك أنه قد أمرهم بأن يحب بعضهم بعضاً ونهاهم عن أن يضرّ بعضهم بعضاً، وانه لم يفعل ذلك ولا ترك تبصيرهم ولا تعريفهم ما يجب لهم ومنهم. ودلّهم بأمره إياهم ونهيه على نفسه، إذ لم يكونوا مطبوعين على معرفة دون التعليم لهم. وانه قد صيّر أمره ونهيه في كتاب يتوارثه أعقابهم وينتفع به جميعهم.

والثالث انه إذ أعدّ لنا عالماً شريفاً باقياً بكرمه وجوده، فلسنا نشك أنه لم يدع دعاءنا[٣] إليه بأعظم الوجوه نفعاً لنا. ولا يكون ذلك إلا بأن يكون أمرنا

---

١. في النص «اكتسابها».

٢. «إذا»، في النص.

٣. «دعانا»، أي لم يدع دعوتنا إليه.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[4 b] أن ننالـه باكتسابنا واجتهادنا، لأنّا شاهدنا // الإنسان، لما يأخذه باستحقاقه وينالـه بكدّه واكتسابه، أعظم سروراً منه بما تُفُضِّل به عليه وتثبت به المنّة لديه، كمن يكتسب ما لا يطلب منةً له وحيلةً منه فيه يعظم سروره وفخره به، ويكثر حمد الناس له. لا كمن يُرزق بغير عقل وينال بغير استحقاق.

فيجب لذلك أن نعلم أنه قد أمر الناس بعمل الخير والاجتهاد في العبادة من هذه الجهة. وأنه صيّر ذلك في كتاب لئلا يُنسى وتتوارثه الأعقاب ليعملوا به.

فقد وضح أن لله ديناً في الأرض يرضاه لجميع خلقه. وقد رأينا أن أديانا كثيرة يدعي أهل كل دين منها أنه دين الله. فيجب علينا أن نساوي[1] بينها ونتحرز من المقام على شيء دون أن تصحّ الحجة عندنا وانه دين الله فنؤمن به ونقبله ونسقط ما سواه. ولا تصحّ الحجة في ذلك إلا بأحد أمرين: الآيات التي لا يقدر البشر على مثلها نراها فيه فنشهد عليه بها أنه من عند الله ونتديّن به ونسقط ما سواه. وإما بدلالة عقل لا يكذب مثلها على كون الآيات فيه عند ظهوره، وإن عُدمت عند ثباته وقوته. وكلٌّ يدعي بذلك باجتماع منهم عليه. وقبول دعوى واحد دون الآخر جهل وتقليد، وقبول دعواهم جميعاً مع تناقض وتكذيب بعضهم بعضاً محال غير ممكن.

فليس أقرب إلى تعقّب دعوى كل واحد منهم وطلب معرفته حقيقتها حتى تدرك البغية منها من إجماعهم جميعاً على ان الله إنما أظهر الآيات في أول ظهور كل دين منها على أيدي الداعي إليه ليدلهم بها على دينه وتقوم، بإظهاره لهم من الآيات ما يعجزون عن مثله، حجتُه عليهم حتى يصح عندهم، بمعاينتهم // آيات ليس في قوى البشر فعل مثلها، دينُه ما خالفه، فيجب عليهم قبوله وتلزمهم العقوبة في مخالفته. فإذا كان الأمر كذلك، ويهدي الناس إلى دينه ويقيم عليهم حجته، أظهر الآيات. [5 a]

وقد رأينا الناس في دهرنا مختلفين في أديانهم متفرّقين في مللهم وكل واحد منهم يدعي أن الدين الذي هو عليه دين الله، وان ما خالفه من عند غير الله.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ونحن نعلم أن دين الله من جميعها واحد، إذ كان الحق واحداً لا ينقض بعضه بعضاً، وان ما خالفه فباطل وضلال. وليس يخلو رفعه الآيات في دهرنا مع حاجة الناس إلى الهدي وتعريفهم دين الله ممّا خالفه واخراجهم عن الأديان الكثيرة التي ليست من عند الله إلى دين الله، من أحد أمرين: إما أن يكون، إذ[١] كان يجب تعريف الناس دينه وهدايتهم له وإقامة حجته عليهم بإظهاره آياته الدالة على دينه، قد رجع عمّا يجب من الهداية برفعه آياته الدالة على دينه والمثبتة بحجته. وإما أن يكون إذ أظهر دينه بآياته الصادقة وإعلامه الظاهرة، وعلم أن العقول تضطر إذا رفع الآيات عن دينه إلى الشهادة على أنه بالآيات ثبت وقُبل في العالم، رفع إظهارها للعيون عنه ليكتسب بالعقول الاستدلال عليه ولا تقوم ذواتها[٢] فيه نصب العيون مقام الاجبار للناس على الدخول في الدين فيبطل حمدهم على ذلك فيرجع الأمر إلى ما كره الله من إجبارهم على طاعته.

فأما الأمر الأول من تغيير الله عمّا كان يحب من الهدي وبخله بما كان يجب من الارشاد إلى دينه في إظهار آياته، فهو ما لا يمكن كونه // ولا يقوله أحد من أهل الأديان. [5 b] فيلزمنا اضطراراً الأمر الثاني من أن الله لما أظهر دينه بآياته وقامت بذلك حجّته وعلم أن دينه يضطر العقول إلى المشاهدة بأنه بالآيات والاعلام ثبت في العالم، رفع إظهارَها للعيون. إلاّ أن يقول متعنّتٌ إنه يعرف دين الله وكتابه من سائر الأديان والكتب بغير آيات وهو أن ينظر الإنسان فيما دعت إليه الأديان في جميع الدنيا ويتصفّح كتبها وكتبَ من أنكرها بعقله ويدقق ويلطّف في ذلك نظرهُ حتى يميّز به أصحّها معنى وأقواها مذهباً وأصوبها كلاماً فيقضي عليه أنه من عند الله أولى بصحة المعنى وقوة المذهب وصواب الكلام من غيره.

فأقول لهذا: يا هذا لقد كلّفت الناس شططاً وأوقعتهم في بحرٍ علمَ اللهُ أنه لم يعطهم[٣] آلةً لقطعهِ فلم يكلّفهم التهوّرَ فيه. وذلك ان الناس صنفان.

---

١. «إذا».

٢. كذا.

٣. في المخطوطة: «لم يعطيهم».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فمنهم أهل دقة ولطافة ومنهم أهل جفاء وغلظ، وأهل الغلظ كثير وأهل اللطافة قليل. فلو كلّفهم ما ذكرت كان أحبّ الاّ يهتدي أهل الغلظ لجفاء عقولهم وشغلهم بما احوجهم إليه من معاشهم عن تصفّح كتب أهل العالم المختلفة المتناقضة ووزنها حتى يميّزوا أقواها معنى وأصحّها كلاماً فيقضوا عليه أنه من عند الله، إذ كان في المختلفين من يحكم لدينه فيبطل ما خالفه من هو ألطف منهم قد عجز عن ذلك حتى شهد لنفسه دون غيره بأن الحق في يده. ولعلّه أن يكون مبطلاً وقد قصر عقله مع لطافته عن معرفة الحق، فكيف كانت العامّة تدرك ذلك وأهل الدقة من المختلفين قد قصّروا عنه، تعالى الله عن تكليف الناس ما لا يطيقون، // وكان أيضاً قد أوقع [6 a] أهل اللطافة في أمر لا يجتمعون على معرفته. لأنّا رأينا الحكماء والفلاسفة اختلفوا في أمر الدنيا الظاهرة وتناقضوا وكثرت كتبهم في ذلك، فكيف كانوا لا يختلفون في أمر الدين الذي هو أعمق وأبعد غوراً من أمر الدنيا بل كانوا لا شك يختلفون في معرفته أضعاف أضعاف اختلافهم في معرفة أمور الدنيا. وكان هذا أيضاً مضراً بأهل اللطافة مخالفاً لهم في البعد عن درك حقيقة الدين بأهل الغلظ. هذا ولو علم الله أن دينه يدرك من جميع هذه الأديان من هذه الحجة لاقتصر عليها عند إظهار دينه ولم يُجرِ على أيدي رسله شيئاً من آياته. وكان الناس في وقت مشاهدتهم الرسل مع سعة علمهم بما أوحى إليهم وقوتهم على إيضاح الحق في كلامهم أعني عن إظهار الآيات لهم على أيدي الرسل منا في دهرنا وقد فقدناهم إلى أنفسنا في معرفة الله دونهم.

فإذا لم يَكل الله إلى الرسل إيضاح ذلك بالكلام دون الآيات في تقدمهم إيانا في القوة عليه، فهو ما يَكلنا إليه مع ضعفنا عمّا تبلّغه الرسل من ذلك أحرى. فقد وضح ان الله جلّ وتعالى، لأنه علم أن تكليفه الناس بما أردتَ أيها المتعنّت يضرّ بالعامة والخاصة ويبعدهم عمّا يجب لهم من معرفة الحق، بعث رسله وأظهر على أيديهم آياته كما يقرّ به أهل الأديان، ليجمع بذلك أهل اللطافة والغلظ على معرفة حق دينه ولا يفضّل أهل الدقة على أهل الجفاء في معرفة الحق بحصر[١]

---

١. كذا. أي انه منع إظهار الآيات عن أهل الجفاء وأهل الدقة فحصرها بالرسل.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عنهما جميعاً لمن يظهر الآيات التي يعجز أن عن مثلها وقبولهما قوله، فلا تقدّم من اللطيف // [6 b] في استخراجه بدقته ما عجز عنه غيره، ولا تأخّر من الغليظ عمّا أدرك اللطيف. إذ كان الحق بالبصر يُدرك من ظهور الآيات للعيون ويلزم قبول قول من يظهرها لا بفحص العقل ولا بدقة النظر والفهم ممّا أحب الله تبارك اسمه أن يقلّد الصنفين من الآيات التي يعجزان جميعاً عن مثلها، أنفع ممّا أردت أن تقلّد كلَّ إنسان من عقله. إذ كان كل واحد من الناس يدعي أن عنده منه ما ليس عند غيره. ولا يجب حكم كل واحد على صاحبه. فتقليد كلّ واحد عقله يلزمه اتباعه هواه ومحاباته نفسه وشهادته بعقله بأنه أدرك ما عجز عنه غيره. وتقليدهم جميعاً الآيات التي يعجزون عن مثلها يتبيّن به طلبهم الحق من حيث لا يمكن أن يشتبه بالباطل.

فمن استعمال العقل تقليد الآيات ومن استعمال الجهل تقليد كلّ واحد فحصَ عقله دون الآيات كما وصفنا من تفاضل العقول وادّعاء كل إنسان أنه أدرك ما لا يدركه صاحبه ممّا دين الله تبارك وتعالى في إظهاره الآيات على أيدي رسله أنفع للناس وأقرب لهم إلى معرفة دينه والفحص عن الآيات أوجب عليهم ما كلّفهم. ودعوى كل واحد بأن الله أظهر الآيات على يدي رسله شاهدي على ذلك.

فقد وضح لنا فساد ما ذكر المتعنّت من ذلك ورجعنا إلى الأمر الذي اضطررنا إلى الإقرار به من أن الله إنما رفع الآيات في دهرنا لأن دينه يضطر العقول إلى الشهادة على أنه ثبت في العالم بها فاستغنى بذلك عن إدامة إظهارها للعيون.

واعلم أن العقول لا تضطر إلى الإقرار لدين من الأديان بأنه // بآيات الله ثبت في [7 a] العالم إلاّ إذا لم تجد فيه سبباً من أسباب الدنيا يمكن أن يكون ثبت بدوامه. إذا أمكن عندنا أن يكون ثبت بسبب من أسباب الأرض التي يجوز أن تنقاد الناس للاجتماع على شيء واحد به، لم يضطر إلى أن يشهد أنه بالآيات ثبت، وقد وجدت شيئاً يمكن أن تنقاد الناس إلى أمر واحد به وبمثله، بل تعلم أنه ليس دين الله الذي رفع الآيات عنه. لأن العقول تضطر إلى الشهادة له بها، لأن الله

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لو علم أن في دينه شيئاً يمكن العقول أن تتوهم أنه ثبت في العالم به لما رفع الآيات عنه، كما لم يرفعها في زمن بني إسرائيل إذ كان في أهل بيت واحد. ويمكن أن تتوهم في ثباته أسبابٌ غير الآيات عدة أرضيات، حتى قرب ظهور دين النصرانية فأظهر الآيات العظام فيه ثم رفعها عنه إذ ثبت في شرق الأرض وغربها وسدّ عنه وجوه الأسباب الأرضية حتى لا يمكن أن يتوهم في ثباته شيء منها. فعلّم أن العقول عند ذلك تضطر إلى الشهادة له بالآيات دون غيرها وتجب الحجة عليها إذا أنكرت الآيات، ولا سبباً غيرها يمكن أن تتوهم فيه.

فلذلك قال المسيح ربنا لرسله حيث بعث بهم: لا تحملوا سوطاً ولا عصاً ولا ذهباً ولا فضة ولا تلبسوا حذاء ولا قميصين ولا كساءين[١] وما أشبه ذلك، ليرفع عن رسله جميع أسباب الأرض مما يقوى الناس به ويُكرّمون له، ليصرف قبول العالم بهم مع ارتفاع الأسباب الأرضية عنهم إلى آيات الله دون غيرها.

[7 a] فإذ أوضحنا أن دين الله إنما يضطر العقول // إلى أنه بآيات الله ثبت في العالم إذ لم يوجد فيه سبب أن يكون ثبت به غيرها، فاني ابتدئ فافتش ديناً ديناً من هذه الأديان التي ادّعت الآيات. فكل دين يمكن أن نتوهم فيه أن سبباً يمكن أن يثبت دين بمثله وأن تجتمع جماعه بما أشبهه، علمنا أن ليس دينَ الله الذي رضيه لجميع خلقه وأراد أن يعمّ به جميع بريّته.

واجعل أول الأديان دين التوراة الذي لم يرضه الله لجميع خلقه فلم يجعله يضطر العقول إلى أنه بالآيات قبل أن صيّره ديناً خاصاً لم يعمّ به جميع خلقه. ومن أجل ذلك لم يرفع الآيات عنه حتى انقضى لتكون مشاهدة الآيات تشهد عليه. فإذ انقضت وبطلت منه أنبياؤه وملكه وكهنته وقرابينه وضح انقضاؤه فلم يتديّن به ولم يصيّره الله دينا يثبت من قبله انه من عنده لئلا تلزم الشهادة عليه. ولم يرضه لجميع خلقه حتى يشهد الدين[٢] عمّ به جميع بريّته

---

١. متى ١٠: ٩ ــ ١٠.

٢. بحاجة هنا إلى كلمة «الذي» ليتضح المعنى، وهو إشارة إلى الدين المسيحي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

له ويُترك[١] بحيث يتركه، إذ لا يثبت عند أهل العقول إلاّ به.

فأقول انه يمكن أن نتوهم في ثباته أسباباً خمسة دون الآيات: إما واحد فالسيف. وأما الثاني فالرشا والمصانعة. وأما الثالث فالعصبية. وأما الرابع فالاستحسان. وأما الخامس فالتواطؤ.

فأما **السيف** فإذ كان بنو إسرائيل في بلد واحد وملك واحد فانه يمكن أن يحمل الملك مَن تحت يده على قبول قوله والخضوع له إذ كانت الرعية منقادةً لمن يملكها صائرةً إلى أمره فيها.

فأما **الرشي والمصانعة** فانه إذ كان بنو إسرائيل عبيداً بمصر فهربوا عنها، فانه يمكن أن يكون انقياده وجد[٢] .....

// وحمزة بن عبد المطلب وغيرهم على ذلك. وان كان غيرهم خالفهم فلم يبطل العصبية. وأما [8 a] **التواطؤ** فيمكن أن يكون مَن أجابه في أول الأمر بالطمع في الدنيا قد قبل مواطأته إياه على الشهادة له بما أحبّ في الآيات التي يذكرون، وان يكونوا وضعوا ذلك على ما شاءوا وأثبتوه فيمن قهروه بالسيف على أن الكتاب المجتمع عليه قد ينفي الآيات ويذكر أن الذي ادّعيتْ له سئل أن يفعلها كما فعلها من كان من الأنبياء قبله فلم يفعلها في قوله: «وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كُذّب بها الأولون. وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً»[٣]. وذلك بعد مسألتهم منه الآيات وذكرهم ما فعل موسى وعيسى.

ومثل قوله: «واقسموا جهد ايمانهم» إن يروا آية يؤمنوا[٤]. قل وما عساهم أنها إذا جاءت إلا يؤمنوا لتمكين[٥] إفادتهم وقلوبهم، كما لم يؤمنوا به أول

---

١. أو «وينزل».

٢. في المخطوطة صفحة ناقصة تبحث بعد دين بني إسرائيل في دين الإسلام، كما يظهر ذلك من سياق الكلام.

٣. سورة الإسراء، آية ٥٩.

٤. سورة الانعام، آية ١٠٩.

٥. «لتمكين»؟ قراءة غير أكيدة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أمره. وفسّرها ابن عباس وكان شاهداً للأمر بأن النصارى واليهود والمشركين اجتمعوا وأقسموا بالله أن رأوا آية من النبي آمنوا بها. فأجابهم بأن هذا أنزل عليه في أمرهم.

فهذه الأديان التي يمكن أن تكون ثبتت بهذه الأشياء أو ببعضها ليس في دين الله الذي رفع الآيات بعد ثباته عنه لقيام العقول في الشهادة على أنها كانت عند ظهوره ظاهرة مقام العيون كانت في النظر إليها. لأن الله لم يرفع الآيات عن دينه حتى سدّ وجوهَ الأسباب الأرضية عنه. فلا يمكن أن يُتوهَّم منها شيء ثبت به ليضطر العقول إلى أنه بالآيات ثبت في العالم وقامت سنة الله على خلقه بذلك.

٣ ــ [أسباب قبول النصرانية][1]

[8 a] // **فأما دين النصرانية** فاني لم أره في أهل بيت واحد ولا بلد واحد يتكلم أهله بلسان واحد يمكنهم **التواطؤ** بما أحبوا على أمر واحد كما دين بني إسرائيل كذلك، ولا في ملكة واحدة وما يخترعه الرأي ويمكن الملك جمعهم على دين واحد كما دين زرادشت، ممّا قبل بالراي كما دين ماني ونظرائه كذلك، ولا في مملكة واحدة بلسان واحد يمكن القهر بالسيف عليه، كما الدين الذي بعد ذلك بل في كل مملكة كل لسان وأمة في المشرق والمغرب في الخزي واليمن[2] في الأرض كلها، في الأبيض والأسود، في أمم ينفر بعضها من لغة بعض تعادت عن أن تجتمع لوصفه تواطياً أو لإثباته بالسيف قهراً أو لنصبه في الدينا عصبيةً وحميةً، أو برشي أو مصانعة، المختلفين بلغاتهم المتباعدين في بلدانهم، المتضادين في ممالكهم وأمر دنياهم، الذين حال بين بعضهم وبعض بحور جعلها الله بينهم حدوداً لئلا يصل بعضهم إلى بعض فيهلك بعضهم بعضاً لتباعد قرابتهم واختلاف أجناسهم وألوانهم.

---

١. العنوان من الناشر لا من المخطوطة.

٢. «الخزي واليمن»: قراءة غير أكيدة صحتها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فان قال قائل ان الأمم لم تواطئ على هذا الدين، لكن الذين دعوا إليه تواطوا عليه فادخلوا الأمم فيه بالحيل. قلنا: فإنما نحملك فيما غاب عنا بأن نلزم أنفسنا في ذلك حكم ما يمكن مثله فيما شاهدنا، وفي العقل والقياس. وقد علمت من الناس ما وأدوا عليه وجرت به عادتهم ونبتت عليه لحومهم وورثوه عن آبائهم وشجّهم[١] على الخروج عنه، ولكنه لا يمكن على ما شاهدنا من ذلك أن تنتقل ملة ممن أدركنا في دهرنا ولا ممن تقدمنا عمّا لم // تزل عليه إلى [9 a] أمرٍ دعي إليه إلا بأسباب تضطر إلى ذلك.

فنحن نضع بيننا وبينك جميع الأسباب التي يمكن أن تنتقل ملّة مما كانت عليه إلى أمرٍ دُعيت إليه، إذ علمناك انه يمكن أن نتوهم في ثبات جميع الأديان التي في العالم فنعرض منها شيئاً شيئاً على دين النصرانية حتى نعلمك أنه ينتفي منها ولا يليق به ولا يمكن توهمها في ثباته به كما أمكن توهمها في ثبات غيره، بل يضطر العقولَ إلى غيرها من الآيات والعجايب. وهي أسباب ستة بعد التواطؤ الذي نسبناه إلى الدعاة إليها لننظر هل يمكن القبول بهم بغير الآيات.

أحدها السيف، والثاني الرغايب من الأموال والرياسة والعز، والثالث العصبية، والرابع الاستحسان، والخامس الترخيص في الشرائع، والسادس خيالات السحر وشبهاته.

وأما **السيف** فان دين النصرانية ينهى عنه فكيف يمكن أن تتوهم ثباته به، لأنه[٢] ليس من داع إلى دين يستعمل بإكراه عنه[٣] السيفَ فيكتب في كتابه الذي يدفعه إلى من قهره به أنه لم يستعمله وينهى عنه ويُفهم[٤] منه على النهب والكذب العظيم ومضادّته لفعله وقبوله.

فقد رأينا التوراة وقد استعملت السيف لم تنكر ذلك بل ذكرته ووضعت استعمالها إياه. وكذلك دين الإسلام إذ استعمل السيف لم ينكره بل ذكره ووصف

---

١. قراءة غير أكيدة.

٢. «ثباته به لأنه»: قراءة غير ثابتة.

٣. «بإكراه منه»: قراءة غير ثابتة.

٤. «ويُفهم»: غير أكيدة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قوته به وما فتح من النواحي باستعماله. فدفْعُ الدعاة إلى دين النصرانية الإنجيلَ المقدس، وفيه النهي عن السيف، وقبول الأمم إياه على ذلك، وشهادتهم في المشرق والمغرب باتفاق على غير تواطؤ منهم[١] لم يقهروا بالسيف ولم يستعملوه // بهم، يَشهد بأن دين النصرانية لم يثبت بالسيف [9 a] وان الدعاة إليه لم يستعملوه ــ لأنه لا يمكن اتفاق أممٍ لا تُحصى في المشرق والمغرب على غير تعارف ولا اجتماع ولا التقاء، لاختلاف الممالك في مضادة بعضهم بعضاً في أمر الدنيا وتباعد البلدان واختلاف اللغات والأجناس، ــ يشهد أن الذين دعوهم[٢] إلى هذا الدين صيادون[٣] ضعفاء لا ملك لهم ولا سيف، وقد قهروهم بأجمعهم بالسيف.

وكيف يمكن، إذ اتفقت شهادتهم على أنهم اثنا عشر رجلاً بلا أدلة، ان يقهروا ملوكاً ذوي عزة وقوة وممالك ذوات سعة ومنعة، إذ كانت دعوتهم مخالفة لعزّ السلطان والممالك، لا يمكن توهم معونة السلطان إياهم وانقياده لهم إلا بالقهر منهم له. هذا والعالم كله المخالف لدين النصرانية من اليهود والمجوس والمسلمين وغيرهم متفقون على أن تلامذة المسيح لم يقهروا الناس بالسيف ولا استعملوه بل أكثر ما أمكن اليهود أن ينسبوهم[٤] إليه السحر والحيل دون السيف. وكذلك المجوس والمسلمون ينسبونهم إلى الآيات.

فكيف اتفق العالم كله على برآتهم[٥] من السيف، وقد وضح للعقول انهم لم يستعملوا السيف في إثبات دينهم، وان الأمر كما كتبوا في الإنجيل من النهي عنه كذلك عن السوط والعصا والذهب والفضة وكلّ سببٍ من أسباب الدنيا في ثبات دينهم، لئلا يتوهموا في ثبات دينهم غير الآيات. هذا وحجتنا في نفي السيف عن دين النصرانية قايمة ظاهرة مشاهدة بوجود [10 a] النهي عن السيف في كتابه. وصار من خالفها مدعيا // لذلك علينا يحتاج إلى إقامة البيّنة على دعواه من شهادة

---

١. أي وشهادة الأمم أن الدعاة لم يقهروهم بالسيف ولم يستعملوه بهم: هذا كله يشهد...

٢. في المخطوطة: «دعوهما».

٣. في النص «حيادين».

٤. هكذا في المخطوطة بدل «أن ينسبوه إليهم»، وما نظنها إلا سهواً من الناسخ.

٥. «برآتهم» في النص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

العقول، ولا يجد ذلك أبداً، بل يجد كلاماً كما يحتاج. ولا يمكن استشهاد العقول أبداً على أن ديناً ثبت في العالم كله بجميع الألسن يأمر بالخضوع والتواضع والدلة وينهى عن خلاف ذلك، ويصرّح بالنهي عن السيف في قوله: «من سلّ السيف بالسيف يموت»[١]، وليس هو مما تقبله العقول فيقبل بالراي والأدلة المختلفة التي قبلته، شهد[٢] على أن الذين دعوها إليه كانوا صيادين مساكين، انه ثبت بالسيف بل تشهد على براءته منه. فقد صح أن دين النصرانية لم يثبت بالسيف.

وأما **الرشي والمصانعة** فكيف يمكن ــ إذ أجمع العالم باتفاق على غير تعارف ولا تواطؤ أن الرسل كانوا حيادين فقراء، وكتابهم الذي في أيديهم ينطق بذلك، كما خلي أن رئيسهم سمعان أيضاً قال لِزَمِنٍ كان على باب بيت المقدس وقد تصدّق منه: «ليس لنا ذهب ولا فضة نعطيك، لكن ما أعطانا ربنا لنا باسم المسيح: انهض واحمل جنازتك وقم وانطلق إلى بيتك»[٣] ــ، ان تتوهم انهم رشوا الذهب والفضة. أو أن يمكنهم ــ إذ كان كتابهم ينهى عن الذهب والفضة، كما خبر الإنجيل المقدس أن المسيح له الحمد قال لهم: «لا تحملوا سوطاً ولا عصاً ولا ذهباً ولا فضة»[٤] ــ أن يرشوا الذهب والفضة. ولو أظهروا مخالفتهم مما أمروا[٥] به، ولديهم أيضاً في قولهم: «ليس لنا ذهب ولا فضة»، ولما قبل الناس ولا التفتوا إلى شيء من قولهم، وكان لا يقبل دين النصرانية منهم // أحد لما أمروا به ولكذّبوهم، ولم يقبل أيضاً الناس كتابهم [10 b] وبطلت الآيات على أيديهم. فاما، إذ[٦] رأينا صناديد الملوك وحكماء الشعوب وأجناس الأمم قد قبلوا كتابهم الذي أمروا فيه أن ربهم أمرهم ألاّ يحملوا ذهباً ولا فضة، وانهم فقراء لا ذهب

---

١. متى ٢٦: ٥٢.

٢. هكذا.

٣. أعمال الرسل ٣: ٦.

٤. متى ١٠: ٩ ــ ١٠.

٥. «أومروا» في النص.

٦. «إذا» في النص؛ وأحياناً عديدة يكتب الناسخ «إذا» في محل «إذ» أو العكس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لهم ولا فضة[1]، أن نقضي انه لم يُقبل كتابهم بما فيه من ذلك إلا وهم صادقون لما يخالف عند الأمم قولهم اقرارهم وكتابهم. وكيف تتوهم على صيادين، شهدت جميع ملوك العالم وجميع الأمم بلا تواطؤ على عيرهم ومسكنتهم، وهم يصرّحون في كتبهم أنهم مساكين، أنهم يرشون ملوك العالم الرشيَ على قبول دعوتهم ويبذلون لهم الرغايب. بل كتبهم تجهر بخلاف ذلك من نهيهم إياهم عن الرغايب والأموال والعز والفخر وما أشبه ذلك. وقد وضح أنه لا يمكن ذكر الرشي والمصانعة في ثبات دعوتهم البتة.

فأما **العصبيّة** فلعمري لو كان إنما اتّبع المسيحَ اليهودُ دون غيرهم لقلنا تعصّبوا له. فأما وقد تبعته الأجناس المختلفة التي لا تُحصى، فكيف يمكن ذكر التعصب من مختلفين متقاومين لرجلٍ ليس منهم أيضاً. بل ذلك منفيّ عنهم البتة.

وأما **الاستحسان** وما يخترعه الراي ويرتفع في الفكر ويقبله العقل حتى تتوهم ان ذلك سبب قبوله دون الآيات، فاني رأيت دين النصرانية مخالفاً لذلك كله. وذلك ان الدعاة إليه دعوا إلى أشياء واخبروا باخبار لا يخترعها رأي ولا ترتفع في فكر ولا تخطر ببال ولا يتوهمها عقل. فنحن مختصرون منها عشرة أخبار // نثبت فيها ما تقدم من قولنا إن شاء الله تعالى: [11 a]

أولها: في ابتداء أخبارهم انهم قالوا: ان جارية عذرى وجدت حبلى بغير مباضعة ولا زرع، وذلك مما لم يُشاهَد في العالم.

والثاني: انهم قالوا انها ولدت من غير انتقاض عذرتها، فهي والدة مرضعة وهي بكر عذرى، وهذا متناقضة في العقول.

والثالث: انهم قالوا ان هذا الغلام ابن الله، وذلك مُنكَر عند عامة الأمم المتوحدة لله بالانفراد والوحدية.

والرابع: انهم قالوا ان ابن الله هذا صلب ومات ودفن، وذلك في الظاهر، إذ نسبوه إلى القوة ثم وضعوه[2] بالذلة، متناقض.

---

١. الجملة ناقصة؛ يجب أن يزاد هنا ليستقيم تركيبها ومعناها: «فقد وجب...».

٢. هكذا. وقد تقرأ أيضاً: «وصفوه».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والخامس: انهم قالوا انه بعد موته ودفنه انبعث وقام من القبر حيّاً، وذلك ما ليس في فطر العقول معرفته.

والسادس: انهم قالوا انه بعد قيامته من القبر ارتفع إلى السماء، وذلك أبعد من القبول.

والسابع: انهم قالوا انه بعد صعوده إلى السماء ينزل إلى الأرض ليقيم الموتى ويصرف الأخيار إلى النعيم ويصيّر الفجار إلى الجحيم، وذلك لم يخطر ببال أهل العالم.

والثامن: انهم دعوا إلى عبادة مصلوب ولو يوجبوا، بإجابة الناس إياهم إلى ذلك مما فيه من الذلة والشناعة وخلاف الشهوة واللذة، على المداراة لهم حتى حملوهم ثقلاً ثقيلاً على قبول ذلك منهم من تفريق أموالهم في المساكين وبذلك أنفسهم للموت دونه، فضلاً عمّا سوى ذلك.

والتاسع: انهم دعوا إلى عالم آخر لم يَعدوهم شيئاً يعرفون لذته مما شاهدوه في هذا العالم، بل أمروهم بخلع هذا العالم والاستخفاف // بلذاته من الطعام والشراب والنكاح وغيره. ودعوهم إلى عالم آخر أيضاً أعلموهم انهم لا يأكلون فيه ولا يشربون ولا يتزوجون. فحظّروا عليهم ما يعرفونه لذيذاً عندهم في هذا العالم وفي ذلك الآخر. [11 b]

والعاشر الذي هو جملة هذا كله وتمامه وكماله، انهم دعوهم إلى الايمان بإله هو آب وابن وروح قدس. وذلك ما لا يرتفع في فكر ولا يخترعه رأي. لأن الرأي يخترع خيّراً وشرّيراً[١]، على ما ترى الناس من الخير والشر في الدنيا، أو يخترع واحداً، على ما ترى من انتظام الأشياء وشهادتها على واحد. فأما آب وابن وروح قدس فليس ذلك مما يخترعه رأي فيُتَوهَّم انه بالرأي قُبل، كما وصفنا من غيره. فايّ هذه الأخبار يقبلها العقل أو يخترعها الرأي أو تقع في الفكر حتى يُتَوهّم ان ذلك سبب قبولها. بل كلها تُستَشنع وتُستَثقل ولا تُعقل. واي شيء أشنع من الدعاء إلى عبادة مصلوب والخضوع للصليب والايمان بواحدٍ ثلثة.

فقد وضح أن دين النصرانية لم يثبت باستحسانٍ من العقول له، ولا كان سببَ قبوله الرأيُ ولا اللذة ولا العزّ أيضاً، لأنه قاوم عزّ السلطان والملك، ونحوه

---

١. إشارة إلى المذهب الثنائي القائل بمبدأين واحد خيّر وآخر شرير.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الأنفس تذل للصليب واحتمال الضيم والعار. وقاوم العقل وحكمة الحكماء بضدها ممّا ليس في حكمتهم، وهو ناقضٌ لها. وقاوم اللذة بالنهي عن الشهوات واللذات والأمر بالادمان على الصوم والصلوات.

[12 a] وأما **الترخيص** في الشرايع، فانّا وان كنا قلنا أن الترخيص أحد الخصال التي // تُستمال بها الناس، فان ذلك لا يُغتَنم إلاّ ممّن يدعو إلى أمر تقبله العقول فتركن إليه بها بعد ذلك. فأما ما لا تقبله العقول فليس يُقبَل بالترخيص في الشرائع ولا تنقاد له لمقاومته إياها. فإن من أول التشديد في الشرايع تكليف العقول ما لا تعقله وتحميل الفكر ما لا يعرفه. على اني أقول: ليس دين تحت السماء أمنع لشهوة ولا أكسر عن لذة ولا أضيق أمراً من دين النصرانية. فقد علم أهل العقول أنه ليس شهوة أغلب على الأنس من النساء، لأن الله طبعها فيهم لاقامة جوهرهم. ولذلك كثر العالم وبه عمرت الدنيا. فقد بلغنا عن داود النبي مع طهارته أن حبهنّ فتنه حتى قتل بسبب امرأة رجلاً[١]. وعن سليمَن بن داود ينبوع الحكمة وبحر الأمثال أنه فُتن بالنساء حتى غلبن على حكمته[٢]. وعن رجل أقامه الله لبني إسرائيل من الجبابرة لنصرتهم فنصرهم وقتل بفكّ حمار ألف رجل من أعدائهم، وأنبع الله له الماء من ذلك الفكّ عند عطشه فشرب منه، أنه فتن بعد ذلك بالنساء حتى وقع بسببهن في أيدي أعدائه فسملوا عينيه[٣]. وعن رجل من الملوك في دهرنا أنه رحل عن مملكته بجميع جنده إلى الروم في طلب امرأة من بعض الحصون[٤]. وما رأينا الملوك فعلوا مثل ذلك في شيء من لذات الدنيا. وعن أحد ولد داود النبي انه فجر باخته وكان من أمره في ذلك ما قد اشتهر وعرف[٥].

فأمرَ الدعاةُ إلى دين النصرانية من الملوك وغيرهم معما يغلب عليهم من

---

١. إشارة إلى مقتل أوريّا الحثي، سفر الملوك الثاني، الفصل ١١.
٢. سفر الملوك الثالث، ١١: ١ ــ ٩.
٣. إشارة على شمشون، سفر القضاة، ١٥ ــ ١٦.
٤. إشارة إلى الخليفة المعتصم، راجع مقدمتنا ص ١٠.
٥. إشارة إلى امنون واخته تامار، سفر الملوك الثاني ١٣: ١ ــ ٢٠.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

شهوة النساء والاستنكار منهن[١] ألاّ يتزوج الرجل // منهم إلا واحدة. وإن نزلت بها كل آفة [12 b] تمنع من النظر إليها فضلاً عن غير ذلك، فليس له غيرها حتى الموت. وساووا في ذلك بين الملوك وعبيدهم، ولم يستعطفوا الملوك بتفضيلهم عن خدمهم. وأمروهم بتفريق أموالهم في المساكين، وأن يكثروا الصوم ويدمنوا الصلاة ويستعلوا الذلة والخضوع ويدَعَوا لذات الدنيا وشهواتها. حتى صار لذلك بعض الناس صوّاماً دهره كله، وبعضٌ هرب إلى الجبال فصاروا متستّرين بالكهوف مع حيوان البر، وبعضٌ صاروا في الصوامع، وبعضٌ صاروا منفردين في ديارات يدمنون الصوم والصلوات. ولم يَعدوهم على ذلك من اجتهادهم شيئاً يعقلون لذته ممّا جرّبوا، إلاّ ما يعرفونه شديداً عليهم من ترك الأكل والشرب والنكاح وغير ذلك مما يشبهه.

وأي موضع ها هنا لذكر الترخيص في الشرائع مع أمرهم لخلع العالم ولذته وشهواته البتة. فقد وضح أن الترخيص في الشرايع منفيّ عنهم غير ممكن أن يُتَوهَّم فيهم.

وأما **خيالات السحر** فاني رأيتهم ينهون الناس للتحرّز منها ويحذّرونهم أن يُخدعوا بها ويضمنون لهم خلافها من إقامة الموتى وإبراء المرضى والزمناء وفتح الأعين وغير ذلك مما أشبهَه. فعلمت أنه قد نصبوا أنفسهم لاستبراء أمرهم والتميّز باختلاف أفاعيلهم وأفاعيل السحرة بينهم وبين السحرة. وأن الناس قد استبروا أمرهم ولم يدَعوا امتحانهم ومعرفة ما عندهم بخصال ثلاث:

فأما الأولى فلينظروا إلى الآيات التي ضمنوا فعلها كما[٢] يُسارَع إلى النظر إلى عجايب أصحاب // اللطايف من النيرنجات[٣] وغيرها. كما أنه إذا نودي على الشيء انه عجبٌ، بادر [13 a] الناس إلى النظر إليه حتى يبذلوا في ذلك عطايا عليه.

---

١. في المخطوطة: «منهم».

٢. أو «لما».

٣. «النيرج» أي الدهاء. أو أن الأصل من كلمة «تبرج». وفي كلا الحالين المعنى واضح، ولكن الجمع غريب.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فلو لم يفعلوا ما ضمنوا عند مسارعة الناس للنظر إلى ذلك لافتضحوا أو تبين كذبهم ولم يقبل الناس كتابهم ولم يلتفتوا إلى قولهم.

وأما الثانية فلأنه ليس داعٍ إلى دين ضمن على قبول دعوته فعلَ شيء من الأشياء إلا طُلب منه ما شرط على نفسه. فان فعلَه قُبل منه ما دعا إليه، وان لم يفعله لم يُقبل منه إذ لم يفِ بشرطه. فعلمتَ، انه إذ قُبل دينهم على ما شرطوا على أنفسهم، انه لم يقبل حتى طولبوا بما ضمنوه وفعلوه.

وأما الثالثة فلأنه ليس أحد به أدنى مرض من صنوف الأمراض ولا زمانة من أنواع الزمانات ولا عمى ولا عور ولا غير ذلك، يسمع بمن يدّعي القوة على شفائه إلاّ سارع إليه لحاجته إلى صحة بدنه. فإن الناس يسارعون إلى الأطباء الذين لا يدّعون القوة على الشفاء بالكلام الذي ليس فيه أذى، بل بالعلاج الشديد الكريه إلى الناس. فكيف لا يسارع الناس إلى من يدّعي القوة على الشفاء بالكلام الذي ليس فيه ألم ولا مؤونة. فعلمتَ انه مع ضمانهم ذلك قد سارع كل من كان به شيء ممّا وصفنا إليهم. فلو لم يبروا على أيديهم ولم يفعلوا ما ضمنوا لهم لافتضحوا عند جميع الناس فبطلت دعوتهم ولم يقبلوا دينهم. فصحّ عند كل أحد أنهم بالآيات التي لا يقدر السحرة على مثلها ثبّتوا الدين، وليس بخيالات السحر التي لا صحّة لها. فقد اضطرنا الأمر، عند انتفاء دين النصرانية عن الأسباب الأرضية التي ثبت بها غيره، إلى الشهادة على أنه // بآيات الله البيّنات قُبل وثبت، وباعلامه الصادقات انتشر في جميع الأمم [13 a] المختلفة. والشهادة على ذلك من كتبه تُلزمنا، لأنها تخبر أن الدعاة إليه قد فعلوا الآيات العظام، وجميع الأمم قد قبلت كتبهم على ما فيها من ذلك. فلو لم يكونوا فعلوا ما ذكروا في كتبهم أنهم قد فعلوا من الآيات، لمَا قُبلت كتبهم ولا صدّقنا حرفاً من قولهم، إذ قد أظهروا الكذب والبهت في إثباتهم في كتبهم ما لم يفعلوا. ولا كانوا أيضاً له لو كتبوا في كتبهم ما لم يفعلوا أو لو جهلوا هذا الجهل لما قبل الناس منهم هذا المكتوب المكتذب والبهت البيّن. كما أنه لو أن رجلا في دهرنا دعى إلى دين يحبه كتب كتاباً إلى من قيل أنه قد فعل بين أيديهم الآيات العظام

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حتى قبلوا بها دينه، ولم يفعل شيئاً لمن كذبه[١] ولردّوا عليه كتابه ولم يقبلوا حرفاً واحداً من كتابه.

فإذ رأينا[٢] هذه الممالك العظيمة والأمم الكثيرة والألسن المختلفة متفقة بأجمعها على اختلافها في البلدان والممالك والألسنة على التديّن بكتب في أيديهم على أن الذين دفعوها إليهم قد فعلوا بهم الآيات العظام، قضينا أنهم قد فعلوا ذلك ولو لم يفعلوه ما اتفقت هذه الأمم على قبول كتبهم والشهادة على فعلهم.

٤ ــ [دفع شبهة التحريف][٣]

فإذ صحّ عندنا أن دين النصرانية بالآيات ثبت، وأن الإنجيل كتاب الله العامّ في خلقه الذي رفع الآيات فلم يظهرها للعيون بعد ثباته في العالم بها لاضطراره العقولَ على أنه كتاب الله الذي ثبت بآياته وعجائبه، فقد لزم العالم كله قبوله والايمان به. ولا يجب علينا لمن خالفنا أن ننفي عنه ما أُدّعيَ من التحريف عليه، إذ كان عدم الآيات // في دهرنا مع محبة الله لهدي [14 a] خلقه إنما هو لان كتابه في العالم كما كان في ابتداء أمره صحيحاً يضطر العقول إلى الشهادة على صحته. فهو الآية للناس الظاهرة بينهم فلم تحتج إلى إظهار آية ولا أعجوبة غيره إلى هذه الغاية، لصحته وثباته على ما أنزل عليه.

إلاّ انّا على حال نبيّن لمحبّي الحق استحالة ذكر التحريف لكتاب الله العام في خلق الله، فأقول:

إنّا إذ كنَّا أحلْنا[٤] أن يكون كتاب الإنجيل قُبل، إذ لم يُقهر عليه بالسيف ولا ثبت بالأسباب الأرضية، بغير آيات سمائية بل بالآيات البيّنات والاعلام الواضحات قُبل في العالم، فيستحيل أيضاً مكان تحريفه بغير قهر

---

١. «كذّبه» أو «لديه».

٢. «فادرينا».

٣. العنوان من الناشر لا من المخطوطة.

٤. أي أثبتنا أنه محال.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بالآيات عليه. لأنه كما لم يُقبل إلا بقهر الآيات على قبوله، فهو بالحريّ ألاّ يُقبل أيضاً تغييرُه وتحريفه، بعد أن رسخ في قلوب الناس، إلا بقهر الآيات عليه. والآيات لا تجري على أيدي المحرّفين لكتب الله. فيصح انه لم يكن تحريفه بعد قبول الأمم إياه وانه ثابت على ما كان عليه، وأيضاً انه ينبغي أن نقضي على ما غاب عنا بما شاهدنا. فإذا توهمنا مدينة من المداين فيها أصناف من الأديان لم يمكن عقولنا تواطؤ صنفٍ منها على تحريف كتابه لاختلاف آراء الناس وقلة انقياد بعضهم لبعض دون من يجمعهم على أمر واحد.

والدليل على ذلك انّأ نرى في كل دين فرَقاً من التأويل يخالف بعضها بعضاً غير منقادة بعضها لبعض. فلو كان يمكن اتفاق الناس على الاجتماع على تحريف التنزيل لما اختلفت في التأويل. فاختلافها في التأويل يوضح محال ما ادُّعيَ عليها من اتفاقها في تحريف التنزيل. فلو كانت منقادة // للاتفاق على أمر واحد من تحريف التنزيل أو غيره لاتفقت أيضاً على أمر [14 b] واحد في التأويل. فقد تبيّن انها لم تتفق ولم تحرّف من غير أن يجمعهم على شيء واحدٌ ويحملهم عليه. لأنه ليس على ملوك النصارى في الدنيا ملك واحد يجمعهم ليحملهم على تحريف الكتاب. فقد ظهر أن ذلك لم يمكن.

فان قال قائل بأن الآراء المختلفة المنتشرة من جميعها تدل على التحريف، كما يقال في ملة الروم دين الملك وما أشبه ذلك، قلنا: ان النصرانية ليست في بلد واحد ولا مملكة واحدة مثل سائر الأديان. فأيّ الممالك يُتّهم بالتحريف فتدّعي أنّ ملكها أجمعها عليه. فان قلت: الروم، ساعدناك على ذلك بالمسامحة منّا لك، لأنك لو توهمت ملك الغرب يريد تحريف كتابه لمَا وجدته يمكنه ذلك، وقد تربّت الناس به حتى ماتوا على نفسه. فكيف يمكن ملك الروم ما لا يمكن غيره ولم يحرّف كتاباً فينزله على مخالفته إياه في كل شيء، فلا يسقط منه ما يخالفه ويكرهه، ويثبت فيه ما يوافقه ويحبه.

لكنّا نوسع الأمر عليك حتى إذا ضاق مع سعته واستحال مع مسامحتنا إياك فيه علمتَ انّا لم ندع لك علةً، وصحّ عندك أن التحريف باطل، فنقول:

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يا هذا قد حرّف ملك الروم الإنجيل الذي في يده كما زعمت، فكيف ليس يوجد خلاف بين إنجيله بلسانه وبين الأناجيل التي بالألسن التي تخالفه وليست تحت يده ولا تقبل قوله في التحريف، فقد بريت ساحة ملك الروم من أن يكون غيّر إنجيله بشهادة جميع الأناجيل بالألسن الكثيرة التي ليست // تحت يده ولا تقبل قوله، وهي موافقة له بالنص ويوافقها إياه. [15 a]

فان رجع فقال: ان كل ملك قد حمل أهل مملكته على تحريف الإنجيل، قلنا: ان في النصارى من ملكهُم غير نصراني، فنحن نجيبك عن ملوك النصارى ثم نرجع إلى من ليس على ملك نصراني فنقول:

قلنا فباتفاقٍ من ملوك النصارى في الدنيا على ما يغيّر ويسقط مما يترك على حاله؟ أو كل واحدٍ على حياله غيّر وزاد ونقّص؟ فان قلت باتفاق قلنا: فقد صرت إلى ما اعلمناك انه غير ممكن، من انقياد الناس بعضهم لبعض واتفاق آرائهم. هذا ومن أين علمت أن أحداً منهم أو جميعهم اتفقوا على تحريف ذلك؟ إمّا لظنّ منك أو بإخبارهم إياك أو مشاهدتك إياهم عند اجتماعهم لذلك. ولا احسبك تدعي مشاهدتهم ولا إخبارهم، لكن بالظن منك، ولم تبلغ، مع صحة ظنك وحدك، ما تُبطل يقينَ العالم كله. أو تحديثك[1]، ولم تبلغ، من صحة حديثك ودعواك وحدك، ما يُبطل كتاب الله في العالم كله.

واسألك أيضاً: أين اجتمعوا؟ وفي مملكة مَن منهم؟ فلا بد من أن يكون انتقل الجميع إلى مملكة ملكٍ واحد. فمَن الواحد؟ وكيف وثق بعضهم ببعض واسلم[2] كل واحد نفسه إلى غيره؟ وكيف علمت أنت ذلك؟

أو تقول: اختلفت الرسل بينهم. فليت شعري ما أرادوا بهذا الحرص كله على التحريف؟ أتعظيمَ المسيح أرادوا؟ فلمَ لم يمحوا ما في الإنجيل من تصغيره من ذكر الطفولية والتربية والأكل والشرب والصلب والموت والدفن وغير ذلك؟

---

١. في الأصل «تحديفك».

٢. في الأصل «واسلام».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[15 b] ولمَ أغفل اليهودُ وساير الأمم الذين كانوا في ذلك العصر // عن تدوين ذلك وتعريفهم به، معما تشاهدهم يدّعون عنهم ما لم يفعلوه؟

أو تصغيرَه أرادوا؟ فلمَ لم يُسقطوا كتابه أصلاً، إذ كان شأنهم تصغير صاحبه بمحو ما فيه من تعظيمه من مثل قوله انه ديان يوم الدين ورب العالمين وانه الله خالق الأكوان وما أشبه ذلك.

أو أرادوا محو ما يصعب عليهم من سننه وإثبات ما يسهل؟ فلمَ لم يسقطوا الكتاب أصلاً، وكان أخف عليهم، ويضعوا[١] لأنفسهم كتاباً كما يشتهون، ويثبّتوا[٢] فيه انه لما أراد اليهود قتل المسيح فأتوه نفخ عليهم نفخة واحرقهم، وانه ارتفع إلى السماء حياً مل ينله موت ولم تصبه آفة، وأن يتزوج المرء من النساء ما أحب، ويحرّموا تعذيب أبدانهم بالصوم وإدمان الصلوات وترك اللذات كما فعل المجوس. فإن ذلك كان ألذّ عندهم وأخفّ عليهم. نعم وثبّتوا فيه ما يعقلونه لذيذاً عندهم في الآخرة أيضاً من النكاح والأكل والشراب وغير ذلك، إذ بلغ من استخفافهم بكتاب الله ما يحرّفون منه ما شاؤوا؟ ولم يسقطوا منه التشديد مثل دعائه إياهم إلى عبادة مصلوب، ولا اعلم شيئاً أشدّ على الملوك وأصحاب السلطان والعز والفخر من الاقرار بعبادة مصلوب؟ ومثل نهيه عن أن يتزوج الرجل بأكثر من امرأة واحدة؟ ومثل أمره إياهم بالتواضع والخضوع واحتمال الضيم وترك اللذات والشهوات وإدمان الصوم والصلوات وما أشبه ذلك؟

وإذ لم يغيّروا ما ثقل عليهم بما يخفّ عنهم على ما وصفنا، فقد وضح انهم لم يغيّروا حرفاً واحداً من كتاب الله عن جهته.

[16 a] فان قال // قائل من أهل النظر: نزعم منهم ممن يستحيل عنده إمكان تحريف التنزيل، أنهم إنما حرّفوا التنزيل عن وجهه ومعناه ولم يحرّفوا الكلام الظاهر[٣] نفسه. قلنا:

---

١. في النص: «ويضعون».

٢. في الأصل: «وثبتوا».

٣. في المخطوطة: «الطاهر».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فان الإنجيل أمر بأن نعمّد الناس باسم الاب والابن وروح القدس، وأخبر أن الكلمة لم تزل وهي إله بها خُلق كلّ شيء، وان الروح هي الرب، وانه لا نكاح ولا أكل ولا شرب في الآخرة، وغير ذلك ممّا يطول ذكره. فهذا وأضعَافُه ممّا يشبهه في الكتاب نصّ بلا تأويل. فانظر هل يوافق كتابك شيء.

أما الابن فتقول[١]: «انه تكاد السموات يتفطّرن[٢] منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّاً، أن دعوا للرحمن ولداً.»[٣] وتقول: «وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه. قل فلمَ يعذّبكم بذنوبكم. بل أنتم بشر من خلق يغفر لمن يشاء ويعذّب من يشاء»[٤]. وأما الاب فتنكره بانكارك الابن. وأما الروح بضدّ ذلك: انها من أمر الرب[٥]، فتقول انها من الرب، وكتاب الله يقول انها هي الرب. فاما الكلمة فتقول انها مخلوقة، والإنجيل يقول انها لم تزل وهي إله.

وأما النكاح والأكل والشرب في الآخرة فتثبته، والإنجيل يبطله. فكيف يمكن أن يُصرف الإنجيل إلى معنى كتابك. بل ذلك غير ممكن البتة. ولولا ضعف كلامك في ذلك لكثّرت من الشهادات المبطلة لقولك. لكن أكتفي في النقض[٦] عليك بنفس قولك.

فقد وضح أن الإنجيل لم يُحرّف ولم يُبدَّل بتنزيله ولا معناه عمّا أجمع أهل النصرانية عليه، وانه كتاب الله يلزم العالم الايمان به والخضوع له وقبول جميع ما فيه ممّا // وضح [16 b] وغمض من الأشياء التي خفي عن معرفتها المخالفون فنفّروا قلوب من لم ينظر في كتب الله ولم يعرف مذاهبها عن الإيمان بها. ولو قنعوا بالحق لما نفوا من الكتاب أشياء استشنعوا بعقولهم الجافية ظاهرَها وغلظوا عن معرفة باطنها، فعابوا بها الكتاب بعد اضطراره إياهم إلى الشهادة بأنه آيات الله التي

---

١. في المخطوطة: «فنقول».
٢. في المخطوطة: «تفطرن».
٣. سورة مريم، الآية ٩٠ ــ ٩١.
٤. سورة المائدة، الآية ١٨.
٥. سورة الإسراء، الآية ٨٥.
٦. أو «النقص».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يعجز الخلق عن فعل مثلها ثبتت في العالم. لكنهم يؤثرون ما خفّ على ألسنتهم وقلوبهم ويقبلون الأشياء بحسن ظاهرها في أول نظرهم إليها دون الصبر عليها وتبحّر باطنها، فان خالف في الحسن ظاهرَها اطّرحوها واشبهوا في ذلك الصبيان، إذ يؤثرون وما خفّ عليهم وحسن ظاهرُه لهم، وان كان في ذلك فسادهم، ومن[١] يسلك طريقاً واسعة من هذه بجهله واتّباعه لذّته، وإن أدّته إلى أجمة سبع يأكله دون سلوك طريق صعبة ضيّقة، وإن أدّته إلى ما هو خير له.

٥ ــ الكلام في التثليث

فنحن نبتدئ فنسألهم عن الواحد الذي خفّ على ألسنتهم وسهل الاقرار به عليهم دون تصحيح معرفته عندهم ليبين بما يعتقدون في الايمان به بمخالفتهم ظاهر قولهم وتصوّرهم[٢] الخالقَ الذي يذكرون انه حيّ ناطق مواتاً لا حياة له ولا كلمة. ثم نشرح قولنا لمن يحبّ أن ينتفع به لأن مسألتهم عن قولهم يجب لنا...[٣] يمكنهم أن يثبتوا كتابهم الداعي إليه انه ثبت بآيات الله. ولا يجب لهم علينا بعد، إثباتاً عندهم أن الإنجيل بالآيات قُبل، أن يسألونا عن شيء منه مما أخبرنا به ودعانا إليه، إلاّ من // طريق استقامة استفهامنا واسترشادنا. كما أن شهوداً لو شهدوا عند الحاكم على دار بحدود، هل يسألهم الحاكم أن يشهدوا على شيء شيء منها. فأقول: [17 a]

أخبرني أيها المؤمن بالواحد، هل تقول انه حيّ. فان قال نعم قلنا: أبحياة له في ذاته أزلية، كما أن لنفس الإنسان حياةً في ذاتها جوهرية منه كانت؟ أم بحياة عرضية، كما أن للبدن حياة يقبلها من غيره وليس له حياة في ذات جوهره؟ فان قال: بحياة له في ذاته أزلية، فقد قال بقولنا. وان قال: لا بحياة ذاتية أزلية ولا بحياة عرضية، قلنا: فكأنك إذن لم تقل حياً لتثبت له حياة

---

١. أي يشبهون الصبيان... ويشبهون من يسلك...

٢. في النص: «وتصيرهم».

٣. «به أو «له»؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ذاتيّة أزلية ولا عرضية. فان قال: نعم، قلنا: فكيف استحق عندك اسم الحي وانما اسم الحي مشتق من الحياة، لأنا نسمي الإنسان حياً ما دامت الحياة فيه، فإذا فارقته روحه الحيّة سميناه ميتاً. فقد يلزمك، إذ جوّزت أن نسميه حياً ولا حياة له ذاتية ثابتة ولا عرضية باعتدال الطبايع والغذاء، أن تسمّى الأرض حية ولا حياة لها، وتسمي الماء حياً ولا حياة، وكذلك الهواء وكذلك النار وكذلك السماء وغير ذلك ممّا هو موات. لأنّا لا نعلم الشيء يُسمّي إلا بما له ولا يُسمّى بما ليس له. فلذلك لا تُسمّى هذه الطبايع الأربع وما أشبهها حيّةً، لأنه ليس لها في ذاتها حياة. ولا تُسمّى البهائم ناطقة، لأنه ليس لها في ذاتها نطق. وتُسمى نفس الإنسان حية ناطقة، لأن لها في ذاتها حياة وكلمة.

فقد وضح انه لا يسمّيه حياً إذ لم يثبت له...[1] كلمةً على ما وصفنا // من ذلك، وأنه قد [17 b] أعدم إلَهه الحياةَ فصيّره مواتا، جل الله وتعالى عن ذلك. وتقول له أيضاً: لمَ سمّيته حياً وأنت لا تريد أن تنسب له حياة؟ فان قال: لأنفي عنه أن يكون ميتاً، قلنا: فقد لزمك الأمرُ الذي هربت منه من قولك الذي نفيته به. لأنه كما سمّيته حياً لننفي عنه أن يكون ميتاً، وجب عليك، إذا نفيت عنه الحياة فلم توجبها له، أن توجب عليه الموت لا محالة، لأنه لا فرق بين أن تسمّيه حياً لتنفي عنه أن يكون ميتاً وبين أن لم توجب له الحياة فأوجبت عليه الموت، أو لأنه إذ كان باسم الحي انتفى اسم الميت فتبقى الحياة تحت اسم الموت. وكذلك شاهدنا كل من لم يوجب له حياة إما ذاتية وإما عرضية أوجب عليه الموت إذ كان الموت ضد الحياة لا محالة.

وكما أنك لو قلت فلان بصير، فقلنا لك: فهل له بصر؟ فقلت: لا، كنت قد كذبت عليه في تسميتك إياه بصيراً، لأنه إنما يجب له اسم البصر بما له من البصر، وتبين بقولك اني لم أرد بقولي انه بصير اثباتَ بصرٍ له، لكن أردت نفي العمى عنه، انك إنما أردت أن تنفى بإثباتك العمى، إذ نفيت

---

١. كلمة ممحوة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

البصر الذي تنفيه تحت ثبات العمى. كذلك لا يجب اسم الحي إلا بوجوب معنى حياة وانه لا يُنفى اسم الميت إلا بثباتها، وانك ما تطالبك إياها وإرادتك مع ذكر بذكر اسمها أن تنفي الموت لا يجب[١] ان تسميه ناطقاً إلا بما له في ذاته من كلمته، كما لا تسمّى البتة البهيمة ناطقة إذ ليس لها في ذاتها كلمة تُسمَّى، وتسمّى نفس الإنسان ناطقة إذ لها في ذاتها كلمة، ولا يُنتفى ضدّ النطق إلا بثبات الكلمة، فإذا لم تثبُت ثبت ضدّها لا محالة.

[18 a] فقد وضح .....[٢] ينبوع الحياة والحكمة إلا باسم الحياة والحكمة //، وأبطل معناها وأوجب انه غير حي ولا ناطق، وانه إذ هرب من إثبات الكلمة والروح لئلا يلزمه بتثليث المعاني في ذات الخالق فيبطل التوحيد عنده، وقع في أبطال الخالق البتة ويصير مواتاً لا حياة له ولا كلمة كالأصنام التي كانت تسمّى آلهة، والله في كتبه يعيّر عبدتها بانهم يعبدون الهة لا حياة لها ولا نطق ويصف عن نفسه في جميع كتبه ان له روحاً وكلمة، كما قال على لسان داود: «بكلمة الله خلقت السماوات وبروحه جميع جنودها»[٣]. وعلى لسان أيوب: «روح الله خلقتني»[٤]. وقال على لسان اشعيا: «كلمة الله قايمة إلى أبد الابدين»[٥] وعلى لسان داود أيضاً: في قوله: «كلمة الهنا قايمة في السماء»[٦]؛ أيضاً: «لكلمة الله الله أسبّح»[٧]. وأقاويلهم في الكلمة والروح أكثر من أن نحصيها ونثبتها في هذا الباب.

ونحن نقول: نحن نبرأ إلى الله من القول بثلثة الهة. بل لا نريد بقولنا الاب والابن وروح القدس أكثر من تصحيح القول بأن الله حيّ ناطق. فالاب هو الذي قصدنا إليه بأن له حياة وكلمة. والحياة روح القدس، والكلمة الابن،

---

١. الجملة غامضة التركيب.
٢. كلمتان غير مقروءتان.
٣. مزمور ٣٢: ٦.
٤. أيوب.
٥. اشعيا.
٦. مزمور.
٧. مزمور.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لا كما ينسبنا مخالفونا إليه من تصييرنا لله صاحيةً وولداً منها، تعالى الله عن ذلك علواً كثيراً: كما تولد الكلمة من النفس...[١] بل وفوق[٢] ذلك من اللطافة والغموض بما لا تدركه أوهام الملائكة الروحانيين ولا الأنبياء المرسلون. ولم نذهب في كلمة النفس إلى ظاهر الحروف المؤلفة التي تتوهّمها محدثة. لأن الكلام على أربعة أوجه: فمنه كلام مسموع يظهره الصوت، ومنه كلام منظور إليه يظهره الخطّ، ومنه كلام متولّد // في النفس لم تعبّره الشفتان ولم يتبين [18 b] المداد ولم يظهر للعيون، ومنه القوة التي للنفس التي بها أمكن أن نُظهر الكلام ونقدر الأشياء وندبر الأمور ونسوس العالم ونستعبد البهائم. فلذلك، القوّة للنفس قولُ أهل دين النصرانية في كلمة الله، وفوق ذلك في الكمال بما تقصر عنه الأوهام.

وقولهم في الحياة أعني روح القدس انها ذاتية أزلية لا بحياة الأجسام العرضية التي لا ثبات لها ولا بقاء، بل لم تزل ولا تزال ولم يخلُ قط منها ولا يخلو منها إلى أبد الآبدين. وبذلك يصح قولهم انه حي ناطق. ولا يلزمهم مع ذلك ان يكونوا قد قالوا بثلثة آلهة. لأنّا قد نرى النفس، إذ ثبتت لها الكلمة والحياة، لم تصر لذلك ثلثة أنفس، ولا النار إذا ثبتت لها الحرارة والضوء صارت ثلاثة نيران، ولا الشمس إذا ثبت لها النور والحرارة صارت ثلثة شموس، بل كما للنفس والنار والشمس؛ وصحّ بذلك، لأنه بصحة الحياة والكلمة للنفس جوهريّة[٣] صارت نفساً حية ناطقة. ولولا ذلك صارت مواتاً. وبصحة الحرارة والضوء للنار كملت ناراً منها فصارت ناراً ولم تصر ماءً ولا غير ذلك، ولو عدمت الحرارة والضوء لم تسمَّ ناراً. وكذلك الشمس بنورها وحرارتها سُمّيت شمساً، ولو فقدت النور والحرارة لأظلمت وبردت ولم تُسمَّ شمساً. فقد تجد النفس وكلمتها وحياتها نفساً واحدة، والنار وحرارتها وضوءها ناراً واحدة، والشمس ونورها وحرارتها شمساً واحدة. ولم يُبطل تثليثُها توحيدَها ولا توحيدُها تثليثها.

---

١. «اسمع جود»: كلمتان هنا عاصيتان على الفهم.

٢. في المخطوطة: «وقوف».

٣. أي بصحة الحياة والكلمة الجوهريتين في النفس...

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[19 a] // فان قال قايل: فكيف سميتم الكلمة والروح قنومين في الله، ولم تسمّوا كلمة النفس وحياتها قنومين ولا حرارة النار وضوءها ولا نور الشمس وحرارتها، قلنا: فعلنا ذلك لكمال الخالق وعلوّه عن أن تكون كلمته وروحه ناقصين غير كاملين. لأن القنوم عندنا شيء كامل غير ناقص ولا يحتاج في غيره إلى ثباته. وهذه القوى التي ذكرنا للنفس والشمس والنار ناقصة عن الكمال بقدر نقص الأشياء التي هي لها، إذ هي مخلوقة، عن الخالق. ولا تُسمّى اقانيماً لنقصها. ولم نعطك المثل من المخلوق على الخالق في كمال المخلوق مثل الخالق. حتى إذا سميت المعاني الثلثة التي وجد الخالق معروفاً بها أقانيماً لكمالها، سميت أيضاً المعاني الثلثة التي وُجدت الجواهر المخلوقة معروفةً بها أقانيماً. ولو وجب ذلك فما كان الفضل بين الخالق والمخلوق إذ كان كل ما وجدته للخالق أوجبته للمخلوق.

وإنما أعطينا المثل، إذ كان ليس لله شبيه يُعطى المثل منه على الاستواء، في انّا وجدنا شيئاً واحداً معروفاً بثلثة معانٍ فلم يبطل تثليث معناه توحيد جوهره ولا توحيد جوهره يبطل تثليث معانيه. بل هو ثابت في جوهره على وحدانيته وفي معانيه على تثليثها. والمثل لا يكون مثل الشيء الذي يُضرب له المثل في كل شيء. كما أن إنساناً لو سألك أن تعمل له مثالَ بعضِ من لم يره من الملوك فمثّلته له فلم يجده يتحرك ولا يبصر ولا يسمع ولا يشمّ ولا يذوق ولا [19 b] يمشي فقال لك: فلان يتحرّك ويبصر ويسمع ويذوق ويشمّ وما // أشبه ذلك، وهذا ليس على شيء من هذه الخصال، فكيف قلت انك قد عملت مثله. كأن قد غلظ عليك انه[1] لا يمكنك أن تجعل المثال في كل شيء مثلَ الذي مثّلته به. ولو كان ذلك لم يسمَّ مثلاً ولكان هو الشيء بعينه، لا سيّما إذا كان الشيء الذي يُمثَّل به ليس في قوتك فعل مثله في كل شيء. فلذلك ليس يمكنّا أن نعطيك المثال من المخلوق على الخالق في كل شيء، لأنه لا يشبهه ولا تجد في المخلوقين كاملاً مثل الخالق حتى يجتمع ما في الخالق فيه فيكون مثلَه في كل شيء. وإنما أعطيناك

---

١. في النص «لانه».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ممّا شاهدت شيئاً موحَّداً في جوهره مثلَّثاً في معانيه لئلا يُنكر إمكان ذلك، ليس انّا نجعل للخالق مثلاً. كما انك أنت إذا قلت ان الخالق واحد في المعنى، لم ترد تشبّهه بالعرض الذي هو دون الجوهر إذ هو متوحّد في معناه.

على أنه كان يجب عليك ألاّ تخصّ خالقك في إيمانك به بأخسّ ما شاهدت فانك تعلم أن الأشياء لا تخلو من أربعة وجوهٍ: إما **جوهر** كقولك إنسان. وإمّا **قنوم** كقولك موسى وداود وسليمن. وامّا **قوىً** كحرارة النار وشعاع الشمس. وإما **عرض** كالسواد في المسوَدّ والبياض في المبيضّ. فاكمل هذه الأربعة الأشياء الجواهرُ والأقانيم. لأن الجواهر كلها لها هذه القوى من مثل الحرارة للنار والشعاع للشمس، وهي تحتمل الاعراض أيضاً. وكل جوهر أيضاً فله قوّتان: مثل الأرض لها البرودة واليبس، ومثل الماء له البرودة والرطوبة، ومثل النار لها الحرارة واليبوسة، ومثل الهواء له الحرارة والرطوبة. فهي متوحدة في جواهرها مثلثة في معانيها. والأقانيم أيضاً // مثل قولك موسى، داود، سليمن، وكل واحد قايم بنفسه مستغنٍ عن غيره. فاما [20 a] الاعراض والقوى المتوحدة في معانيها لا تقوم بأنفسها مثل الجواهر والأقانيم، فهي محتاجة إلى الجواهر التي تحملها وتكون فيها.

فعمدت إلى أخسّ الأشياء وأفقرها وأحوجها إلى احتمال غيرها إياها فوصفت خالقك بها ووحّدته في معناه مثلها. لأن الحرارة منفردة بمعنى الحرارة، والبرودة منفردة بمعنى البرودة، والبياض منفرد[1] بمعنى البياض، والسواد منفرد بمعنى السواد، ولم يتّسع له، عن ضيقك عليه، إلى أن تجعل له حياةً وكلمةً فيكون غنيّاً في ذاته بحياته وكلمته، وتكون قد نسبته إلى أشرف ما وجدت عندك ولا تكون نسبته إلى أوضع وأخسّ وأفقر ما شاهدت. كما أن أهل النصرانية إذ وجدوا الخالق واحداً معروفاً بثلثة معان وكان الجوهر عندهم أكمل ما وجدوه لديهم وهو يعمّ أقانيم[2] كثيرة كما يعمّ جوهر الإنسان جميع أقانيم الانس، وأرادوا تثبيت تصحيح إثباته للناس، سمّوه جوهراً. وإذ كان كاملاً غنياً لا يجوز أن تُنسَب معانيه إلى

---

١. في المخطوطة: «منفردة».

٢. في النص «أقانيماً».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ما وجوده نقصاً عندهم، وكانت الأقانيم كما شاهدوا مستغنية بأنفسها غير محتاجة ولا ناقصة مثل الاعراض المضطرة إلى الجواهر التي بجملتها المتوحدة في المعنى، سمّوها أقانيم[١]، بعد أن وجدوا ذلك في الإنجيل أيضاً مذكوراً. فكان ما نسبوا الخالق إليه، مهما أخبر به عنه من توحيده في الجوهر وتثليثه في الأقانيم، كما وجدوا أكمل الأشياء عندهم //. كذلك أخس فيما [20 b] نسبت إليه خالقك في وحدانيه معناه، إذ وجدت ما كان كذلك من الاعراض والقوى المتوحدة في معانيها خسيساً دون ما كان متوحداً في الجوهر معروفاً بثلثة معان.

فان قال قائل: فإذ قد أثبتَّ لله الكلمة والروح فقلت انه وهما ثلثة أقانيم، فلمَ لا تثبت له أيضاً سمعاً وبصراً وحكمةً وعلماً وقدرةً وقوةً وعفواً ومعرفةً ورحمةً وكرماً وجوداً ونعمةً وإرادةً وما أشبه ذلك جوهريةً أيضاً. فانك كما أسميتَه حياً ناطقاً فأثبتَ له حياة وكلمة، كذلك سمّيته سميعاً بصيراً حكيماً عليماً قادراً قوياً عفوّاً غفوراً رحيماً كريماً منعماً مريداً وما كان بذلك شبيهاً، قلنا:

صرنا إلى ذلك لأنا وجدنا الحياة والنطق من سوس[٢] الذات ومن بنية الجوهر، وليس غيرُهما من خالفهما كذلك، لأنا رأينا الأرض مواتاً فجُبلت منها الأجساد ففَصَلَ بينها وبين ما جُبل منها معنى الحياة، فسمّينا الأجساد لذلك دونها حيواناً. ثم رأينا الحيوان قد فصل بينها معنى النطق فسُمّي بعضها لذلك ناطقاً أعني الإنسان، وبقي سائرها غير ناطق مستحقاً لاسم البهائم والدواب. ولم يحد السمع والبصر والعفو والمغفرة والرحمة والجود والكرم بغير الجوهر عن حاله ولا يُفصل بين بعضه وبعض، لأنا نرى في جوهر واحد السميع وغير السميع، والبصير وغير البصير، والغفور والرحيم وغير الغفور ولا الرحيم، والجوّاد والكريم وغير الجوّاد ولا الكريم؛ فلم تختلف // الجواهر باختلاف ذلك ولم تتغيّر عن حالها[٣] حتى تنقسم إلى جواهر آخر، [21 a] كما رأينا معنى الحياة فصلَ بين الأرض وما جُبل منها

---

١. في النص «أقانيماً».

٢. «السوس» أي الأصل، الطبع.

٣. في المخطوطة: «حاله».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حتى سُمّي حيواناً وهي موات لا حياة لها؛ وكما رأينا معنى النطق فصل بين جوهر الحيوان حتى سُمّي به بعضها بهائم ودواب وبعضها ناطق. فلذلك أثبتنا الحياة والنطق دون ما ذكرناه في ذات الخالق جوهرية، إذ وجدناهما من سوس الجوهر. وكان قد نسبهما إلى نفسه وأكّد الشهادات في كتبه عليها. ونحن نبيّن بعد هذا شيئاً شيئاً باشرح من هذه الجملة إن شاء الله.

أما السمع والبصر فلا يجب أن توجبهما لله جوهرين، لأنهما **جارحتان** رُكّبنا في أجسادٍ مؤلفة، ولا جسم لله تُركَّب فيه جارحتان. وإنما أردنا بقولنا سميعاً بصيراً أيّ عالماً، لأنا إذ كنّا إنما ندرك الأشياء بالسمع والبصر وكان الله قد كلّمنا بما نعقل فيثبت إلى نفسه ما هو لنا ليُفهمنا بذلك دَرْكَه الأشياء، إذ كنا لا نفهم انها لا تُدرك إلاّ من هذه الجهة.

وأما العدل والرحمة والكرم والجود والانعام والعفو والمغفرة، فإنما هي **أفاعيل** منذ صار إليها في خلقه. فإذا عاقبهم باستحقاقهم سمّوه عدلاً، وإذا رحمهم سمّوه رحيماً، وإذا تفضّل عليهم سمّوه كريماً، وإذا جاد وأنعم عليهم سمّوه جواداً منعماً، وإذا عفا عنهم وغفر لهم سمّوه عفوّاً غفوراً. وهذه الأفاعيل إنّما تُنسَب إلى من كان ناطقاً. وإذا ثبت له النطق ذاتياً أمكنه أن يستعملها ويصير إليها. لأنا لا نقول رأينا حملاً عدلاً ولا فيلاً كريماً جوّاداً ولا فرساً رحيماً منعماً ولا ثوراً عفوّاً غفوراً، لعدم البهائم النطق // الذي عنه تكون الفضايل من هذه الأفاعيل [21 b] وما أشبهها.

وأما الإرادة فعلى ضربين: أحدها اضطرار كإرادة ما ليس بناطق لمَا يقوم به من شأن طبيعته، كالنمل التي تجمع ما يقيم حياتها في الصيف للشتاء بلا تمييز منها ولا حكمة ولكن بما طُبع فيها. والآخر إرادة اختيار كإرادة من يختار أمراً يتأمّل فيه قبل فعله نفعاً له ولغيره، فلا تُنسب إرادة الاختيار إلاّ إلى ذي حكمة. فإذا ثبتت الكلمة للجوهر أمكنه أن يختار، إذ كان الاختيار فضيلة لا يكون لما لا كلمة له. وليست الإرادة من سوس الجوهر، لأنه ليس الفصل بيننا وبين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الحيوان بها دخل، لأنا نُجمَع معها[١] في الإرادات فلم ننفصل منها[٢] بما اجتمعنا فيه لكن بمعنى النطق الذي ثبت لنا بفضلنا به منها، فصار لنا دونها بانفصالنا من الأرض الموات ليس بما يجمعنا معها من الوجود، لكن بما خُصصنا به دونها من الحياة.

وكذلك انفصالنا من البهائم ليس بما يجمعنا معها من الحياة لكن بما خُصصنا به من النطق. وكذلك ليس بالإرادات انفصلنا من البهائم لاجتماعنا معها فيها فصارت الارادات الموجودة فينا وفيها لنا، بفضيلة النطق، باختيار، ولها، بعدمها النطق، باضطرار. فليست الإرادة من بنية الجوهر كالحياة والنطق، بينا[٣] ثبت انه لا ينفصل بها جوهر من جوهر كما انفصل جوهر الحيوان من الأرض بالحياة وجوهر الناطقين من الحيوان بالنطق.

وممّا يدل على ذلك أنّا نقول: يريد الله بنا كذا وكذا ولا يريد كذا وكذا، ونريد أن نعبده ولا نريد أن نكفر به //. ونقول: كان يريد أن نعبده في بيت المقدس، ولا يريد منا اليوم كذلك. [22 a] ولا يجوز مثل ذلك أن نقول فيما كان من بنية الجوهر من الحياة والنطق إن الله حيّ في وقت آخر أو ناطق وليس بناطق، لا ولا فيما يستحق أن يقال فيه ما يستحقه الناطقون[٤] بكلمتهم من الأسماء الشريفة.

وأما القدرة والقوة فعلى ضربين: أحدهما جسماني والآخر روحاني. فأما الجسماني فَكَقوّة الفيل بعظَم بدنه على حمل رجال، وكقوة البعير بقوة بدنه وأعضائه على حمل أثقال. وأما الروحاني فكَقوَّة النفس اللطيفة أعني كلمتها التي أظهرت بها أمرها ونهيها فسمعت الأشياء وأطاعت لها، واستُعبدت البهائم التي هي أقوى منها أبداناً بها، وساست أمر العالم وأحكمت تدبيره بها. فقدرة الله وقوته ليست بالأعضاء كما وصفنا من قوة الجسمانيين لأنه لا جسم له. لكنها كقوة النفس التي ذكرنا أعني كلمته التي بها قامت السماء والأرض.

---

١. معها، الضمير عائد إلى الحيوان.

٢. في النص: «ينفصل».

٣. في المخطوطة: «بين».

٤. في المخطوطة: «الناطقين».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وأما الحكمة والعلم فليس يُنسبان إلا إلى ناطق ذي حكمة. لأنا لا نسمي ما ليس بناطق حكيماً ولا عليماً كما لا نقول رأيت حماراً عالماً ولا ثوراً حكيماً. ونسمي الناطقين حكماء علماء كما نسمي أرسطو لحسن كلامه في وضعه كتب المنطق حكيماً، ونسمي جالينوس لما وضع من الكتب في الطب وأدرك فيه عالماً. والحكمة والعلم راجعان إلى الكلمة، إذ كانا لا يُنسبان إلاّ إلى ذي كلمة. فإذا رأيت ذا الكلمة يدرك الأشياء الموجودة على ما هي عليه مميز منه[١]، لذلك سمّيتَ كلمته علماً. وإذا رأيته يدرك بها كيفيتها وأسباب وجودها، سمّيتها حكمة. ولو كانت الحكمة والعلم على // غير ما وصفنا لوجب، إذ رأيت بعض الناس حكيما وبعضهم [22 b] ليس بحكيم وبعضهم عالماً وبعضهم غير عالم، تكون جواهرهم قد اختلفت وانفصل بعضها من بعض فصار جوهر الحكيم غير جوهر من ليس بحكيم، وجوهر العالم غير جوهر من ليس بعالم. كما إذا رأيت بعض الحيوان ناطقاً مثل الإنسان وبعضهم ليس بناطق مثل البهيمة، أوجبتَ أن جوهر الناطق غير جوهر ما ليس بناطق أعني النطق النفساني، وان عُدمَ الأخرى عبارتَه، لأنه علّة، فلم يبطُلْ نطقُه ولا فكره في نفسه ولا يخرج عن جوهر الناطقين.

وكذلك نقول في كلمة الله؛ إذ رأيناه يدرك بها الأشياء على ما هي عليه ويحيط علماً بها سمّيناها علماً. وإذا رأيناه يُحكم سياستها وتدبيرها سميناها حكمة. فقد تبين أن الحكمة والعلم راجعان إلى الكلمة، وانه لا يُنسب إلى حكمةٍ وعلمٍ إلاّ من كان ناطقاً ذا كلمة. فقد وضح أنه ليس شيء يجب أن يكون من بنية الجوهر ومن ذات الطباع إلا الحياة والكلمة. فلذلك ننسبَ الإنجيلُ المقدس وما تقدمه من الكتب الروحَ والكلمةَ إلى ذات الخالق. ولا يلزم النصرانية لذلك ان تكون ادخلت على الخالق تبعيضاً ولا تقسيماً، لأن التبعيض والتقسيم إنما يقع[٢] على الأجسام والله ليس بجسم، ولم نرَ النفس الروحانية اللطيفة تجسّمت ولا تبعّضت ولا تقسّمت بثبات الحياة والكلمة لها في ذات جوهرها؛ بل بالوهم منا نعلم ذلك

---

١. هكذا في المخطوطة.

٢. والأصح يقعان.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لا بتجسّمها هي ولا تجزئها ولا تقسيمها. ولا رأينا النار تجسّمت ولا تبعّضت ولا انقسمت
[23 a] باثباتنا لها الحرارة // والضوء؛ وإنما لنعلم انها ألطف الطبايع لأنها غير مرئية بذاتها ولا ملموسة ولا محسوسة بل مستكنّة بلطافتها في الأجسام، وانه جوهر لا يحس بها ولا يحرق بحرارتها؛ ومع ذلك، من لطافتها، فحرارتها وضوءها موهوم[١] فيها ولها. وكذلك يبدو، إذ ظهرتْ بتعلّقها بغيرها، ما لها في ذاتها من الحرارة والضوء فلم تنقسم ولم تتجزأ مع لطافتها ووجود المعاني فيها.

فالله جلّ ثناؤه، إذ كنا أيضاً بالوهم نعلم، إذ هو واحد، انه موجود بثلثة معان، أولى ألاّ نتوهم عليه بذلك تبعيضاً ولا تقسيماً، إذ كان ذلك للأجسام وليس هو بجسم؛ وقد وجدنا في بعض خلقه ذلك فلم ينقسم له ولم يتبعّض، بل يقبل ذلك كما أخبرنا في كتابه الذي صحّ عندنا أنه بآياته القاهرة ظهر، مؤمنين بأنه جوهر واحد معروف بثلثة أقانيم، محيط بالسماء والأرض غير محدود ولا منظور إليه، أزلي لم يزل ولا يزال إلى أبد الآبدين.

٦ ــ القول في الاتحاد

فإذا أوضحنا ما نذهب إليه في الايمان بالآب والابن وروح القدس، وأنّا نؤمن بأنه واحد خالق لكلّ شيء محيط بكل شيء، فانّا نترك ما يتفرّع من المسائل في ذلك والجوابَ عليها كراهةً لطول الكتاب، وننصرف إلى ما يشنّعون به علينا في قولنا أن المسيح ابن الله ويقرّعون[٢] به الناس في حكايتهم عنا أنّا نقول ان الله اتخذ صاحبة وولداً[٣] منها، تعالى الله عن ذلك علوّاً كثيراً؛ وفي ذكرنا إظهار الله تدبيرَه في جسدٍ منا، وصَرْفهم ذلك إلى أنّا نقول انه حلّ في بطن
[23 b] مريم وحصر ذاته فيها؛ وفي ذكرنا أن المسيح // صُلب، وصرْفهم فهمَ ذلك إلى إدخالنا الضعف على الله؛ وفي ذكرنا المعمودية وأخذنا القربان على أنه جسد

---

١. والأصح «موهومان».

٢. في المخطوطة: «ويقرعوا».

٣. سورة الجن، الآية ٣.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسيح ودمه؛ وفي ايماننا بأن ثوابنا في العالم الدائم ليس بالنكاح والأكل والشرب؛ وفي إكبارهم ذلك علينا. ونبيّن في ذلك كله نعمَ الله على الروحانيين والجسدانيين وإظهاره حياة البشر من الموت وصعودهم من الأرض إلى السماء ومحلّ الخلد والبقاء.

فابتدئ من ذلك بأوحش ما وجدوه عندهم وأشنعه لديهم، إذ ودعت قلوبهم أنّا نقول أن الله اتخذ صاحبة وولداً[١]. فأقول في جملة ذلك إنّا نبرّ إلى الله من أن نقول أنه اتخذ صاحبةً، وان بعضنا ليرفّع نفسه عن ذلك[٢] فكيف ينسبه إلى خالقه، جلّ الله تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً. لكنّا نسمي كلمة الله ابناً على ما حكى الإنجيل من ذلك. ولا نقول أن كلمة الله جسم. فقد تجد بعض خلقه أعني النفس الروحانية اللطيفة قد تُولد منها كلمتها بما لا تعقل ولا تدرك، فكيف لا تقول في كلمة الله أن ذلك فوق درك الملائكة الروحانيين والأنس أجمعين.

واني لأحبّ أن أسألهم لِمَ استشنعوا تسميتنا الكلمة ابناً على ما في كتب الله من ذلك؟ ألعلّ ذلك لما وجدنا البنين عليه عندنا لا يكونون إلاّ بنكاح نستحي من إظهاره ونستقذر المني الذي يكون به حتى نغتسل منه وينشأ[٣] خلقهم منه ويمكثون في ظلم البطن تسعة أشهر ويخرجون بالطلْق الشديد من أرحامٍ ضيّقة مع دم كثير؟ فانّا نعلمهم أنّا نبرّ إلى الله من ذلك كلّه، لأن الابن عندنا ليس بجسد // ولا ذي أعضاء ولحم ودم، وليس ولادتُه في أزليته من جسد [24 a] امرأة، بل هو كلمة الله التي لا تحدّ ولا تدرك. وولادُه فوق ولاد النور من الشمس والكلمة من النفس بما لا يوصف.

وان كان[٤] لأن البنين عندنا يكونون في وقتٍ وزمانٍ، فانّا نعلمهم ان الابن لم يزل بغير زمان ولا ابتداء أوان. وان كان ذلك لأن البنين عندنا تتغيّر بنوتهم حتى يصيروا آباء ثم يصيروا أجداداً ثم يموتوا[٥] بعد ذلك، فيبطل ما سُمّوا به منه، فيكون ذلك

---

١. سورة الجن، الآية ٣.

٢. إشارة إلى المتبتلين.

٣. في النص: «وينشوا».

٤. أي: وان كانوا يستشنعون تسمية الكلمة ابناً بسبب...

٥. في النص: «يموتون».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

دليلاً على ضعف تلك المعاني التي سُمّوا بها، فانّا نعلمهم أنّ تغيّرَ بنوتهم وتنقّلها إلى غيرها حتى تبطل أيضاً، إنما هو لأنها ليست لهم في ذواتهم وإنما هي مستعارة عندهم من الأبوة. والبنوة المتعالية التي هي في الذات ولا تتغيّر ولا تنتقل ولا تبطل لتكون هذه مثالا لتلك ليُستدلّ بها عليها، وان كان المثال غير جامع لكمال الشيء الذي مُثّل به فيُعلم ان كان الابن عندنا ليس هو فعل الاب بل من جوهره، وان الأبوة لم تتقدم البنوة، إذ كان الإنسان لا يُسمّى أباً حتى يكون له ابن، فيكون وجود الأبوة والنبوة معاً. ان كلمة الله أيضاً إذا سُمّيت ابناً فليست فعله بل من ذات جوهره وانها لم تكن فعله وكانت من جوهره، وكان جوهره لم يزل هي لم تزل ولم يخلُ قط منها. ولو كان خالياً من كلمة في وقت من الأوقات للزم أن يُقال انه غير ناطق ولا عالم. وان كان الاب منّا في كونه ووقت حدوثه، قبل أن يقع عليه اسم الأبوة، متقدماً للابن في كونه ووقت حدوثه، فذلك لأنهما جسمان // محدثان: محدثٌ يحدث واحداً بعد الآخر، لأن الأبوة والبنوة ليست لهما أيضاً في ذاتهما، وإنما أعيرا أسماء مما هو للخالق في ذاته لأنه سمّانا بكل ما له في ذاته من الأسماء الشريفة مثل حيّ حكيم عالم ناطق وغير ذلك. [24 a]

وليس يستدل بتسمية الكلمة ابناً[1] ــ إذ عرفنا الابن في المخلوق من ذات جوهر الأب وليس فعله ــ إلاّ على أن الكلمة جوهرية لله ليست فعله، لا على أن الله جسمٌ حدث فيه جسمٌ آخر. بل إذ كانتا، الأبوة والبنوة، خاصيّتين فيه محدثتين لنا معاً ليس واحدة منهما[2] بعدم الأخرى، إذ كان الاب والابن منا محدثين مخلوقين، وجب أن نعلم أن الأبوة والبنوة في ذات الخالق أزليين غير متقدمة واحدةٌ الأخرى. وإذ كان لا يكون في ذات الخالق شيء محدث ولا متقدم ولا متأخر، والمثل إذا ضرب لنا في شيء فليس نجيزه[3] على كل شيء بل نقتصر به على

---

١. في النص: «ابن».

٢. في النص: «منها».

٣. «نجيره» أو «نجيّره» أو «نجبره».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المعنى الذي قُصد له. كما أنه إذ[١] سمّانا خالقنا من أسمائه الشريفة التي هي له في ذاته من مثلٍ حيٍّ حكيمٍ عالم ناطق ليُستَدلَّ بشرفها على أنها له لم تكن لنا في ذاتنا، فنفضّل علينا بتسميتنا بها، لم يجز لنا ــ إذ رأيناها محدثة لأنّا محدثون ــ ان نقول انها للخالق محدثة أيضاً، إذ هو أزلي. بل لزمنا ــ إذ كان للخالق بالحقيقة، ولنا منه بالاستعارة ــ أن نقول انها له أزلية، إذ كانت لنا زمنية، وهي له ثابتة، إذ كانت فينا منتقلة بائدة في هذه الدنيا.

هذا ونحن نجد اسم الأبوة والبنوة أشرف من هذه الأسماء وأعظمها بركة علينا وأكثرها قدراً عندنا، إذ ببركةٍ ما وُضع علينا من اسمها من روح // واحد ذكر وأنثى، امتلأ العالم بشراً [25 a] ذكراناً واناثاً وعمرت الدنيا، ليعلم ان بها كثر العالم وبقي فلم تبدأ بها خواص الخالق الذي أحدث العالم أكثر منا بتسميتنا بها. ولولا بركة ما أُعرنا من اسمها لما أعني ما سُمّي به آدم من قبل حياً عالماً ناطقاً[٢] وما أشبه ذلك، ولمات وزوجته وبطلا وبطلت الدنيا وكانت الآخرة ببطلانها تبطل أيضاً. فالبركة والنموّ وبقاء الخلق لم يكن إلاّ بما أكرمنا به الخالق من تسميتنا بما هو له في ذاته من الأبوة والبنوة، لا لأن ما هو لنا في ذاتنا، لأنا ان رجعنا إليه لم نجده[٣] إلا الموات ورجوعنا إلى ما منه انتسبنا أعني الأرض الموات.

وان كان ذلك[٤] لأن البنين عندنا أجسام، فانّا نعلمهم ان معنى الأبوة والبنوة غير جسمَي الاب والابن عندنا. وليس ذلك شيئاً لهما في ذاتهما؛ لأنه قد يبقى الإنسان حيناً لا يُسمى أباً حتى يحدث منه جسم آخر فيجب لهما جميعاً اسم الأبوة والبنوة، ثم ينتقل اسم البنوة عن الابن حتى يُسمى أباً لم يبطل ذلك عنه أيضاً بالموت.

فلمَ تنفر أيها السامع من ذكر الأبوة والبنوة وليس هي من الأجسام، وكان يجوز أن يخرج الإنسان من إنسان مثله فلا يُسمّى ذلك أباً ولا هذا ابناً، كما

---

١. في النص «إذا».

٢. في النص: «حي عالم ناطق».

٣. أي لو رجعنا إلى ما هو من طبيعتنا، لما وجدنا إلا الأصل الموات.

٤. وان كانوا يستشنعون تسمية الكلمة ابناً، لأن البنوة بين الناس لا تكون إلا جسمية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خرجت حوّاء من آدم فلم تُسمَّ ابنه ولا سُمّي أبوها، وكما يخرج الثمر من الشجر ولا تُسمى الشجرة أباً ولا الثمرة ابناً. وهذه البهائم إن كانت تلد فليس تُسمّى اباء ولا بنين: كما نقول أشبال السباع وجري الكلاب وسخل الغنم، ولا يُقال بنون ولا اباء، لئلا يشركوا الانس في وقار // [25 b] الأبوة والبنوة اللتين هما خاصتان للخالق.

فخالقك جلّ ثناؤه أيها الإنسان أكرمك بما ليس في جوهرك فظننته لذاتك وصار نقصاً عندك فتكسبت[١] ما يجب من الشكر إلى الطعن والذم. ونحن نعلمك بعد ذلك أن ابن الله ليس بجسم بل محيط بكل شيء غير محدود ولا مُدرك بشيء من العقول.

وان كان ذلك، لأن الشرف والتعظيم عندهم أن يقال انه لم يلد ولم يولد[٢]، فليعلم قائل ذلك انه ان كان التعظيم عندهم أن يقال فيه انه لم يلد ولم يولد فقد أوجب التعظيم للدود والبقّ والبعوض والصبيان وجميع ما يتجنن[٣] ويتكون [ان كان التعظيم عندهم أن يقال][٤] ــ، وتعظيم الجراد فانه إنما يزرع شيئاً لا صورة له ولا حياة ثم يتصور ويتكون بعد ذلك بحين ــ، وتعظيم العصافير والخطاطيف والزنابير والدجاج والفراخ وسائر الطير الذي يبيض وليس يلد الطير طيراً ــ، وتعظيم الأشجار والزروع نعم وما لا حياة له من الحبوب والبزور والصخور والحجارة، وجملة ذلك جميع الطبائع والموات أعني الأرض والماء والهواء والنار. فان كل شيء من ذلك لم يلد ولم يولد.

فان كانت هذه الأشياء من الحيوان والموات التي ذكرنا أخسّ ما في العالم، والإنسان الذي له الأبوة والبنوة أعظم ما في العالم، نعم والحيوان الذي يلد ويولد وان كانت لا تُسمّى اباء وبنين لئلا تُشرك في وقار ذلك، أعظم من تلك الأشياء التي لم تلد ولم تولد، فقد وضح عندهم انه لم يشاهدوا النقص والخساسة إلا

---

١. في النص: «فنكست»، ولعلها «فتنكبت عما...».

٢. سورة الإخلاص، الآية ٣؛ يعني: وان كان رفضهم الأبوة والبنوة هو بسبب الشرف...

٣. في النسخة «تجنن»، وهي يتجنن، أرادها المؤلف بمعنى لم يصبح جنيناً.

٤. هكذا في النسخة وهي ترديد لما سبق سهواً من الناسخ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فيما // لم يلد ولم يولد، ولا الشرف والرفعة إلا فيما وُلد وولَد. ولو كان ما لم يولدْ أعظمَ [26 a] الأشياء لكانت حواء إذ لم تُولَد من جميع الأشياء، وكان الشيطان الذي لم يلد ولم يولَد أعظم من إبراهيم خليل الرحمَن. ولو كانت الأبوة والبنوة نقصاً لما كان شيء في العالم انقص من البشر الموجودة فيهم، ولا أرفع من الخنافس وما يتبعها من الدود والبقّ والبعوض وجميع ما وصفنا من الهوام والموات. فان ذلك كله لم يلد ولم يولد.

فإذ وجدنا الإنسان أشرف الأشياء كلها وأكرمَ على الله منها ومن الملائكة أيضاً، علمنا أن الشرف والجلالة فيما يُولَد وولَد، وان كان ذلك وقع على اختيار فقد رفعها وشرّفها، ولم ينقصه ولم يضعه؛ وان الخساسة والنقص فيما لم يلد ولم يولد؛ وأيقنّا ان شرفنا ورفعتنا بوقوع اسم الأبوة والبنوة علينا. انها خواص الخالق جلّ ثناؤه كما أخبر به في كتابه الطاهر المقدس الذي ثبت في العالم بإقامة الموتى والعجايب التي لا توصف؛ وعلمنا أن خالقنا لم يُبق شيئاً مما هو له في ذاته من الخواص ومن أسمائه الشريفة إلاّ سمّانا به مثل حيّ عالم حليم ناطق ملك عزيز جبار قوي مقتدر كريم جواد رحيم وما أشبه ذلك فيه. يُسمّى الإنسان بهذه الأسماء كلها والخالق وحده هو مستحقّها دون خلقه. فله الحمد على تفضيله واحسانه ومنّه.

وان كان ذلك لأنهم رأوه للإنسان ولا يحسن عندهم أن ينسبوا لله ما هو للإنسان، فانّا
[26 a] نقول: فان الإنسان، إذ يُسمّى حياً عالماً جواداً كريماً منعماً متفضّلاً // وما كان بذلك شبيهاً، فلا يسمون الخالق به أيضاً[1].

فان قالوا: فإنما ذلك للخالق ففضّلنا واكرمنا بأن سمّانا به، قلنا: ولمَ لا تجعلون أيضاً الأبوة والبنوة، أذلك[2] أعجب أم الإنسان؟ وبعجبه وعظم قدره وبركة اسمه كثُرَ العالم ووجدنا فيه، بوجودنا في هذا العالم نجد العالم الذي لا يفنى.

---

١. أي إذا كان الإنسان يسمى كالخالق حياً عالماً...، فلم لا يسمون الخالق أباً وابناً...

٢. في النسخة: «إذ ذلك».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فان قالوا: فان ذلك نقص علينا، فقد عددنا عليهم وجوه النقص ونفيانها عن تلك الأبوة والبنوة العجيبة المتعالية عن الدرك العالية للصفات. فما حجتهم بعد رفع ذكر النقص في تركهم الحاق ذلك بتلك الأسماء التي ذكرنا. واني لأحب أن أعارضهم بما وجدوه يكون بالنقص عندهم مثل الرحمة التي لا تكون منهم إلاّ بأن تؤلم القلب وتعصره، والغضب الذي لا يكون منهم حتى ليبدّل[١] ما كانوا عليه من قبل، والرضى الذي لا يحدث منهم إلا بعلة تقدم علمهم بما أوصاهم من بعد، حتى ينفوا ذلك وجميع ما أشبهه عن الخالق أيضاً. لأنه إذ كان ما وجدوه بالنقص عندهم لا ينسبونه إلى خالقهم، فليس ينبغي أن ينسبوه إلى الرحمة والرضى والسخط والغضب وما أشبه ذلك. وان لم ينسبوا ذلك إليه، لمَا جرى به حكمهم على أنفسهم وكفروا به وبكتبه التي تصف ذلك عنه. إلاّ أن يرجعوا فيقولوا: انّا نسميه بهذه الأشياء وننفي عنه النقص الذي يكون بدا منا[٢]. فأقول: فلمَ لا تنسبون[٣] إليه الأبوة والبنوة وتنفون عنه النقص الذي يكون به عندنا، فلا أظن لهم في ذلك حجة أكثر من أنهم فزعوا من ذلك فليس تأنس قلوبهم به مع // نفورها لما غدوا[٤] به من الفزَع من ظاهر الأمور دون التصفح لباطنها، والا حدوثه[٥]. [27 a]

٧ ــ إثبات التجسد

فاما تجلّي الخالق لخلائقه في بشر منها فانه كما انه، تقدست أسماؤه، محيط بالسماء والأرض لا تدركه لطافة الملائكة الروحانيين ولا غوامض فِكرَ الأنس أجمعين، كذلك لا يُعرف غور تدبيره ونعمته وجوده وكرمه في تجليه لخلقه، ولا يفي[٦] بدرْك علمِ ذلك إلاّ علمُه المحيط بكل شيء.

---

١. النسخة: «لا يبدل».

٢. «بدا منا» أو «بذاتنا».

٣. في النسخة: «وتنسبوا».

٤. في النسخة: «غذوا».

٥. «والاّ حدوثه»، أو «والأحدوثة».

٦. في الأصل «دعى».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إلاّ إنّا على حال نذكر بعض ما دلّت كتبه عليه من ذلك. على انّا نعلم انها لم تذكر شيئاً إلا القليل الذي يحتمل ضعفُ البشر فهمَه. ونوضح ذلك بما يلزم العقول الاقرار به.

ويجب قبل أن نوضح ما في ذلك من نعمة الخالق على خلقه أن نذكر ما تقدّم من نعمه عليهم وكرمه وجوده فيهم، ليكون ما نوضح ممّا ابتداهم به من ذلك ما أجمع مخالفونا معنا على الاقرار به، شاهداً لنا على ما خالفونا فيه بما نذكر من إتمامه نعمته على خلقه، لاشتباه الابتداء الذي لا يذكرونه[1] في وجود الله وفضله بالتمام الذي ينكرونه. ودلالته باشتباه الفعلين في ذلك على الواحد المعروف بهما الذي قدّم القليل وختمه بالكثير ودرج من الصغير إلى الكبير، كما درج عقل الإنسان وبدنه من صغير إلى كبير ومن معرفة قليلة إلى كبيرة، فأقول:

إنّ الخالق جلّ ثناؤه لم يزل واحداً حياً عالماً غنياً عن غيره فأحدث بكرمه وجوده خلائق تنقسم قسمين ممّا يرى ولا يُرى، جسدانيين وروحانيين. وهذان القسمان ينقسمان أيضاً ثلثة أقسام. فمنها قسم حي ناطق كالروحانيين. ومنها حيّ غير ناطق كالبهائم والحيوان والطير والهوام //. ومنها موات غير حي كالسماء والأرض والماء والنار والهواء وغير ذلك من [27 a] الموات. ثم خلق الإنسان من جميع ذلك واقامه شخصاً واحداً فيه من الروحانيين روحه ومن الجسدانيّ جسده. وجمع في بدنه قوى هذه الأربع الطبائع من الحرارة والبرودة واليبس والرطوبة. وصار جامعاً لجميع الخلائق، وكان يجمعها صنفان ممّا يُرى روحانيون وجسدانيون. وكانت قوى الأركان الأربع المختلفات التي بها قام العالم موجودة فيه، ليدلّ باجتماع جميع الأشياء المختلفات المتضادات فيه على أن خالقها على اختلافها واحد، جمعها في شيء واحد ألّفه من جميعها. ويكون كلّما اكرم به فرداً فقد أدخل في ذلك خلقَه جميعاً، إذ هو جامع لهم كمُلاء، فيناله شيء عظيم. كما اقتنى له اثنين عظيمين احدها الأرض والآخر السماء فاسكنه أول مرة أدنى البيتين أعني الأرض،

---

١. ابتداء الجود هو الخلق، واتمامه هو التجسد. فالمخالفون ينكرون نعمة الاتمام ولا يذكرون الابتداء من حيث هو فضل وجود. أما عندنا فالاتمام هو شبيه بالابتداء.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بعد أن زيّنه بما علّق له من سقفه من المصابيح، فهيّأ له من الخدم وأعدّ له من الطعام والشراب واللباس وجميع ما يحتاج إليه، فصيّره ملكاً على ما في الأرض وسخّر له ما في البرّ والبحر، لينقله بعد ذلك إلى السماء، فيعرف باختلاف المنزلين فضل الشرف إذا صار إليه على الذي انتقل عنه. ويكون سروره به بحسب ما جرى من غيره.

فاذ أوضحنا نعمة الله على الإنسان وجوده عليه فإنّا نقول: ان الخالق عزّ وجلّ، إذ ابتدأ الإنسانَ بجمعه جميعَ خلائقه من الروحانيين والجسدانيين فيه، من جوده عليه بما وصفنا، فانه يلزم أهل العقل أن يعلموا أن الخالق سيتمّ ما ابتدأه به حتى لا يبقى شيء إلا فعله به، إذ كان الخالق بجوده خلَقَه لا لحاجته إليه[1] //، وانه لا يمكن أن ينسب إلى الخالق ابتداء نعمة لا يتمّها [28 a] إذ كان جواداً لا يبخل. وان من أمر بالابتداء الذي وصفنا وصيّره لنا بيتاً يدعو إلى البناء[1] عليه واتمامه، وجب عليه أن يشهد على الجواد الكريم التمام لما ابتدأه. فنذكر[2] عند ذلك باختصار ــ بما يُعرف من الأسباب في تجلّي الخالق لخلقه لما يتمم به ما ابتدأ الإنسانَ من جوده وكرمه ويُظهر به حكمتَه وعدله ــ أربعة أسباب:

أحدهما يظهر حكمته وعدله ومحبته لخلقه في تدريجه إياهم إلى معرفته وإثباته ذاته عندهم، إذ كان لا يُدرَك من حيث يدركون وكما يعقلون. وكما يشهد ذلك من تدبيره على ما نذكر من تجلّيه في جسد منا، فأقول:

ان الله عزّ وجلّ لم يطبع في جوهرنا معرفته كما طبع في ما لا كلمة له معرفةَ أشياء بلا تعلّم منها لها مثل النحل الذي طبع فيه المعرفة بجمْع[3] العسل وعملِ كواثرَ له وتصيّره فيها، ومثل العنكبوت التي طبع فيها المعرفة بعمل بيت لها. ذلك لئلا يبطل حمدنا على معرفته كما بطل حمد الخروف على لينه وسكوته إذ كان ذلك طبعه، وبطل ذم الذئب على خبثه ومرادته إذ كان ذلك نسجه.

---

١. في المخطوطة اضطراب وهو هكذا: «وصيرناه اسا يدعوا إلى السا». إلا إذا لم نحسن القراءة.

٢. في النص: «فيذكر».

٣. في النص: «بجميع».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ولو كان طبع في جوهرنا معرفته لمّا وجد فينا من يجهله فلا يعرفه ولا من يجهله مرة ويتقلّب إلى معرفة أخرى، إذ كان جوهرنا واحد فاحتجنا عند ذلك إلى أن يعرّفنا خالقنا نفسه، إذ دعانا إلى معرفته وأمرنا بعبادته وهو غير محدود في مكان بل محيط بكل مكان، لأنه وكل الملائكة والأنس بما تدركه حواسنا، إذ كنا لا ندرك الأشياء إلا بها ولا تعرف عقولنا إلاّ ما تؤدي إليها. وقد اختلفت كثير في تصنيف ما يؤدي إليها أيضاً، إلا أن ما أدركناه بها فهو أصحّ عندنا ما تستدلّ // عليه عقولنا بما لا يشبه شيئاً ممّا تقع عليه حواسنا. فان ما لا يُتصوّر في الوهم فليس [28 a] يثبت في النفس، والايمان به صعب شديد لا يكاد إلا بالكلام وباضطرار الدلائل ما أدركته الحواس أيضاً إليه.

فإذا انتهيت إلى ما استدللت عليه واردت تحقيقه في نفسك ولم تجده يقع في وهمك، بطل وجوده عندك. فقد نرى الناس اجتمعوا كلهم على إثبات أبدانهم لادراكهم إيّاها بحواسهم واختلفوا في أنفسهم، إذ لا ندركها حواسهم مع ظهور منطقها وحكمتها وتدبيرها وقربها منهم بحلولها في أبدانهم، حتى أبطلها كثير من الناس وأنكرها وهو ينطق بمنطقها في إبطالها. واختلفت كثير في أمرها فقالوا فيها ضروباً[١] يطول ذكرها.

ولأن الله جلّ ثناؤه علم أنه لا تثبت معرفتنا[٢] به في أنفسنا ولا تصفو عبادتنا له ولا تحلو[٣] عندنا، إذ كانت أبصارنا لا تدركه وأوهامنا لا تقع حتى تطمأن أنفسنا إلى ثباته وينتفي الشك فيه عن قلوبنا، إلاّ بأن يظهر لنا ويكلمنا بما تقع عليه حواسنا ويأمرنا وينهانا ويقصد بنا في عبادته إلى مكان واحد كأنه فيه دون غيره، إذ كنا لا نقدر أن نعبده في كل مكان، كلّم آدم وهابيل وقابيل ونوح وإبراهيم على ما حكت التوراة، كالإنسان[٤]، وأمرهم ونهاهم وهم ينظرون إليه.

---

١. في النص: «ضروب».

٢. في النص: «معرفته».

٣. في النص: «تصفوا»، «تحلوا».

٤. أي كلهم كما يتكلم الإنسان.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وكلّم موسى من الشجرة، كما يقرّ المخالفون، وكلّمه من السحاب كما يكلّم الرجل صاحبه كما حكت التوراة. ثم أمر بني إسرائيل بعد ذلك ببناء بيت من حجارة وتابوت من خشب ليحلّ فيه ويكلّمهم منه ويتقبّل ذبائحهم، // كأنه محويّ فيه. وسمّاه بيته، إذ كان البيت لصاحبه معروف [29 a] بإحاطته به بسكناه في ذلك، لتقصد أبصارُهم وفِكرُهم وعبادتهم إيه وتضرعهم إليه إلى مكان واحد كأنه محويٌّ فيه. لئلا يجول فكرهم في كل مكان في طلبه فلا يُدركه، إذ كان لا يُرى والأوهام لا تقع عليه فيُحاط ويُحاز ولا يقع على شيء تركن إليه، فيرجع إلى ابطاله والكفر به.

وقد رأينا من خالف قولنا يذكر عن كتابه من تدبير الله إيّاهم فيه بما يفعلون شبيهاً بما وصفنا من حاجة الناس إلى ذلك وتدبير الله إياهم به، في قولهم: قال الله انه سميع بصير، وليس ذلك لأن له سمعاً وبصراً؛ لكن لأنه كلّم الناس بما يعقلون، نسبَ إلى نفسه جارحتَي السمع والبصر وهو يتعالى عنهما. وكذلك قوله، إذ هو عالم بكل شيء، نسي[١] وكفل[٢] وغضب ورضي وما أشبه ذلك ممّا هو للمخلوقين ولا يليق بالخالق. وكذلك قوله: ان له بيتاً أمرهم أن يصلّوا نحوه من كل مكان[٣]، كأنه فيه دون غيره، والبيت لا يُعرف إلاّ بنزول صاحبه فيه وإحاطته به، فوهَمَهم أن البيت يُحيط به، ليثبّت نفسه عندهم؛ وبيّن حاجة الناس إلى أن يستقبلوا موضعاً واحداً ينسبه إليه. فلو كلمهم من ذلك البيت أو كلّم نبيّهم كما كلّم موسى من الشجرة وكلّم كهنة بني إسرائيل من التابوت، كان أشدّ لتصحيح ثباته عندهم وأدلّ على إكرامه إياهم وعلى أنّ البيت بيته، أو ظهر فيه وتكلم منه كما تكلم من غيره، ولم يكن بيننا وبينهم فيما ذكرنا فرق، ولا كان يكون عليه في ذلك نقص، وقد كلم موسى فيما هو أقلّ // من ذلك أعني شجرة حقيرة غير [29 b] شريفة ولا مثمرة.

---

١. من صورة الخط نقترح قراءة «نسي».

٢. في النص: «ولعل»: إشارة إلى القرآن وما يذكر عن أن الله ينسى الإنسان إذا نساه، وأنه الكفيل، الخ...

٣. إشارة إلى الكعبة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فإذا أوضحنا حاجة الناس إلى ذلك وتدبير الله إياهم به على ما وصفنا منه وأمر مخالفينا بمثل ذلك، فقد لزمهم ولزم جميع أهل العقول المقرّين بالكتب أن يعلموا أن ظهور الله للناس في بشر منهم أشبهُ بفضله وجوده وكرمه وأشدّ لتصحيح ثباته ووجوده عندهم وأبينُ لاكرامه إياهم وتشريفه لهم في ظهوره في أشباه بشرٍ وصُوَرِ أنسٍ وبيت حجارة وتابوت خشب وشجرة حقيرة وسحاب وغير ذلك. وانه لم يَدَعْ فعلَ ما هو أفضل وأشبه به. بل يسألوننا[١] عن تثبيت ذلك لهم من كتبه وممّا بدا للعقول على أنه قد فعله بغير إنكار منهم لفعله بل بالاقرار وبأن الفضل فيه، فيثبت ذلك لهم ويلزمهم قبوله والايمان به.

والثاني الذي يبيّن فيه محبته لخلقه ومسرّتَه بإدخال السرور عليهم ورفعَه الشكوك عنهم وإظهاره كرامتهم وإعطاءهم[٢] أمنيتهم وغايتهم، فاني أقول فيه:

انه إذ كان ليس شيء أحبّ إلى الإنسان ولا أقرّ لعينه ولا أسرّ لنفسه من دركه الأشياء كلها حتى لا يخفى عليه شيء منها، كما رأينا الناس يتكلفون ذلك بالتعب التعب من حساب النجوم والنظر في الكيمياء وزجْر الطير والتكهين وغير ذلك، ويسارعون إلى النظر إلى اللطائف من عمل أصحاب النيرنجات[٣] وغيرها، ويحرصون على فهمها ودرك حقيقتها، ويشتاقون، إذا ذُكر لهم أن نبيّاً ظهر، إلى النظر إليه فيأتونه؛ وأعظم من ذلك كله عندهم قدراً أو أكثره // خطراً وأكثرهم إليه شوقاً، أن ينظروا إلى خالقهم المبتدع لهم المتولّي لنعيمهم [30 a] المحدث لهم السماء والأرض، كما اشتاق موسى بن عمران النبي إلى ذلك فسأل ربه أن يريه نفسه، وكما يقول كثير ممن يخالفنا أنهم يرون الله يوم القيامة[٤]، ولا يكون في نعمٍ عليهم أعظم قدراً عندهم ولا أكثر خطراً لديهم من النظر إليه؛ وكما رأينا كثيراً من الناس لشهوتهم إلى النظر إلى الهتهم سمّوا أصناماً ينظرون إليها باسمه

---

١. في المخطوطة: «يسألونا».

٢. «اعطايهم» في النسخة.

٣. أي الألاعيب السحرية.

٤. إشارة إلى المسلمين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وعبدوها ــ، فقد[١] وجب على أهل العقول أن يعلموا أن الله، إذ كان لا يُدرك وهو من المحبة لخلقه والنظر لهم على ما بيّن من فعله وأظهر من نعمته وجوده، فليس يبخل على خلقه بإعطائهم[٢] أمنيتهم وغايتهم في التجلي لهم في جسدٍ تقع عليه حواسهم، إذ كان كل ذلك يرفعهم وينفعهم ولا يضعه ولا ينقصه بل يظهر به جوده وفعله. وانه إذ[٣] ابتداهم بالظهور لهم في صور الأنس بلا أجساد صحيحة وشجرة وتابوت خشب وغير ذلك ممّا هو دونهم عنده، فُهم بأن يفعل ذلك في جسدٍ منهم صحيحٍ هو أكرم عليه، وشرَفُهم به أكثر ونعمته فيه أظهر، وهو بجوده وكرمه أشبه وأولى، وأنه لم يَدَع ما هو أولى به فعل ذلك.

وان يسألونا عن تصحيح ذلك لهم، إنه قد كان بغير إنكار منهم، لأن فعله أفضل وأشبه بفضل الله وجوده، فيفعل ذلك ويجب عليهم قبوله والايمان به.

والثالث الذي بيّن فضله وعدله فانّا نقول فيه: إذ أمر الله عباده بطاعته ونهاهم عن معصيته واعدّ لهم على الطاعة ثوابَه وعلى المعصية عقابه، واعلمهم انه يُجري على كل إنسان كعمله، وهو لا يُدرك ولا تقع الأبصار عليه // ووجب على أهل العقول أن يعلموا ــ إذ سمجَ [30 b] عندهم أن يكون الحاكم محتجباً عمّن يحكم عليه، وأن ذلك ليس من الانصاف عندهم ــ أنه ليس يحسن عند الله أيضاً، في موضع فصل القضاء والحكم بالجنة والنار، أن يكون الحاكم ينظر إلى من يحكم عليه، والمحكوم عليه لا ينظر إلى الحاكم؛ وأن الله أولى أن يفعل ما هو أجمل وأحسن من خلقه؛ وأن يعلموا ان ليس بقدر قوته كلّمنا في كتبه بل يقدر ما نعقل من أنفسنا كلّمنا عن نفسه بما لا يلزمه، ولا بقدر استطاعته يعاملنا يوم القيامة يوم يقضي بيننا لكن بقدر عدله؛ وانه يجب أن يتجلى لنا في شيء تقع عليه حواسنا، إذ كان تجلّيه بذاته لا يمكن، ليصيّره[٤] حجاباً بيننا

---

١. «فقد»: هنا جواب هذه الجملة الطويلة التي تبدأ في أول المقطع: «إنه، اذ...»

٢. «باعطاهم»، في النسخة.

٣. «إذا»، في المخطوطة.

٤. أي يجب أن يتجلى لنا في شيء تقع عليه حواسنا ويكون حجاباً بيننا وبينه، إذ ان تجليه بذاته لا يمكن.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وبينه: فيكون الراجي والخائف يمدّان أعينهما إلى من يخرج الحكم منه ويشخصان نحوه، ولا يكون المطيع يتوقع الأمرَ له بالثواب من حيث لا يرى شيئاً، والخائف يُقضى عليه بالعقاب من غير أن يرى الحاكمَ بذلك: فيخالف ما أعلَمنا به في كتبه من كلامه إيّانا بما نعقل قبل صَيْرنا إليه ووقوفنا بين يديه، احوج ما كنا إلى ذلك، وعند أخذنا ما صار لنا والزامنا ما صار علينا، ولا يشبه[1] فعلَه ولا عدلَه ولا حكمته. وأولى الأشياء المنظور إليها وأشرفها وأكرمها عليه وأشبهها باحتجابه بها جوهرُ الإنسان.

والرابع الذي يظهر به تمام نعمته وجوده فانا نقول:

ان خالقنا، إذ لم يخلقنا لحاجته بل لينعم علينا بجوده ويصيّرنا إلى كرامته، فلا شيء أعظم قدراً عندنا ولا أبلغ في تشريفنا وتشريف جميع خلائقه التي جُمعت فينا، إذ جعل // لنا [31 a] السلطان في عالم الفناء على من فيه [من][2] أن يُتمّ ذلك بأن يجعل لنا السلطان في عالم البقاء. ولا يكون، إذ كان لنا اسم الملك والسلطان الذي هو ليس لنا في ذاتنا بل أكرمنا خالقُنا به ممّا هو له ومستحقّه...[3] عنا في موضع ثوابنا في العالم الباقي ونحن إلى الزيادة بوقاره في موضع ثوابنا في العالم الباقي أولى بقوة المعنى في ذلك واحقّ، وهو بتمام جود الله الذي ابتدأنا به أشبه.

وبعد أن بيّنا في هذا الموضع كيف يمكن أن يثبت اسم الملك والسلطان في واحد منا فيعمّ ذلك جميعاً، فإذ ذكرنا بعض الأسباب التي دلّت كتب الله عليه من التدبير في تجلّي الخالق لخلقه في بشر من الأنس، واوجبنا على أهل العقول معرفة صحة ذلك وتركَ دفْعهِ، إذ كان أشبه بفضل الخالق ومنّه وطَوْله وعدله وحكمته، فانّا نخرج من كل باب جواباً[4] مع معاني تدبير الله في ذلك ليكون نسقاً واحداً فلا يتفرّق على الناظر فيها، فنقول:

---

١. أي: انه يكون خالف ما علمنا في كتبه ولم يكن مشابهاً لفعله منسجماً مع عدله وحكمته.

٢. أي: فلا شيء أبلغ في تشريفنا من أن يتمم ما ابتدأ به؛ وحرف «من» ساقط من النسخة.

٣. في النص: «جواب».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ان الله جلّ ثناؤه، إذ أحدث الإنسان بجوده وكرمه وعلم أنه محتاج إلى معرفته وإثبات وجوده، إذ كان لا يدركه بصر ولا يحيط به عقله، إلى أن يعرّفه نفسه من حيث يدرك بما تقع عليه حواسه وتسكن إليه نفسه، فقدّم تدبيره بفعل ذلك وظهر له في صورته مرةً وفي شجرةٍ مرةً وفي سحاب أخرى وغير ذلك ممّا ظهر فيه، كان من أعظم الأشياء عنده قدراً وأكثرها خطراً وأشدّه إليها شوقاً أن يظهر له فيما هو أقرب إليه من الأشياء التي كان يظهر فيها له من // الصورة التي لا أجسام لها ولا تبديل[١] وغير ذلك، بل في جسدٍ من جوهره صحيح يعرف [31 b] دركه منه وتسكن إلى ذلك نفسه وتعطيه بظهوره فيه من الوقار والكرامة والسلطان ما تعطي النفس الجسد من حياتها ونطقها، فيتمّ بذلك السلطان الذي جعله له على بعض خلقه فيصيّره على جميع خلقه ويبلغ به درجة كرامته، إذ لذلك خلقه لا لحاجته إليه، ويحكم عليه وله من جسدٍ ينظر إليه ولا يفصل القضاء عليه من حيث لا يعرف الحكم من أين يخرج إليه ــ[٢]، تجلّى جلّ ثناؤه لذلك وغيره من الأسباب التي لم تذكر عند أكثر اختلاف العالم في طلبه وتحيّرهم في أمره وبُعْدهم عن معرفته، إذ كانت الأبصار لا تدركه والعقول لا تحيط به إلا بالتدبير والقدرة والسلطان بغير انتقال بالذات من مكان إلى مكان، ولا يعترفها[٣] من حال إلى حال فيما هو أكرم عليه ممّا كان يظهر فيه ليقرّب أنفس الناس بوجوده من الأشباه والخيالات والشجر والسحاب وتابوت الخشب وبيت الحجارة، ونعمته وجوده على خلقه أظهر وأبْين، وشرفهم به أكثر وأكثر: أعني بشراً صوّره من مريم العذرى بغير مادة من زرع. فكلّم العالم منه وخاطبهم بلسانه وأنسهم بالنظر إليه وقرّبهم منه، إذ بعدوا بخديعة الشيطان إياهم عنه، وأدالهم من عدوّهم وسلّطهم عليه ودعاهم، على لسان جسدهم الموتحد[٤] كان منه،

---

١. في النص: «ببد» وفوقها في الهامش كلمة مثل «تبلى».

٢. هنا جواب الجملة التي ابتدأت في أول المقطع: «ان الله...».

٣. كذا. المعنى واضح ولكن التركيب مضطرب في هذه الجملة.

٤. أي الذي كان متحداً بهم بواسطته؛ صيغة «الموتحد» يستعملها عمار مراراً خاصة في كتاب «المسائل والأجوبة».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إلى معرفته بغير رسول بينه وبينهم. بل كما تُظهر النفس منطقَها وحكمتها من جسد موات بغير رسول بينها وبينه، بل بالتوحد به وإظهارها حياتها فيه وحكمتها منه وافادتها // ما هو لها من [32 a] ذلك إياه، حتى صار ما هو لها من الحياة والنطق ذاتياً جوهرياً له مستفاداً منها من غير أن ينقصها من ذلك شيء ولا يفارقها. فصار لذلك اسم واحد جامعاً لها، أعني اسم الإنسان ومعناه. فإذا قيل نطق الإنسان وفهم وعلم وقدر ودبر، دلّ ذلك عليها، إذ كان أصل النطق والحكمة لها في ذاتها. وإذا قيل أكل الإنسان وشرب وطال وعرض ومات، دلّ ذلك على الجسد الذي يتربّا بالطعام والشراب وينمو[1] ويزداد طولاً وعرضاً وهو في ذاته موات.

ولذلك إذ كان أمر الله فوق كل أمر لا يقاس به شيء، صار تجلّي الخالق في جسدنا بالتدبير والتوحّد به بالسلطان والقدرة بغير تحديد مثل تحديد النفس في البدن، أقام له مع البشر الذي احتجب به منا اسماً واحداً أعني اسم المسيح.

فإذا قيل انه لم يزل ولا يزال وانه خالق واله، دلّ ذلك على الخالق الذي لا يُرى والذي بنعمته خاطبنا من جسدنا واحتجب به حتى قرب بالتدبير منّا فكلّمنا من جوهرنا، إذ هو محيط بالسماء والأرض، بعد أن كان يكلمنا بما هو كان نائياً عن جوهرنا بعيداً منا.

فإذا قيل مُحدَث زمني يأكل ويشرب وما أشبه ذلك، دلّ على جسدنا الذي احتجب به منّا، فصار اسم المسيح يدل على الخالق وخلقه، فهو خالق لا يرى بالهيّته ومخلوق يرى بأنسيّته، كما أن الإنسان يدل على روح وجسد فهو روحاني بروحه وجسداني بجسده. وإذ وجدنا ذلك في الخلق مع نقص الخلق عن كمال الخالق، فكم بالحري كمال ذلك وعلوّه عن الدرك في الخالق. وإذا كانت النفس المخلوقة الناقصة عن كمال القوة والجود // أعطت الجسدَ [32 b] الذي احتجبت به ما لها من الحياة والنطق حتى صار معها واحداً حياً ناطقاً، فكم بالحري ينبغي أن نعلم أن الخالق يكمل العطية ويكمل الكرامة ويحرّك الهبة والنعمة في ذلك على

---

١. في النسخة: «وينمي».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خلقه. بل صار بجوده الذي لا يشبهه جود ــ بعد ان كان يعرف انه ساكن السماء ويُدعى بذلك مع شرف موضعها وعلوّ مكانها ــ إلى أن سكن بالتدبير في جسدنا ليتقرب من خلقه بغير تحديد ولا إحاطة به، بل إذ هو مُحَلّ فيه، هو محيط بكل شيء. وأظهر قوته وتدبيره وسلطانه فيه، وكلّم العالم بلسانه وأخبرهم بأنه خالقهم الذي لم يزل كما كان محبّاً لإثبات وجوده عندهم، فكلّمهم من أشياء ظاهرة وحقق ذلك بهبته للموتى الحياة وللعيون العُمْي البصرَ وللآذان الصمّ السمعَ وللخُرْس النطقَ وللزمناء والبرْص الصحةَ والنقاء. ليتبين انه إذا أحيى الموتى بسلطان وقدرة فهو الذي أماتهم، وإذا وهب البصر والسمع والنطق والصحة أنّه هو الذي فعل ذلك بدياً، وأعمى هذه وأخرسَ واصمّ وأبرص وقال: «ان لم تصدقوني فصدقوا أعمالي»[١]. وبعث رسلاً في العالم كله بألسنتهم المختلفة التي خلق لهم ليعلمهم أن الذي فرّق الألسن وجعلها مختلفة هو الذي دعاهم إلى معرفته، وانه لم يقدر على ذلك غيره؛ وأمرهم أن يبشروا بتجلّيه في جسد منهم ويخبروهم[٢] بما أظهر فيه من قوته وقدرته وسلطانه، ويبشروا بما أعدّ لهم من ملكوته، ويدعوهم إلى عبادته وطاعته، ويبشروا بحياة أبدانهم بعد الموت ومصيرها إلى الحياة التي لا تفنى //. [33 a]

فنفذ الرسل لامره في جميع العالم بعد أن نهاهم عن حمل شيء ممّا يقوى به أهل الأرض معهم. وأعطاهم القوة على فعل الآيات العظام التي يعجز الخلق عن فعل مثلها، فبشّروا أهل العالم بأن خالقهم الذي اختلفوا فيه وكثرَت أقاويلهم في أمره وتفرقت أهواءهم عنه ووضعوا اسمه على غيره من النجوم والأصنام وغيرها، وناقض بعضهم بعضاً في سببه وتحيّر أكثرهم في أمره إذ لم يروه ويدركوه ــ، قد ظهر لهم في بشر منهم وكلّم الناس منه وأظهر فيه سلطانه وقوته وأخذه معه في كرامته وملّكه واحياه بعد موته ورفعه إلى السماء فوق ملائكته ليبقى حجاب بينه وبينهم وبين جميع خلقه إلى أبد الآبدين.

---

١. إنجيل يوحنا، ١٠: ٣٨.

٢. في النص «ويخبرونهم».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ففعلوا الآيات العظام باسمه وثبّتوا بذلك انه خالقهم؛ فقبل العالم ما بشروا به وعظم سرورهم بتشريفه إياهم بالظهور لهم ورفعة جوهرهم. وسكتوا عن التفتيش عن الخالق، وآمنوا بأنه واحد معروف بثلثة أقانيم هو بكل مكان لا يحاط به في مكان وقد ظهر بالتدبير بغير تحديد وأنِسَ بهم[١]. ونبذوا الكتب التي وضعها المتحيرون قبل ظهوره في أمره بتسمية النجوم والأصنام وغيرها باسمه. وأقبلوا على عبادته واستخفوا بشهوات الدنيا من أجله وانقادوا لقبول قول الصيّادين رسله، إذ لم يمكنهم بقوة السلطان وعزّة غلبتهم، لظهور الآيات العظام على أيديهم.

فأية نعمة أعظم وأي فضل أكثر وأي جود أظهر ممّا ختم الله به ما ابتدانا به من جوده وكرمه. وأي تمام لأمر أدلّ على مبتديه منه إذ ابتدانا من فضله علينا في إحداثه إيانا بما نقصر عن شكر نعمته فيه، إذ كان هو في[٢] الكون وحده فصيّر لنا في الكون معه حظّاً فكوّننا. وإذ كان هو الحي الناطق وحده فجعل لنا // نصيباً فصيّرنا مع الملائكة احياءَ ناطقين. وإذ كان له [33 b] السلطان وحده على ما أحدث صيّر لنا في ذلك حظاً فسلّطنا على ما في الأرض. ثم إذ أراد ختم أمرنا باتمام نعمته وأن يبلغ بنا غاية جوده وكرامته لنعلم أنه لذلك خلقنا لا لحاجته إلينا، وكان لا شيء أعظم في النعمة علينا عندنا من تجليه لنا وظهوره فينا واتمامه السلطان الذي جعله لنا على ما في الأرض بأن يجعل لنا السلطان على ما في السماء، تجلّى في بشر منا وأخذه معه في السلطان والوقار بعد سقوطه من مرتبته بمعصية الإنسان الأول وخروجه عن الفردوس بالسخط عليه ووقوعه تحت الموت منقطع الرجاء من الحياة. وعندما يأس ممّا كان من الرحمة والخلاص من الموت، تجلّى له خالقه في جوهره فرفعه عن الموت وصيّره ملكاً مسلّطاً على ما في السماء والأرض.

فأية نعمة على المخلوق أعظم من بلوغ خالقه به هذه الدرجة من الكرامة والوقار والملك والسلطان. وأي جهم أعظم من جهل من كره كرامته ووقاره؛ وإذ يحبّ أن يكلمه ملك من الملايكة من صورة بشر، كره ان يكلمه خالقه من

---

١. «وأنس بهم» في الهامش وقراءتها غير أكيدة.

٢. «في» ساقطة في النسخة، وما يلي من الجملة مزاد في الهامش.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بشر. وإذ أحب أن يكلمه خالقه من شجرة كره أن يكلمه من جسده. وإذ يحب الملكَ والسلطانَ في الأرض الدنية، كرهه في السماء الشريفة؛ وإذ يحب السلطان على بعض البشر في العالم الفاني، كره السلطانَ على الملائكة في العالم الباقي؛ وإذ أحبّ أن يكون له ممّا لخالقه في ذاته من الدوام والبقاء حظٌّ فيبقى حياً يدوم ولا يفنى، كره أن يكون ممّا // لخالقه من الملك [34 a] والسلطان نصيب.

وإذ أراد الكرامة والشرف بأن يُوحى إليه مع عبد في الملائكة بشيء من الغيب، كره أن يعلم غيب كل شيء بتجلّي خالق الملائكة فيه؛ وإذ أراد أن يبالغ في فضل خالقه وكرمه فوصفه بأنه سلّطه على ما في البرّ من البهائم وفي البحر من السمك، كره أن يصفه بما هو أشبه من تسليطه إياه على الملائكة الروحانيين والناس أجمعين وجميع المخلوقين. فصارت غايته من خالقه بقدر نقص جوهره وتربة بدنه لا يقدر أفضال خالقه ونعمته وما عوّده من جوده وكرمه، فانه إذ أخذ معه واحداً من البشر في السلطان والملك معه، دخل في شرف ذلك ووقاره جميعُ الروحانيين والجسدانيين، إذ كان من الروحانيين بروحه والجسدانيين بجسده لهو عليهم ملك به لهم، والملك يدلهم بعد بالعجب المعجب.

كما أنه، إذ كان واحد بعد واحد من بني إسرائيل يملك، كان يقال ان الملك لبني إسرائيل، وكما إذ كان واحد بعد واحد من العجم يملك كان يقال إن الملك للعجم، وكما إذ كان يملك واحد بعد واحد من العرب كان يقال ان الملك للعرب، فهو عليهم ملك والمُلْكُ به لهم، لأنه منهم ووقاره وشرفه واقع عليهم، حتى يقال انه لا يُقَدَّم على أهل تلك المملكة أحد، لوقوع شرفِ لمَلكٍ واحد منهم على جميعهم، إذ كان من جنسهم.

فلذلك وعلى أفضل من ذلك، فشرفُ المخلوقين من الروحانيين والجسدانيين شرف بشرٍ من الأنس ويرتفعون به في أنفسهم عن صغر أنفس العبيد، وعمّهم سقف[1] رؤوسهم بالعبودية، إلى درجة البنوة، إذ صار لهم ممّا لخالقهم من الوقار

---

١. «وعمهم سقف»: قراءة غير أكيدة؛ أي ان رؤوس العبيد تطال بالمسيح درجة البنوة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والكرامة // ببشر هو منهم جميعاً بروحه وبدنه فتعظّم[١] سرورُهم في محلّهم الباقي بذلك [34 b] أضعافَ ما تأتي عليه الصفة؛ ولو صاروا جميعاً مع السماء والأرض وما بينهما لساناً واحداً، ما بلغوا صفة هذه النعمة العظيمة ولا الشكر عليها إلى أبد الآبدين.

فلمَ يكره المخالفون هذه النعمة العظيمة والشرف الكبير الذي تقصر الخلايق عن دركه وبلوغ الشكر عليه؟ وما رجع على الله من النقص إذ تجلّى في شجرة حقيرة غير مثمرة فكلّم موسى وهو راعٍ أخرس، فرجع[٢] عليه من النقص في تجلّيه في بشرٍ منا هو أكرم عليه وأحبّ إليه من الشجرة التي خلقها لنا، وتكليمه العالم كلّه بما كان فيه من الفلاسفة والحكماء والملوك والأعزاء والصالحين والأخيار منه، إذ هم أكثر من راعٍ أخرس غير سامع ولا مطيعٍ في أول أمره[٣].

أيضاً وما يرجع على الله من النقص إذ سلّط الإنسان على ما في الأرض، فرجع عليه منه إذ سلّطه على ما في السماء؟ أوَليس الجود في الأمر الباقي أكثر وابتداؤه[٤] إياه في إسكانه الأرض مع فنائها شاهدٌ على ختمه أمرَه له بنقله إلى السماء مع بقائها؛ وتسليطه[٥] إياه على ما في الأرض مع انقضاء ذلك، شاهد على أنه ختمه له وتمّمه له بتسليطه إياه على ما في السماء مع بقاء ذلك؟ على انه لم يجمع له ما أراد به دفعة واحدة، دون أن ابتداه بالقليل ليختمه له بالكثير شبيهٌ بما ابتدا الإنسان به في طفوليته من اللبن ليتمّ ذلك له من بعد بالطعام.

فلمَ يريد خالقك أيها الإنسان بك الشرف والعلوّ وأنت تريد بنفسك السفال والدناءة؟ ولمَ // تبخل له بأن يبلغ بك غاية جوده وكرامته، وذلك لا ينقص من ملكه وسلطانه كما لم ينقصه [35 a] ما قدّم لك من كرامته، كأنك تريد أن تساويه بك في البخل. فهذا أنت قد تشتري عبداً بمالك فتحكّمه في ملكك وكلّ ما

---

١. أو: «فيعظم»، «فيعظّم»، «فتعظم».

٢. أي: وهل رجع على الله نقص في تجليه في شجرة، ليرجع عليه نقص من تجليه في بشر.

٣. إشارة إلى تهرب موسى من حمل الرسالة في أول أمره.

٤. في النص «وابتداء».

٥. في النص «وبسلطته».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تحويه يدك وتسلّطه على جميع رعيتك وتعلمهم أن من أكرمه فقد أكرمك ومن أطاعه فقد أطاعك ومن خالفه ولم يخضع له فقد استخف بك وقاومك. هذا ــ، وأنت لا تأمنه على نفسك وسلطانك، وأنت تفعل ذلك مع خوفك منه تلفَ نفسك وذهابَ سلطانك الكبير ــ، من الصغير القليل الذي جعل خالقك فيك. فكيف تنكر ذلك على إلهك الكامل الكرم التامّ الجود الذي لا يخاف على نفسه الفناء، ولا على ملكه الذهاب، ولا نقصانك إذ كنت على ما وصفنا من أمرك تفعل ذلك.

فكم بالحري ينبغي أن تعلم أن خالقك يفعل أضعاف فعلك بما لا يبلغه وصف ولا يناله قول. بل قد وضح أنه لم يترك ذلك. وهذه كتبه تصرّح به قبل فعلِه إياه وبعد إظهاره له وبتثبيت عقلك عمّا أنعم به خالقك عليك (بتركك النظر في كتبه وتعرف تدبيره)[١] فتعترف بجلاله وعظمته وتشكره على فعله وفضله ونعمته.

ولولا انك وسمتَ الكتب بالتحريف والفساد، لاحضرتُ لك ثلث نبوءات على ذلك. لكن اذكرها لينظر فيها من يثق بأن الكتب صحيحة:

قد قال اشعيا النبي: «هذه العذرى تحبل وتلد ابنا يدعى اسمع عمانويل» وتفسيره: معنا إلهنا[٢]. يعني ان الإله يتجلّى في جسدٍ منا فيوحده معه حتى يصير // مسيحاً واحداً فيكون إلهنا [35 b] في جسدٍ منا.

وقال أيضاً اشعيا النبي: «ولد لنا ولد وابن مسلّط وملك، وسلطانه على عاتقه»[٣]. وقال داود النبي: «مَن الرجل الذي ذكرتَه وابن البشر الذي اصطفيته ونقصتَه قليلاً من الملائكة. ثم بالحمد والمجد رديتَه وسلّطته على كل شيء عملتْ يداك. وكل شيء أخضعتَ تحت قدميه»[٤]، يعني نقَصَه من الملائكة بالموت، ثم ذكرَ عظمة السلطان بعده.

---

١. هذه الفقرة بين الهلالين من الجملة غير واضحة في موقعها هنا.

٢. اشعيا، ٧: ١٤.

٣. اشعيا، ٩: ٦.

٤. مزمور، ٨: ٥ ــ ٨.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وقال داود أيضاً: «ارسلَ كلمته فشفاهم وخلّصهم من الحبال»[١]، يعني ان الله أرسل ابنه إلى بني إسرائيل وسائر الشعوب وشفاهم من مرض الخطية وخلّصهم من عبادة الأوثان والموت بما صرّح لهم من معرفة الله.

وقال دانيال النبي: «رأيت على سحاب السماء كالإنسان أتى فبلغ إلى عتيق الأيام فقرّبوه بين يديه، وأعطاه الملك والسلطان والقدرة لتعبده الشعوب والألسن، وسلطانه سلطان غير بائد ولا منتَقَضٍ ولا فانٍ»[٢].

والنبوءات على ذلك أكثر من أن نحصيها ونذكرها في هذا الكتاب. وأي شيء كان أنفع للناس من نظرهم في كتب الله فانها تنطق بهذا التدبير من الله، فيقبلون ذلك فتسكن أنفسهم إلى وجود خالقهم بكلامه إياهم من بشرٍ منهم، إذ كان لا يكون شيء أشدّ لتصحيح وجوده. من ذلك أمرُ كفرهم به ووقوعهم في طلب خالقهم، إذ هو بكل مكان لا يُدرك وفي مكان بالذات، ولا عندهم تدبير لحقٍ لا يخلصون منه أبداً[٣]، حتى صار بعضهم ــ إذ كان الخالق لا يُدرى ولا يُدرك ــ إلى اللغز به // وإنكاره البتة. وبعضهم لذلك مقيم على الاقرار بأصلين جسمين [36 a] منظور إليهما. وبعضهم قال الله هيولى. وبعضهم مقيم على أصنام سمّوها باسمه فهم يعبدونها، إذ لم يروه ولم يدركوه ولم يقرّوا بتدبيره. وبعضهم من أهل دين في دهرنا، ليثبتوا خالقهم عندهم، مثّلوه في أنفسهم محدوداً جالساً على عرش يصعد من سماء إلى سماء وينزل من سماء إلى سماء[٤]. وبعضهم جعلوه محدوداً بمساحة معروفة وأشباه معلومة حتموا أنه لا يكون على أكثر منها. وبعضهم حيث شرّفوه جعلوه نوراً منظوراً إليه وأضاء لهم من نور القيامة وبحساب المنحة والجنة والنار. وبعضهم ليعقلوه ويفهموه يقولون ان له يدين مثل أيديهم ورجلين مثل أرجلهم. وبعضهم استحيا من ذلك فقالوا: انه لا يُرى

---

١. مزمور

٢. دانيال، ٧: ١٣ ــ ١٤.

٣. أي أن انحرافهم عن النظر في الكتب الإلهية قادهم إلى الكفر واوقعهم في البلبلة وهم يطلبون معرفة الحق.

٤. إشارة إلى سورة المعارج، آية ٤.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ولا يُدرك، وانكروا التدبير الذي علّم الله أنه قد يصحّ وجوده عند خلقه وردّوا الأمر إلى ما الخالق عليه في ذاته دون التدبير منه بتعريف خلقه وجوده بما يفهمون ذلك منه، فإذا جال فكرهم في طلب شيء يفهمونه لم يقع على شيء فقاربوا في أنفسهم دون الاقرار بألسنتهم من لم تثبته البيّنة[١]. وصارت عادتهم بغير محبة ولا مخافة، لأن المحبة والمخافة لا تكون إلا لشيء يقع الوهم عليه.

وهذا وهم مقرّون بأنهم احتاجوا، إذ أنزل الله كتاباً إليهم، أن يجعل كلامه عن نفسه بمثل كلامهم عن أنفسهم المحدودة من ذكر السمع والبصر والرضى والسخط ولعلّ وعسى وما لا يقع إلا على الجسدانيين، وذلك ليثبت نفسه عندهم الزم نفسه ما يلزم الأجساد. فلم // ينتفعوا [36 b] بما علموا من ذلك وتركوا استعمال ما أمروا به منه ولم يقبلوا منا الحق الذي أُمروا به شاهداً[٢] لهم عليه.

ولو اجتمعوا على النظر في كتب الله وعرفوا تدبيره في ظهوره في بشر منهم وتكليمه إياهم منه، لأمسكوا عن تفتيش السماء والأرض في طلبه ولوثقوا بوجوده بالتدبير في جسدهم، ولَسكنت إلى ذلك أنفسهم ولقبلوا قوله إنه بكل مكان وقد ظهر بالتدبير في مكان. فإذا جال فكرهم انتهت[٣] إلى الجسد الذي يكلمهم منه فوقفت عنده وأدركت طلبتها فيه واطمأنت إليه، فاقبلوا قِبَل عبادته وتركوا ما قد استغنوا عنه من التفتيش عن خالق لا يُرى قد قرّب عليهم الطلب فظهر في جسد يُرى[٤]، ولم يكونوا يقنعون من الاختلاف فيما وصفنا من أقاويلهم وفساد مذهبهم.

فان قالوا بأن النصارى قد اختلفوا، قلنا: ذلك في الجسد المخلوق. فان بعضهم يسمّيه قنوماً وبعضهم يأبى ذلك. فاما الخالق فلم يختلفوا فيه وقولهم فيه واحد إنه

---

١. في الأصل «سنه السه». أي من لا يستطيع الألسنة أن «تثبته» أو «تبينه» بعد أن قال أصحابها هؤلاء بالتعطيل فانكروا قدرة العقل على معرفة الخالق من النظر إلى خلقه. والمقطع كله إشارات إلى المذاهب المختلفة عند أهل الكلام وهي تتراوح بين التجسيم الكثيف والتعطيل المطلق.

٢. وفي النص: «شاهد».

٣. هكذا أي: فِكرَهم.

٤. في النص: «يري».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لا يدرك. بل اجتماعهم على الخالق بظهوره في جسدهم أكثر من اجتماعهم على الجسد؛ وقولهم فيه إنه واحد معروف بثلثة أقانيم وهو بكل مكان لا يُحدّ ولا يدرك. واختلافهم[١] في الجسد الذي يرونه، حتى قال بعضهم قنوم وبعضهم قنومان[٢]، على اجتماعهم بأن الذي تجلّى الخالق فيه جسد ونفس[٣].

فقد وضح جود الخالق ونعمته وفضله ولطفه بخلقه وامتنانه على برّيته واحسانه إليهم واكرامه إياهم بتجلّيه لهم، بالأسباب التي وصفنا. وفي ذلك أسباب كثيرة عرّفنا // بعضها [37 a] وكرهنا طول الكتاب بها[٤]، وبعضها غيرنا اعلم بها منا والحمد لله كثيراً على نعمته واحسانه.

٨ ــ [القول في الصلب][٥]

وأما ما شنّعوا به علينا في قولنا أن المسيح صلب ونسبونا إليه من إدخال الضعف به على الله أو التقصير بالمسيح، فانهم يدّعون علينا أنا نفتري على الله وننسب إليه ما «تكاد السموات يتفطّرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّاً»[٦]؛ ولا يدخلون على الله ضعفاً، وقد ركبنا ذلك فيه. فكيف يدخلون على الله الضعف بأن نقول[٧] ان المسيح صلب، وهو عندهم نبي، دون نبيّهم في المنزلة، ولا يعظم عندهم حتى تكاد السموات يتفطّرن كما فُعل به؟ كما يعظم ما يدّعون أنّا نقوله في الله، فلم يدخل على الله ضعف ولا نقص[٨].

---

١. أي واختلافهم هو في الجسد...

٢. في النص: «قنومين».

٣. أي أن النصارى مجمعون على الأهم، وهو تثليث الأقانيم في الله الواحد وعلى تجلي الأقنوم الثاني في الجسد، ولكنهم مختلفون على الأقل، أي على نوع الاتحاد بين الله والإنسان في جسد المسيح.

٤. العنوان هذا من الناشر وليس في المخطوطة.

٥. أي كرهنا إطالة الكتابة فيها.

٦. سورة مريم، آية ٩٠.

٧. في النص: «يقول».

٨. أي طالما أنتم لا تقرون بألوهية المسيح، فكيف تستعظمون قولنا بأنه صلب وتزعمون أننا أدخلنا الضعف على الله. والحقيقة أن الآية القرآنية التي يذكرها عمار البصري لا تعني صلب المسيح بل تشير إلى فظاعة المشركين غير النصارى القائلين ان لله صاحبة وانه اتخذ له بنين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وكيف يتّهمون، والمسيح عندهم نبي، أنّا قصّرنا به في ذكرنا أنه صلب ويقولون أنه كان أكرم على الله من أن يدعه يُصلب؟ فليت شعري ما يقولون في يحيى بن زكريا هم مقرّون أنه ضُرب عنقه ووهب رأسه لجارية رقّاصة سألت أن يُوهب لها؟ أَلِهوانِه على الله تركه حتى فُعل به ذلك؟ بل يعترفون بكرامته على الله ولا يدخلون، فيما يهرفون[1] ويقولون، على الله ضعفاً، ويلزمون غيرهم في نظير ذلك عندهم ادخالَ الضعف على الله بالميل والتحامل وقلة الانصاف.

فإذا وضحت براءتنا ممّا نسبونا إليه، فيجب أن نظهر ما نعرف من التدبير في صلب المسيح بانسيّته ومنفعةٍ ذلك لجميع البشر، فأقول:

إذ كان الناس قبل مجيء المسيح أكثرهم على ضلالة وكفر وكانت الفلاسفة والحكماء وأهل الغلَظ والجهل جميعاً لا يعلمون أنهم بعد الموت المفرّق بين أبدانهم وأرواحهم يقومون من
// القبور ويصيرون إلى الحياة إذ لم يروا إنساناً تخلص من الموت فبقي حياً وارتفع إلى السماء [37 b]
ولم يعد ميتا[2]، وكان ذلك عندهم من الممتنع الذي لا يمكن أن يكون ــ، أحب الله تقدست أسماؤه محبةً لبريّته أن يُسرّ خلقَه ويظهر لهم حياة أبدانهم ويحلّ عنهم عقدة الهمّ بالموت الذي حتمه عليهم، إذ هو أعظم المصائب النازلة بهم في هذا العالم، ويكبت الشيطان عدوهم، إذ كان سبباً لخطيئة آدم الذي دخل بسببها الموت، بأن يبطله عنهم ويقيمهم من عثرتهم ويصيّرهم إلى نعمته ويبشّرهم بما أعدّ لهم من ملكوته في العالم الدايم الذي لا ينقضي ولا يفنى، ولا تدركهم فيه آفة ولا ينالهم فيه نصب ولا مكروه، ولا يلحقهم فيه موت ولا فناء ولا فساد ولا غيار، بأن يحصل ما أعدّ لجميعهم من ذلك في واحد منهم، إذ كان وقت قيامة جميعهم لم يَحُنْ، وكان بعض الشيء يُقضى على كله وكان ذلك أصحّ عندهم في قيامة جوهرهم من الاقتصار فيه على الكلام، إذ كان الفعل أكثر من القول ــ،

فظهر لذلك، معما تقدّم وصفُنا له، في بشر منهم واحتجب به وكلّم

---

١. في النص: «يهربون».

٢. في النص: «ميت».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

العالم منه وأمنَ عليهم وشرّفهم باحتجابه به وتوحيده إياه في السلطان والكرامة معه، فأماته ليحييه قبلهم ويرفعه إلى السماء متقدماً أمامهم.

وجعل موته مشهوراً منصوباً باتجاه أعينهم، كما إذا أراد إنسان أن يعلن أمراً ويشهره ليتمكن الناس من النظر إليه، رفعه فوقهم ونصبه أمامهم لكي إذا نظر الناس إلى الذي احتجب به الخالق منهم قد مات، وضح عندهم موته وأنه من جوهرهم الذي جرى عليه الموت بتركيب // بدنه وما ظهر من ألمه المعروف به جوهرهم، ثم قام من القبر حياً وارتفع إلى السماء [38 a] ليصير فيها مخلّداً، علموا وأيقنوا أن جميع جوهرهم يقوم من القبور ويخرج عن سلطان الموت مثلَه، إذ كان مساوياً لهم في جوهرهم، ويصير من تشبّه به في البرّ والطهارة إلى السماء كما صار. فيعظم سرور المصابين بالموت المفرّق بين أبدانهم وأرواحهم، المغموس بكربه[1] وملازمته إياهم ومروره في جميعهم، بما يصحّ لهم[2] بسلامة واحد منهم من انقضاء الموت عنهم، ويصير عندهم شبيهاً بالرقدة بين الدنيا والآخرة، وينبسط رجاؤهم ويعملون في طلب ما أعدّ لهم من ملكوته، ويهون الموت عليهم، إذ وضح انقضاؤه عنهم، ويعظم سرورهم بما قد ذُكر من الحياة لهم.

فهذه أيها الإنسان الميت نعمة الله ومنّته عليك بصلب المسيح الذي استشنعت وقلبت ما يجب عليك من شكرها إلى الكفر بها والطعن فيها.

٩ ــ القول في المعمودية

وأما ما تهزأون به وتسخرون منه من المعمودية التي نعظّم أمرها ونذكر أن الخطيئة تبطل بها، فاني أرجع إليهم فاعجب ظاهراً وباطناً من ظاهر ذلك بما اغفلوه من أمرهم وتركوا تفقّده على أنفسهم. وهو أنه يخرج من أحدهم المنيّ الذي فيه صُوّرت خلقته الظاهرة[3] التي خُلقت لها السماء والأرض، فلا يقنع بأن

---

١. «بكربه»، أي السرور المغموس بكرب الموت أو «بكرهه»، وفي النص: «بكرمه».

٢. أي يعظم سرورهم باليقين الذي نالوه من قيامة أحدهم وهو المسيح فيصبح الموت عندهم أشبه بالرقاد.

٣. «الطاهرة» في النص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يغسل الموضع الذي يخرج منه، كما يفعل في العذره المنتتة التي تخرج منه ولا يتصور منها إلا الدود وما أشبهه، حتى يغسل ما بها بين قرنه إلى قدمه. ويسمي ذلك الغسل من ذلك الشيء الظاهر[١] الذي منه خَلَق اللهُ البشرَ، طَهوراً // ويدعي انه يكفر بعدد كلّ شعرة سبّبته[٢] ويثبت له [38 b] حسنة. فتركوا التعجب من ذلك، وهو موضع العجب، وتعجبوا من المعمودية وهي مثال القيامة من الموت. وذلك ان المسيح سيدنا، إذ مات بالمصيبة بأنسنيته ودفن وقام، أحبّ أن يُثبت ذلك عندنا ويصوّره لنا بما لا ننساه معه ونذكر به أنّا نقوم من القبر كما قام.

واعلم أن المثل إنما هو تشبيهه بالشيء الذي يُضرب المثل له وليس هو الشيء بعينه. كما أنك لو أردت أن تصوّر لك مدينة من المداين مبنيّةً بالحجارة والرخام والساج والصنوبر، مزيّنةً بالذهب والفضة وغير ذلك، فصُوّرتْ لك بالمداد والأصباغ في جلد من رقّ، إذ كانت المدينة في فرسخ من الأرض، لم يكن تفاوتٌ ما بين المدينة في سعتها وطولها وعرضها وساحتها وذهبها وفضّتها وغير ذلك من زينتها وبين الصورة، إذ هي بالمداد في جلد من رق، بما يبطل أن تكون هذه الصورة مع صغرها وبذالتها مثالا لتلك المدينة مع عظمها وشرفها.

وكذلك إذ غُيّب المسيح في التراب وقام منه حياً متخلصاً من الموت وأراد أن يعطينا مثالاً لذلك، إذ لا مثل للموت في هذا العالم ولا نظير للحياة في ذلك العالم، فلم يكن شيء أقرب إلينا دلاً[٣] في الأرض ليجعل لنا به مثالَ تغيّبه في الأرض وقيامته منها، من الماء، لأنّا منه ومن التراب جبُلنا، وهو أقرب في جسمه إلى الهواء من الأرض والنار.

فأمرَنا، إذ غُيّب في الأرض ميتاً وقام منه حياً، أن نذكر ذلك بأن نغيّب أبداننا في الماء [39 a] ونقوم منه فنذكر [ان القيامة الصحيحة إذ كان مثالها // في أبداننا][٤]

---

١. في النص «الطاهر».

٢. أو: «سيئة».

٣. «ولا» أو «ولاء»، أي لا شيء أقرب ولاءً أو أدل من الماء، فصح أن يجعل لنا به مثالاً.

٤. الجملة مضطربة التركيب، بسبب الناسخ دون شك، نقلناها كما هي المخطوطة، ووضعنا بين مقطعين ما إذا حُذف منها استقام مبناها ومعناها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بذلك تغيّبه في الأرض وقيامته بها لنعلم ونذكر أن القيامة صحيحة إذ كان مثالها في أبداننا، لأن مثال الشيء إذا كان موجوداً دلّ على صحة الشيء الذي هو المثال له.

وأيضاً أن الله خلق آدم من طين جبله من تراب وماء، وكان طاهراً بغير خطيئة فاغواه الشيطان فقضى الله عليه بالموت بسبب الخطيئة؛ أحبّ الله ان يجدده من الموت بالحياة، ففعل ذلك من واحد من البشر بالحقيقة، وجعله بالمثال في عامّتهم، إلى أن يبلغ الوقت الذي يحييهم فيه فيصير تجديدهم بمثال الحياة بالماء الذي منه مع التراب ابتداء خلقهم. كما أن صاحب الفخّار، إذا عمل اناءً من طين جبله من تراب وماء ففسد ذلك الاناء قبل أن تدخله النار، جدّد عمله بالماء وحده حتى يصلحه. وكذلك بالماء وحده، إذ أفسدنا الموت، جدّد الخالق خلقتنا بالمثال الذي أعطانا إلى وقت تجديد الخليقة بالحياة الصحيحة. فكأنّا إذ تعمّدنا بالماء فقد تقلّدنا مثلَ الحياة وانقضاء الموت.

وإنما يُتوقَّع الشيء الذي المثال له، فكما أن خالقنا عزّ وجل صيّر لنا إلى هذا العالم ولا دين اثنين، أحدهما من أصلاب آبائنا، والآخر من بطون أمهاتنا، فولادنا من الآباء بالزرع الذي ليس فيه صورة إنسان ولا في حياة ولا حركة، وولادنا من الأمهات بتمام بدن الإنسان وصورته وكمال أنسيّته بروحه. فكذلك صيّر لنا إلى ذلك العالم الأخير ولا دين اثنين أيضاً، أحدهما متقدم أمام الآخر مبشّر به، هو من الماء مثال القيامة من الأرض والحياة من الموت؛ والآخر من بطن الأرض بالحقيقة والحياة // الصحيحة والأمر الكامل التام. والولاد الأول من [39 a] أصلاب آبائنا في البعد عن حقيقة الإنسانية شبيه بالولاد من المعمودية في حقيقة الحياة الصحيحة، إذ كانت مثالاً. والولاد الثاني من بطون امهاتنا بكمال الأنسية وصحة الحياة الدنيوية شبيه بولادنا من الأرض بكمال البنية الروحانية التي نكون[1] عليها وصحة الحياة الدائمة التي تُجدَّد[2] لها[3].

---

١. في النص: «بكون»: «نكون»، «نُكوِّن».

٢. في النص: «بحدد».

٣. يعني أن ولادنا من زرع آبائنا الذي لا تظهر فيه بعد صورتنا وحياتنا الحقيقية، هو مثال لميلادنا من ماء المعمودية الذي لا تبدو بعد فيه حياتنا الصحيحة؛ وولادنا من بطون أمهاتنا بتمام صورتنا،

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ولذلك نقول ان في المعمودية إبطال الخطيئة لأنها مثال الموت من هذا العالم الذي فيه الخطيئة، والحياة إلى ذلك العالم الذي ليس فيه خطيئة. فإذا كان انقضاء الموت صحيحاً في أبداننا، فقد بطلت الخطيئة التي كانت سبباً للموت عندنا، وعلمنا انها قد انقضت، إذ كان الشيء الذي كانت سببه وبها دخل، قد أَخَذْنا مثالَ انقضائه بأجمعنا وأبطله بالحقيقة واحد منا.

١٠ ــ القول في القربان

وأما ما ينكرونه أيضاً من قولنا أن المسيح سَمّى القربانَ الذي تأخذه جسدَه ودمه، فانا نعلمهم أن المسيح ربنا والاهنا، لِمَا كان يريده من تصحيح جسده بذهنه وإرادته فيما يقصد إليه، كان ربّما سمّى نفسه باسم غيره وربّما سمّى غيره باسمه، كما قال متّى إنه يقول في يوم القيامة إذا تجلّى لمداينة[1] الروحانيين والجسدانيين للصالحين: «كنت سائلاً فاعطيتموني وكنت جائعاً فاشبعتموني وكنت مريضاً فعدتموني»، وما أشبه هذا من القول على ما في الإنجيل. ويقول للطالحين مثلَ قوله ويحكي عنهم خلاف ما فعل الصالحون. فيقولون له: «متى كنت يا سيدنا كذلك، فيقول: كل ما // فعلتم بواحد من هؤلاء الصغار فبي فعلتم واليَّ صنعتم»[2]. فلم يكن [40 a] شيء أكثر من سرّ محبته للصدقة ومسرّته بالتفضل والاحسان من أن يقيم نفسه مقامهم. ولم يكن ذلك نقصاً عنده، بل بتفضّله وسبوغ نعمته وضع على نفسه الاسم في قوله: «اقرضوا الله قرضاً حسناً»، فقد أقام نفسه مقامهم وأقامهم مقامة لأن المقرِض معطٍ غنيّ والمقرَض معطىً محتاجٌ ما وصفنا.

هو رمز عن ولادنا، أي انبعاثنا، من الأرض في القيامة الأخيرة على كمال البنية الروحانية الجديدة في العالم الآتي. والصورة جديدة، أما الربط بين الام والأرض فهو انموذج عتيق يرقى إلى أقدم الميتولوجيات الحضارية.

١. أي للمحاسبة بالدينوية.

٢. انجيل متى، ٢٤: ٣٥ ــ ٤٥.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وكما أنه جاز أن يسمي نفسه باسماء غيره، كذلك يجوز أن يُسمّى غيرُه باسمه، لا فضل في ذلك. فعلى نحو ذلك يقول في تسمية الخبز والشراب الذي صيّره قرباناً جسدَه ودمه؛ لأن أمر المسيح ربنا إنما كان يدبر أمره كله على إظهار العالم الدائم والقيامة من الموت. لأنه ليس شيء في هذا العالم أشدّ على أهله من الموت ولا شيء أكبر عندهم قدراً من الخلاص منه والمصير إلى حياة لا فناء لها ولا موت بعدها.

ولأن المسيح مات بأنسيته وقام وارتفع إلى السماء ليبيّن بذلك قيامة أهل جوهره وبشريته من القبور ومصيرهم إلى الحياة، أحبّ أن يخلّف عندهم ما يذكرون به موته عنهم ليُظهر بقيامته قيامتهم حتى لا يُنسى موته وقيامته، إذ كان في ذلك حياة جميعهم. فلم يقتصر على تذكرتهم ذلك بالكلام، دون أن يجسّم لهم شيئاً يأخذونه بأيديهم يضع عليه اسم جسده الذي مات وقام وارتفع إلى السماء وأعطى مثال موته وقيامته في المعمودية. فمتى أخذوه بأيديهم، وهو مسمَّى بجسده الذي مات وقام، ذكروا القيامة والحياة الدائمة، فتفرّج[1] عنهم الغمّ بذكر الموت، وفرحوا // بذكر الحياة وصاروا كانهم قد أخذوا الأمان بالحياة بأيديهم، إذ لا يكون [40 b] شيء أصحّ عند الإنسان مما يصير في يده وتحويه كفّه. فأعطى لذلك تلاميذه قبل موته وهو حيّ خبزاً لا يشكّون انه غير جسده فقال لهم: «كلوا هذا جسدي الذي يُقرَّب لمغفرة الخطايا، وهذا دمي الذي يُسفك لغفران الذنوب». ولم يرد بذلك أن عين ذلك الخبز وذلك الشراب هو جسده ودمه، لأن مذهبه لم يكن في ذات الأجساد التي ليس لها قوة على إظهار الحياة ولا خلاص من موت. ولكن مذهبه كان إلى المعنى الذي انكشف بجسده من الحياة بقيامته من القبر وخروجه عن الموت، فقال: «ان هذا الذي أعطيكم هو جسدي»، أي الحياة التي ظهرت بقيامة جسدي من القبر وخروجه عن الموت، هي التي تذكرون وتظهر لكم بأخذكم هذا الخبز الذي وضعت عليه اسم جسدي، فهو جسدي في معنى

---

١. في النص «فيفرج».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إظهاره لكم وتذكرة إياكم الحياةَ الدائمة التي صار إليها جسدي بقيامه من القبر. فحياتنا من الموت وقيامتنا من القبور صُوّر لنا ومُثّل قدامنا بجسد الخبز والشراب الذي سمّاه جسده ودمه: بموته وقيامته من القبر وصعوده إلى السماء، علمنا أنّا نقوم من القبور ونحيا من الموت مثله، إذ كان بالجهة التي مات بها من جوهرنا، وحكمُه في الموت والحياة حكمُنا.

فأمّا تسميةُ جسده ودمه قرباناً عن العالم، فان ذلك على سنّة الله في بني إسرائيل، لأنهم كانوا يذبحون الله الذبائح عن خطاياهم. فلخطية آدم قضى الخالق عليه بالموت ومرّ جارياً في نسله، حتى جدّد الله آدماً // ثانياً من غير زرع جعله له حجاباً بينه وبين خلقه على ما تقدم [41 a] وصفنا له. فعملَ بالبرّ كله ولم يوجد فيه خطيئة، كما وصفه أشعيا النبي: «ما رضي الله عن خلقه فاحتمل لعنتهم وحرق صكَّ خطاياهم»، فوجب أن يرفع الموت عنه وعن أهل جوهره ببرّه كما قضى الموت على آدم وأهل جوهره بمعصيته. فكأنه قام عن جميع أهل جوهره في إبطال الخطية التي دخل بسببها الموت مقامَ الذبائح التي كانت تُذبح وتُقدم لله على خطايا بني إسرائيل. إذ قد وجب أن يبطل الموت وتظهر الحياة ببرِّه، كما وجب الموت وبطلت الحياة بمعصية آدم الأول.

ولا يبيّن إبطالَ الموت إلا بالوقوع تحته والغلبة له والخروج عنه، فيُظهر بذلك أنه لم يكن له سلطان ولا قوة، فبطل وثبتت الحياة مكانه، لأن الإنسان الذي جرى عليه الموت، وان طالت حياته، فانه يقال ان الموت بين يديه مثل أهل جوهره، ولا يظهر بذلك انقضاء الموت إلا بإظهار قبوله ثم كشف إبطاله وانقضائه[1]. فمات عن الخلق ليس لأنه يجب عليه الموت، إذ لم يخطأ كما أخطأ آدم فقضى عليه الموت، لكن ليحقق أبطال الموت عنه وعن أهل جوهره، إذ مات ليتبيّن أنه في الجوهر الذي جرى عليه الموت، فقام ليبيّن إبطالَ الموت عنه وعنهم، وأنه لم يلزمه كما لزم أهل جوهره، إذ لم يكن له خطية، بل خرج إلى الحياة

---

١. «وانقضاء» في النص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وأبطل سلطانه بخروجه عنه. فعرف أهلُ جوهره أن الذي[1] وجب عليهم من الموت بسبب خطيئة آدم، قد بطل عنهم بخروجه عنه لمساواته إياهم في الجوهر، وأن جميع جوهرهم // [41 b] مجتمع في بدنه، إذ كان جوهر الأنس كلهم واحداً. فقام، مظهراً أبطالَ الخطية التي بها حتم الموت اللازم لولد آدم، مقامَ القرابين التي كانت تُقرَّب لله لابطال الخطايا، بل تلك مثال له، وهو بالحقيقة أبطل الخطية بابطاله الموت الذي دخل بسبب الخطية، لأن تلك القرابين لم تبطل الموت الذي دخل بسبب الخطيئة، وهو قد أبطله وأوضح الحياة منه والارتفاع إلى غير بلد الموت أعني السماء.

١١ ــ الكلام على الصليب

فأما ما يهزأون به من تقبيلنا الصليب فانا نرجع إليهم بالحجّة. فاعجب من ذلك من تقبيلهم حجراً كان المشركون يكرمونه ويقبلونه، فان الخشب على حال القرب إلى الثمرة من الحجارة.

فان قالوا: فانّا لم نرد بذلك الحجرَ، قلنا: كذلك ولم نرد نحن بذلك الخشبَ الخشب. فاما معنانا في إكرام هذه الشعار فكما وصفنا من تجلي خالقنا في الجسد الذي صلب عليه واظهر لنا به القيامة والحياة وبطلان الخطية. فنريد بالتمسّح بالشعار الذي صلب البشرُ الذي هو حجاب خالقنا عليه تعظيمَ خالقنا والتقربَ إليه. كما انّا نقبّل بالتعظيم للملك حافرَ دابته والترابَ الذي أسفل قدمه فضلاً عن سبّاطه وثوبه، وكما أنّا واياكم نتمسّح بثوب رجلٍ تقرّب إلى الله بالعبادة، نريد بذلك التقرب إلى خالقنا إذ تمسّحنا بثوب عبد من عباده اطاعه. فكم بالحري، إن كنّا نتمسح بثوبٍ لاكرام إنسان أطاع الخالق، ينبغي ان نتمسّح بالشعار الذي صُلب عليه حجاب الخالق ولباسه. ولا يدعونا الجهل، إذ فعلنا ذلك بما هو أقل وأصغر، ان ندعه // فيما هو أعظم وأكبر، [42 a] إلا إن

---

١. أي: ان ما.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تحدث لنا قوّة في جوهرنا نتكبّر بها عن تقبيل حافر دابة الملك وثوب الصالح ولباس الخالق أيضاً بما دونه، وهذا جهل وخطأ.

فقد أوضحنا معنانا في تقبيل الصليب. فان رجعنا سائلين عن تقبيلكم الحجر. فبماذا تجيبون؟ فان قلتم لأنه أتى من الجنة، قلنا: فقد سمعنا ان الله ينها عن إكرام الحجارة التي خلق في الدنيا واتخذها الناس أوثاناً للعبادة. فما صيّر[١] اكرامَ ما أتى من الجنة وتقبيلَه أولى بكم ممّا في الدنيا، والله خالقها جميعاً؟[٢] فان قالوا: ان ذلك بسبب إبراهيم، قلنا: فتقبّلون حجراً بسبب ابراهيم وتنكرون تقبيل خشبة بسبب حجاب الخالق أعني بشرية المسيح؟ وان قالوا: تعبّدنا اللهُ بذلك، قلنا: وما يصحّ من قولكم تعبّدنا الله بما قد أقررتم انه قد نهى عن مثله وأمر بقتال المشركين عليه، ولو لم يكن ذلك بأي معنى كان في التعبّد بتقبيل الحجارة[٣]. ولا أحسب لهم في ذلك معنى تقبيله العقول، فندع الكلام فيه لعلمنا بالحاصل منه.

١٢ ــ الكلام في الأكل والشرب في الآخرة

وأما ما أنكروا ممّا في الإنجيل من ابطال التزوج والأكل والشرب في الآخرة وظنوا أن في ذلك تقصيراً بثواب الصالحين، فانّا نرجع إليهم بما ذكروا من خلاف ذلك، فانه هو التقصير والنقص والابطال للثواب، وان الذي ذكرَ الإنجيل هو الثواب الصحيح والنعمة الظاهرة بما ينكره أهل العقول. وذلك انّا نعلم ان الله عزّ وجلّ إذ صيّرنا في هذا العالم الدني الفاني الناقص الخسيس الذي اكتنفتنا فيه المكاره من الأسقام والأمراض // والآفات الكثيرة والموت المفني، [42 b] وصيّر بنيتنا فيه بنيةً ضعيفة منتقصة قابلةً للآفات، جعل حياتنا فيه أيضاً لا تقوم إلا بما يخرج من تربته عليها، ليتبيّن ضعفنا وحاجتنا ونمتنع من التكبّر والتجبّر

---

١. في النسخة «صير»، أو «ضير».

٢. أي: ما صير اكرام هذا الحجر أولى من اكرام غيره والله خالق كل شيء. الجواب: ذاك بسبب ابراهيم.

٣. أي توفقون بين قولكم انكم تتعبدون لله بتقبيل الحجر وبين اقراركم بنهي الله عن تقبيل الحجارة نهياً قاطعاً حتى في سبيل التعبد.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المضرّ بأنفسنا. إذ كانت حياتنا ــ، ونحن احياء ناطقون نسوس العالم كلّه، لا تبقى ولا تثبت إلا بشيء يخرج من التراب وينسج عليه ــ، موات. وانّ فقْدنا مما طغيت[١] إلا خاصة حياتنا، أعني الطعام والشراب، لينقلنا من هذا العالم الخسيس ومن هذه البنية الضعيفة المنتقصة إلى بنية قوية مبجّلة، ومن بعد[٢] الحياة الخسيسة التي لا تثبت إلا بما هو دونها إلى حياة دائمة غير محتاجة ولا ضعيفة، فنعرف فضل ما تصير[٣] إليه، إذ كان هو غاية الثواب المعدّ لنا على حال ما كنا عليه.

ولكن سرورنا ذلك وابتهاجنا به يجتنب ما جرّبها[٤] من العالم الفاني، ومن ضعف بنيتنا [اذ] كانت فيه، وحاجتنا في قوام حياتنا إلى الأشياء الدنية[٥] التي هي دونها من الطعام والشراب.

فقد وضح بذلك ان الله تبارك اسمه بيّن في كتابه انه يرفع موضع[٦] ثوابه عن الضعف والحاجة إلى قوام حياتهم بسرٍ[٧] دونهم. وانه يصيّر بنيتهم في ذلك العالم بنية متقنة قوية غير ضعيفة ولا متربيةً بطعام ولا بشراب ولا مزيدة بذلك متدرّجة به من حال صغير إلى حال كبير، لتبقى بقوة الخالق لا بشيء ضعيف دونها، ويدوم السرور للخلق مع الخالق إلى أبد الآبدين ودهر الداهرين على حال واحدة كاملة غير متزيدة بطيب طعام بعد طعام وشراب بعد شراب ونكاح مرةً بعد أخرى على اختلاف ذلك وكثرته. بل يُلحقهم // في الدرجة والقدرة [43 a] والكرامة والبقاء والسرور الدائم أبداً بملائكته الأبرار إلى أبد الآبدين.

ولست احسب المخالفين يدّعون في ثواب جبرائيل وميكائيل وجميع الملائكة

---

١. ثلاث كلمات قراءتها صعبة، قد يكون المعنى أن فقدنا للطعام والشراب أي لما تقوم به حياتنا وتطغى به هو ما ينقلنا من هذا العالم، الخ...

٢. في النص: «بعده».

٣. الكلمة غير مقروءة.

٤. في النص: «بحببت ما حربها».

٥. أي أن ابتهاجنا يكون الله نفسه هو ثوابنا يجعلنا نجتنب ما يجربنا في هذا العالم الفاني من طعام وشراب، وذلك لضعف بنيتنا.

٦. في النص «وموضع»، قد تكون معطوفة على كلمة ساقطة سهواً من الناسخ.

٧. في النص: «بسر».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المقرّبين نقصاً ولا خساسة، ولا ان لذّتهم باتيان النساء والأكل والشرب بأكثر من لذة الملائكة بغير ذلك.

وأما ما ذكروا من الأكل والشرب والنكاح، إذ كان ذلك وُضع لنا في هذا العالم بموضع خساسةِ وقائه[١]، وصرنا فيه شركاء للبهائم، فقد وضح للعقول، إذ صيّروه في غير موضع الحاجة إليه، انه فضل وعيب أو ان يُحتاج[٢] إليه، فيكونون قد حطّوا ثواب الله تعالى إلى النقص والحاجة وما كانت البهائم تشركنا فيه؛ ولم يرفعونا بحسن جزاء الله وكثرة ثوابه عن التكوّن في هذه الشهوات البهيمية التي لا نشرك البهائم إلا فيها، والخسيسة والدنيئة الموضوعة لنا بموضع الحاجة والتي دبّر[٣] الخالق فيها لنقصها كسّر نجوبنا[٤]، والتي عهدناها تتحول زبلاً منتناً واقذاراً.

ولولا أن يطول الكلام فيطول الكتاب أكثر من هذا، لاتّسع في إيضاح النقص فيما قالوا، لكنا ندعه لم يفهم. والحمد لله خالقنا والهنا على ما عرّفنا من كتبه وهدانا له من أمره حمداً كثيراً دائماً إلى دهر الداهرين آمين.

غفر الله لقاريه وسامعه وقانيه وكاتبه أولاً
وأخيراً ولوالديهم ولبني المعمودية والعالم
أجمعين. نجز في الرابع عشر من شهر هتور
سنة ألف واربع عشر[٥] للشهداء الاطهار
بدار اليسح النفس بالحودرية[٦]

---

١. في النص: «وفاه»، نقرؤها: «وقائه» أي حفظه بالتناسل.

٢. في النص «بحاح»؛ أي نقلوا ما نحتاج إليه في هذه الدنيا من الأكل والشرب، وهو فضل وعيب معاً، إلى العالم الثاني حيث لا حاجة لنا بذاك.

٣. في النص «والذي».

٤. في النص «كسر بحوبنا»: كلمتان لم نحسن قراءتهما، ولعلهما «كسر نجوبنا»، أي ان الله دبر هذه الشهوات الناقصة كسر لتناسلنا.

٥. في النص «الف وأربع عشر» كلمات غير مقروءة تماماً، ولكن لا يمكن قراءة غيرها؛ وهذا التاريخ يعادل سنة ١٢٩٨؛ وما يثبت صحة هذا التاريخ هو خط المخطوطة الذي هو دون شك من القرن الثالث أو الرابع عشر.

٦. الكلمات الثلاث الأخيرة لم نحسن قراءتها فأوردناها كما هي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

كتَاب المسَائِل وَالأَجوبَة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المحتويات

كتَاب المسَائِل وَالأجوبَة

الجزء الأول

المقالة الأولى: في تثبيت قدم الخالق ووحدانيته وإثبات حدوث العالم. وفيه ثمانية وعشرون مسألة ٩٣

الفن الثاني: في تثبيت الإنجيل المقدس. وهو أربعة عشر مسألة ١٢٨

الفن الثالث: في تثبيت وحدانية الخالق بثلثة أقانيم. وهو تسع مسائل ١٤٨

[المقالة الرابعة: في سبب تجسد الكلمة وما يتبعه، «في الاتحاد والموت والبعث. وهو إحدى وخمسون مسألة»] ١٧٨

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[44 a]

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد

الجزء الأول من كتَاب المسَائِل وَالأجوبَة

تأليف عمار البصري في الاحتجاج لتصحيح وحدانية
الباري وربوبيته، جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه وتعالى

وهو ثلثة مقالات

المقالة الأولى

في تثبيت قدم الخالق ووحدانيته وإثبات حدوث العالم
وهي ثمانية وعشرون مسألة

[المقدمة][1]

[44 b] // ادام الله لأمير المؤمنين بهاء العزّ وجماله، وأكمل له سناء الشرف وجلاله، وأسبغ عليه توالي النعم، وبارك له في جزيل القسم، وتولاّه فيما يحاول ويدبّر ممّا أكرمه الله وقلّده من خلافته وسلطانه بنصره وتأييده، وأحسن في الأمور كلها توقيفه وتسديده.

فان الذي ألهم الله أمير المؤمنين ووفّقه له من العناية بأمر دين الله والاجتهاد في تقويته وتصحيح معرفته وتثبيت الحجة على من جحد ذلك وأنكره وخالفه وزاغ عنه من الحايدين عن الحق بشنعة آرائهم التائهين في حيرة الردى بضلال عقولهم، حتى صار إلى بسط المسلمين في ذلك والجمْع بينهم والتصفح لارايهم والتميّز

---

١. «المقدمة» من الناشر لا في النسخة. أما في المخطوطة هنا فقد زيد في اعلاها بخط مختلف محدث: «ابتدى فتوح (؟) سؤال لأمير المؤمنين مشتمل على الكرم والبخل».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لما يجري على سمعه من مخارج كلامهم ومعاني احتجاجاتهم بميزان عقله الذي فضّله الله به والموهبة التي أعطاه فيما خصّه به من براعة الفهم ولطافة العلم وعرّفه من الحق ودلّ عليه من طريق الصواب وأيّده من الرشد والتوفيق وجنّبه من ذلك سوءَ الرأي وزيغ الهوى، عدلاً وانصافاً نصف ظلامتِهم على صوابه إذا أصاب ويردّه إلى انهج سبله إذا حاد لينعش الله به العاثرين من عثرتهم ويستنقذ، بمعاناته ما يعاني به من ذلك، المتهورين في حيرة الضلال من حيرتهم، رغبةً منه في القربى إلى الله والحظوة عنده والاستجاب لجزيل ثوابه عليه ــ،

بسطَ مثلي، مع لزوم الضعف لي واقراري بالعجز والتقصير، إلى محاولة ما يصغر عنه قدري وتقصر دونه روّيتي من تكلّف ما تكلفت من هذا الأمر وإنهائه إلى أمير المؤمنين
[45 a] أعزّه الله طمعاً في إدراك الضمان ان وُفّقت له واستعارته[١] منه، أكرمه الله، إذ قصرتي // تعجز عن إدراكه وبلوغه، بعد أن رجوت في ذلك عون الذي وعد المتوكلين عليه تلقينهم حجتهم إذ قال: «لا تهتموا لأنفسكم ماذا تقولون[٢] وإذا سُئلتم ماذا تجيبون فانكم ستُلهمون حجتكم في الساعة التي تحتاجون إليها[٣]». وأمّلت مع إخلاصي لديني أن يكون فيه بلوغ شفاء من كان باري[٤] لبيانَ مستشفياً. فان يقع ذلك بحيث أمّلت ورجوت فالشكر فيه لذي الايد العظيمة والنعم الجسيمة والمنن الظاهرة. وان يقصّر فالتقصير بمن لا نهوض له على استقصاء أمور الحليم اللطيف أحرى، وأمير المؤمنين، أكرَمه الله، بالتقوية فيه والإرشاد أولى.

والذي سلكت فيه، أعزّ الله أمير المؤمنين وأيّده، في هذا الكتاب، احتجاجُ[٥] في أمر الخالق تبارك وتعالى، والقولُ في تصحيح وحدانية ربوبيته جلّ

---

١. «واستعارته»، أو «واستعادته» أي «الضمان».

٢. في النص: «تقولوا».

٣. انجيل لوقا، ٢١: ١٤ ــ ١٥.

٤. في النص «بارى»، أي من طلب الشفاء ممن هو بارئ البيان الذي وعد بإعطاء الحجة في ساعة المحاجة.

٥. أي أن مضمون كتابي هو الاحتجاج الخ... يستعمل عمار البصري «الذي» بمعنى «ما» في مواضع عديدة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ثناؤه وتقدست أسماؤه، وإقامةُ الحجة به على أهل الجحود له، والتسليمُ لتدبيره ببرهانٍ لا يُدفع صدقُه وقياسٍ لا يبطل حقّه؛ فحصلت ابتداء المسألة منهم في إنكار الخالق سبحانه، ليوجب عليهم ما اضطرّت إليه العقول من وجوده، وبه التوفيق والإرشاد.

المسألة الأولى

ان سأل سائل من أهل الجحود وقال: ما الدليل على حقّ ما قد قلتم من وجود الخالق، وعلى أن العالم مخلوق من صنعته؟ قلنا: الدليل على ذلك وجودنا. العالم دار مؤلفة من أركان متضادة ومتفاوتة، أعني الأرض والماء والنار والهواء. فأول دليلنا عليها أنها مصنوعة وان لها صانع، ما نرى من تأليف هذه الأركان واعتدال قواها مع اختلاف // طبايعها وتضادد [45 b] جواهرها، لكي عندما يُرى من تآلفها وتشابكها مع تقاومها وتناصبها، لم تشتبك، بتضادد آرايها ولم تتآلف من تلقاء أنفسها، قوةٌ على اتفاق عالم واحد دون قوة مؤلّفٍ قهرها على الاشتباك وذلّلها بالائتلاف. وهو بقدرته عامدُها وممسك تشبيكها وحاسم كل واحد لها عن مقالته صاحبه ومفارقته. ولو توهمتَ في عقلك تخليةَ ممسكها عنها مقدار لمح بصر، لأوهمتْك أنها غير ثابتة على تآلفها وتماسكها دون انحلالها وانتقاصها، مقدار طرفة عين. لأنك إن أبطلت الأرض في وهمك، لم تجد الماء بعدها ثابتاً، فانه لا قوام للماء إلاّ بجمادٍ تستقرّ عليه. ثم ان عدمت الماء بوهمك، لم تجد للعالم وأهله، مع تبيين النار وحرّها، ثباتاً. كذلك لو أبطلت النار في وهمك، لم يكن لشيء من الطبايع، مع رطوبة الماء وبرودته، قوام[1]. ولو اعدمت الهواء في عقلك لم يمكنك إخطار ذات العالم على بالك. فقد تستدل العقول بهذا على أنه لا وجود للعالم إلا بائتلاف هذه الطبايع الأربع وتماسكها. ثم تستدل، من تماسكها وتآلفها مع تقاومها وتناصبها، على أن لها مؤلّفاً أصلح تقاومها وعدّل

---

١. في النص «قواماً».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

اختلاف ماهيتها وما نشأ منها وأدامها به روحاً كاملة...[١] وجعلها مسكناً لما أنشأه منها.

ومع هذا فان لك في تبيين جسمك وتأليف أوصالك وتركيب اعضايك لَدليلاً شافياً فيك ما يحوجك إلى اعتبار ما هو نابذ عن ذاتك يَشهد على أن لك صانعاً بارياً احكم تأليفك واتقن تركيبك من هذه الطبايع الأربع التي منها أنشأ سائر // العالم. [46 a]

وأول وجود ذلك في بنيتك[٢] الجو[٣] الباطن المحتوية على أضلاع جنبك وجلدة بطنك ثم قحف رأسك الذي جعله صانعك معدناً حصيناً لدماغك وسائر الحواس والمسالك التي بها تخبر[٤] معرفة الأشياء إلى نفسك وعقلك، أعني العينين والأذنين والفم والمنخرين وغير ذلك من الأعضاء المجوفة المركّبة فيك ظاهرَ بدنك وباطنَه. فهذا ما تجده من طباع الجو في ذات بينك، ثم تعلم حاجتك من بعد إلى دوام فسحته لنسمتك واستنشاقك وسائر تقلبك في أحوالك من التمني والانبساط والقيام والقعاد وما أشبه ذلك من حركاتك. ثم لا يجحد عقلك أيضاً ما يَرى من الرطوبة المنتسجة في لحمك ودمك من طباع الماء، وقلّة غناك[٥] عن ما تشربه منه وتطفي به سورة النار المستكنّة في باطنك في الحالات والأوقات.

ولا تنكر أيضاً طبيعةَ النار الكائنة فيك، إذ تحسّ بها من حرّها وعنف أفعالها في أوصالك، أوقات فقدها لقلة الماء وبرودته، وما تجد من دوام محسّها في بدنك مهما دمت حيّاً.

ثم تجد غلظ طباع الأرض التي منها صوّرت خلقتك أنها فيك. وتستدل، من قبول جسمك للنماء وجثّتك للفطم بعد الصغر والطفولية مما تغتذيه من نباتها

---

١. هنا كلمة غير مقروءة.

٢. في النص «بنتك»، ولعلها في «ذات بينك» كما وردت أدناه.

٣. «بحو» في النص؛ وهي «الجو»، على رغم قلق الجملة، استناداً إلى ما ورد أدناه: «فهذا ما تجده من طباع الجو في ذات بينك».

٤. «بحبر»؛ أهي «تجيز»، أي تجوز؟

٥. «عناك».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وقوة أعشابها، على أنك عليها صُوّرتَ ومن تربتها جُبلتَ. ثم تعلم أن لا قوام لك ولا وجود لك إلا بها وفيها وعليها.

فهذه الأربعة الأركان التي منها أُلّفتْ دار العالم موجودة في بنية بدنك لا ينكرها عقلك. فلا دليل تحتاج إليه على وجود خالقك أوضح وأظهر من شواهد العقل من تأليفه بدنَك من هذه الطباع المتضادة المتقاومة وإنشائه[1] بنفسٍ علاّمةٍ ركّبها فيه بقدرته وحكمته.

[46 b] // **المسألة الثانية**

فان أقرّ السائل عند هذا البيان بأن العالم والإنسان جميعاً مؤلفان من هذه الأركان، ثم قال: وما الدليل على أن قوى هذه الأركان من الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة مكوّنة مخلوقة؟ قلنا:

الدليل على ذلك تذلّلها وانقيادها لما أحدث فيها من التأليف والتسلسل[2] والامتزاج، ثم قبولها لما عرض لها في ذلك من الغيار والتنقل من حال إلى حال. ولم يكن أنجع[3] الجريان والغيار في أعيانها إلا وهي محدثة مصنوعة. وذلك أوضح دليل على ما كان من تأتّيها واجابتها إلى حدوث الكون بدياً. وكذلك قبول الكون ما أنشئ منها من الطبايع الأربع للحدثان والاعراض يشهد على حدوثها وابتداء كونها اضطراراً. كما أنك تعمد إلى الأرض فتنقيها وتحرقها وتفرق بين البعض والبعض منها وتحدث الفساد في جوهرها من خرق وإبادة وغير ذلك. ثم تعمد إلى الماء فتحتوي منه على ما أردت من القليل والكثير فتحول بين البعض منه والبعض ولا تجد للامتناع من ذلك محيصاً. ثم ان الماء والنار جميعاً منقادَين لتستعملهما أنّى شئت وكيف أردت، فتسخّرها لك عندما تحدث فيها وتستعملها بذلك على أنها محدثة مكونة، لا شك لمن له عقل في ذلك ولا امتراء.

---

١. «وانشاه».

٢. في النص «التسسل».

٣. في النص «اسجع»، ونظنها «أنجع»، أي «نجع» بمعنى أثّر، نفع.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ومن هذه الجهة تبطل دعوى المدعي الهيولى الأزلية الذي زعموا أن منها أنجع[١] الصانع أنواع الجواهر وقدّر أشكال الصور. وذلك إن حكمَ ما لم يزل قائماً أزليّةُ الاعتلاء والامتناع من قبول الحدثان والاستحالة من حال إلى حال.

[47 a] فان أبوا الاقرار // بذلك وقالوا: كلا ما حكم ما لم يزل الاعتلاءَ والامتناعَ من قبول الحدثان، راجعناهم سائلين فقلنا:

فما حجتكم على من أنكر أن يكون لدى الخالق مادة افتعل منها شيئاً؟ فقال: بل إذا لم يكن في قدرته وقدم أزليته إمكان لخلق الجواهر لا من شيء[٢]، فانما أنشأها من طباع نفسه وانتجها من ذات جوهره؛ هل ثبت[٣] لكم في ابطال ذلك حجّة دون احالة دعواهم في نفسها، إذا أوجب إنكار دخول الاعراض على الذات التي لم تزل. فان كان حكم ما لم يزل الاعتلاء والامتناع من قبول الاعراض طبيعياً، كذلك حكم ما ألفي لحدثان الاعراض قابلاً حدوث الكون والخلق اضطراراً. أو أي سهم يوجد في قدم الهيولى في قدم الأزلية عند زعمهم انها منقادة مقهورة لدى من فصّلها وبعّضها واحدث الاعراض فيها من تقدير الأشكال والاحالة من حال إلى حال. ومن الذي فوّض إليهم هذه الحكومة ليقضوا على اثنين أزليين يُلفى أحدهما قادراً مستطيعاً[٤] والآخر منقاداً ذليلاً.

فان قالوا: ان الهيولى لم تتغيّر عن ذاتها، بل إنما قبلت الاقدار والأشكال من غير أن يكون دخلَ على ذاتها غيار وفساد[٥]: كما أن صاحب الفخار، وان عمل من الطين أنواع الآنية وضروب الأشكال، لم يداخل ذات الطينة من ذلك فساد ولا غيار؛ قلنا:

ما تشبه لعمري قضيتكم هذه بالأولى؟ وأي قياس بين زعمكم أنها أنتجتْ من لا جسمٍ أجساماً ومن لا روحٍ أرواحاً ومن لا حياةٍ حياة، وبين طينة صاحب

---

١. راجع الحاشية السابقة.

٢. في النص: «لا في شيء».

٣. قرأنا «ثبت» افتراضاً، ويمكن أن تكون هذه الكلمة الممحوة «كانت» أو «بانت».

٤. في المخطوطة «مستطيلاً»، وهي دون شك «مستطيعاً».

٥. في النص: «غياراً وفساداً».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفخار التي، ان هو أهمل طينة الأشكال التي منها صوّر آنيته // على حالها، ثبتت للدهر طيناً، [47 b] وان حرقها بالنار فازال الرطوبة المعترضة فيها عنها ونقلها بذلك عن جوهرية الطين وصارت فخاراً. فبأيّ الأمرين تقضون[١] على صاحب الهيولى أن يكون عمل هيولاءه. فان زعمتم ان جميع ما أنتج منها لم يتغيّر عن أصلية هيولانيته، فاذن لم يوجد فيما أنتج منها جوهر ولا روح.

وان قلتم بل قد أحالها باعراض أدخلها عليها إلى غير الهيولية، أوجبتم بذلك دخول الحدثان والفساد على الهيولى، والزمتم امكان الغيار والفساد [على][٢] ذات كل ما لم يزل ولم ينتقص[٣]، فيما عبتم من دعوى من زعم أن الصانع الأزلي أدخل الاعراض على ذات جوهره فانتج منها هذه الطبايع والأشكال والصور. أو ترجعون من ذلك هرباً إلى الاقرار بأن الأشياء أُنشئتْ أو أُبديتْ حديثاً لا من هيولى.

فان قالوا: بل نزعم ان الهيولى محدثة مخلوقة وليست بأزلية قديمة. قلنا: ان كنتم انما تعنون بأن الهيولى المحدثة المخلوقة المتقدمة هي هذه الطبايع التي بدأنا بذكرها فأثبتنا أن الخلايق أُنشئت منها، ساعدناكم على معناكم لما نشاهده منها ولم نعاندكم، وان كنتم تعنون بها ذاتاً[٤] أخرى غيرها متقدمة لها.

قلنا: فأوجدونا حق ذلك ببرهان واضح كما أوجدناكم ذوات الطبايع الأربع وحدوث كونها ونشوء الخلايق منها بشهادات العقل والحواس جميعاً. فان قالوا: برهان ذلك ما حكمت به العلماء بانها متقدمة لجميع الخلايق، ومن قِبَل علمنا انه لا يكون شيء إلا من شيء؛ قلنا: فقد أقررتم أن الهيولى محدثة مخلوقة وهي // عنصر الطبايع، وحادثُها من أي شيء جعل الهيولى؟ [48 b] أمن مادة أخرى تقدمتها؟ أو كانت من متقدمة أيضاً قبلها، فتحيلون[٥] ذلك إلى السرمد الذي لا انتهاء له.

---

١. في النص «تقضوا».

٢. «على» ساقطة من النسخة.

٣. «ما لم يزل» أي الأزلي، «ولم ينتقص» أي الكامل.

٤. في النص «ذات».

٥. «فنحلون».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة الثالثة

وان قالوا فان أوجبتم ان الأشياء كلها المحسوسة والموهومة مخلوقة محدثة جميعاً، فما الدليل على أن خالقها ومحدثها واحد لا اثنان متضادان، على ما نرى من تضادّها في العالم من الحياة والموت والصحة والسقم والغنى والفقر والخير والشر والضياء والظلام والمنافع والمضار؟

قلنا الجواب: ان الذي[1] نرى من تعاون هذه الخلائق المتضادة والأزمان المتقاومة والأمور المختلفة فيما يؤول إلى مصلحة شأن العالم وأهله، هو الدليل على أن خالقها ومدبرها واحد مقتدر حكيم، لا اثنان متقاومان، على ما نرى من قوام دار العالم باعتدال هذه الطبائع المتضادة من الماء والنار والهواء والأرض، وفيما نشاهد من دوام البرد ونتابع الأندية وتتواتر الأمطار أوان الشتاء على ما يقوت أهله من الأعشاب في الأرض وينبت ما يُبذَر فيها. فلا يزال ذلك دائماً عليها حتى يستحكم ما يخرج من ثمارها. ثم يأتي عليها بعدُ زمانٌ يقاوم ذلك، من حرّ ويبس وسمائم وحرور تنشّف الأندية من طبائعها ويمكن المغتذي منها العيش بها.

ذلك معما في اختلاف هذه الأزمان ومن يبوسة الصيف وحرّه بعد رطوبة الشتاء وبرده، وجمود دول النهار من صلاح أبدان الأنس وأجسام الحيوان // وراحتها، ما لا تخيّله [48 b]
عقل. ولو أن أيام الدهور اتّسعت على دوام البرد وإدمان الأندية والأمطار، لعَفنتْ الثمار التي تصلح بسلطان حرّ القيظ وشمس النهار ويبسها. وكذلك كانت أبدان الأنس والدواب تفسد وتعفن لا محالة. ثم قد كان الحكيم الواعظ في تدبيره أحياناً من مضرّة تقديم الحر والبرد وتأخيرها عن أوقاتها، ما يستدلّ به ذوو العقول والعبَر على أنه لا صلاح لشأن معايشهم ولا قوام لطبائع أبدانهم إلاّ بتضادد هذه الأوقات واختلاف هذه الأزمان الجارية عليهم. ولو كان تضادّها من قبَل مدبّرَين متقاومَين لكان، بدل ما يُرى من صلاح عواقبها، تضادداً وفساد.

---

١. «الذي» بمعنى «ما».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وأما اختلاف حالات أهل العالم في الغنى والمسكنة، فذلك أيضاً أوضح دليل على وحدانية الواحد الحكيم، بل إداك ذلك بالعرف، بعد أن عرّف بحكمته ما يصلح لكل أمر منهم من المنزلة التي أنزله إياها، تحرّياً لإقامة شأنهم وصلاح معاشهم أجمعين. فانه لو لم يسسْهم من ذلك بمراتب مختلفة فجعل بعضهم ملوكاً وبعضاً للملوك أعواناً، وبعضهم أغنياء وبعضاً[١] إلى الأغنياء محتاجاً، لم يمكنهم الإقامة في هذه الدار على هذه الهيئة احياء. فانه إذ خلقهم على هذه البنية المضطرة إلى ما يقيمها من الطعام والشراب واللباس وغير ذلك لأسباب سنبيّن عنها فيما يستقل من كتابنا، لم يستقم[٢] لهم العيش إلا بمعونة بعضهم بعضاً. فلذلك جعل بعضهم غنياً وبعضهم محتاجاً، ليضطر أهل الفقر والحاجة إلى ما في يدي الأغنياء فيعيشوا لذلك بما يقيم بشأنهم وشأن // أنفسهم، فيكون بعضهم زراعاً وبعضهم بقّالاً وبعضهم نجاراً وبعضهم حداداً[٣] [49 a] وأصناف من الأعمال التي لا غنى للعامة عنها.

فانه لو استوت حالهم في أرض اليسار جميعاً، لضاق ذرعهم في كلفه ما يقيم ذات حياتهم منه، لأنه لم يكن يمكن كل واحد منهم أن يتكلّف لنفسه ما فيه قوام حياته فيكون زراعاً بقالاً[٤] نجاراً حداداً نسّاجاً خياطاً يقوم لنفسه بكل ما يحتاج إليه دون معونة غيره. بل إنما استقام أمرهم وصلحت حالهم لِمَا اختلفت حالاتها في المنزلتين فتعاونوا على ما فيه قوام أمرهم.

ولو كان الغني والفقير أرادهما[٥] فعلُ صانعَين متقادمَين ومدبرَين متناصبين، لأدّت حال الغني والفقير إلى العداوة الفادحة[٦] بين الفاعلَين اللذين ذُكرا[٧] إلى التناقض والفساد لا إلى التعاون والاصلاح.

---

١. في النسخة: «وبعض».

٢. في النسخة: «يستقيم».

٣. في النسخة: «حداد».

٤. في النسخة: «نقالا».

٥. «اراوهم» في النسخة، أو «ارادهم».

٦. في النسخة: «القادحة».

٧. «ذكروا» في النسخة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وأما اختلاف ما في العالم من الحياة والموت والمنافع والمضار، فنبدأ ونشرح من أسباب ذلك ما نستدل به على ابطال قوة الذين زعموا أنها من قبل مدبرَين صانعَين متقاومَين. ونبدأ بذكر ذلك ما نستدل من المسألة الحادية عشر ان شاء الله جلّ وعلا.

المسألة الرابعة

فان قال: فما الذي انكرتم أن يكون من خلق اثنين متوافقين متعاونين لا متضادين متقاومين، وكل واحد منهما خلق من أنواعِ الخلايق ما فيه صلاح العالم وأهله؛ وكذلك تعاونا[١] في تدبيرٍ واحد متفق، على ما نرى من صلاح عواقب الأمور كما وصفتم.

[49 b] قلنا: انكرنا ذلك من حيث ايقنّا بأن الذي قدر بقدرته أن يخلق الخلائق // لا من شيء قدير أن لا يكون جهل أم عجز عن أن يخلق خلائقه تامة كاملة لأسباب معقولة نافعة. أفرأيت ان كان احدهما خلق السماء أم الأرض أم شيئاً من هذه الأركان الموصوفة، هل أراد بذلك خلق هذا العالم؟ أم إنما أراد به غير الركن الذي خلق فقط؟ فان كان أراد غير الركن الذي خلق فقط، فإنّا لا نتوهم شيئاً من هذه الأركان على انفراده يصلح لشيء ولا ينتفع به منتفع دون وجودها وائتلافها جميعها معاً على ما تقدم من قولنا. كما أن الأرض لا نفع فيها ولا قوام للحيوان فيها ولا معاش لها منها الاّ مع الحرّ، كذلك الحر مع النار، وكذلك النار مع الماء، وكذلك الماء مع الأرض.

فليس افتعال ما لا نفع فيه من شأن القادر الحكيم ولا من خلقته. وان كان تعمد بخلق ذلك إرادة[٢] خلق دار العالم كلها جملاً[٣] فخلق منها بعضاً[٤] وأهمل

---

١. «تعاونوا» في النسخة.

٢. المعنى غامض والنص غير مقروء: «بعمد بحلق ذلك اراده».

٣. «كلها حملاً»: قراءة غير مؤكدة؛ «جملاً»، أي جملةً إذا صح تقديرنا للمعنى.

٤. في النسخة: «بعض».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خلق بعض ليتمّه غيره، فلذلك من جهل أم عجز لا محالة. وليست أيضاً هذه من صفات من قدر بحكمته على ابتداع طرف من الخلايق لا من شيء.

المسألة الخامسة

فان قال: فما أنكر أن يكونا متعاونين في صنعة جميع الخلايق؟ قلنا الجواب:

ان التعاون في الأفاعيل على ضروب شتى: إمّا فاعلٌ شيئاً بجوارحه، كالمستقلّ من الأرض شيئاً ثقيلاً تعجز جوارحه عن حمله فيستعين بغيره في حمل ذلك، أو كباني بناء يحتاج إلى عون يعاونه في بنائه، ونحو ذلك من الأفاعيل التي يحتاج فاعلها إلى استعمال الجوارح في صنعتها: وهذه نعوت من كان ذا أوصال مركبة وأعضاء مؤلفة؛ وليس التأليف والتركيب // [50 a] من صفات ما لم يزل، بل ذلك صفة من كان مؤلفاً محدثاً وله مؤلِف محدِث. وإما تعاون في الأمر والنهي، كما يستعين الوالي بشرطه وأعوانه إذا امتنعت عليه البقية وعجز عن قهرهم بنفسه على طاعته: فهذه صفة خائب مهين يصول بعزّة غيره في أموره ولا يستحق أن يوصف بالقدرة على خلق الأجسام مع عجزه عن انفاذ أمره فيما أراد.

المسألة السادسة

فان قال: فلعلّ تعاونها وتضادها من قبل المشيئة والإرادة المكتوبة الباطنة، لا من قبل الأمر والنهي الظاهرَين منها؛ الجواب قلنا:

وكيف يمكن أن تكون إرادتان في إحكام صنعة ما نرى في هذه الخلايق؟ أوَليس التعاون نفسه يدل على عجز المتعاونَين وضعفهما جميعاً أو عيّهما وجهلهما، إذ كل واحد منهما يكلف معونة صاحبه لا من حاجة كانت إلى معونته؟ أو كيف تأتّى اتفاق هذا الخلق وإحكام هذه السياسة بمشيئة متكلفَين عاجزين ضعيفين؟ أوليس الجهل بمن ادّعى تعاون الإرادات والمشيئات في صنعة الأشياء لا من شيء أوليّ؟

انتهى القول في هذا الوجه واضطرت العقول عند هذا القياس إلى أن صانع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

هذه الخلايق واحد قادر حكيم لا عوناً له في صنعتها ولا مؤازراً له في إحداثها، بل هو الواحد باريها ومتقنها ومحكم سياستها، لا ندّ له ولا ضدّ له ولا عوين ولا شريك.

المسالة السابعة

فان رجع السائل من بعد فقال: فما الذي دعا الواحد إلى خلق هذه الخلايق؟ أحاجةً كانت منه إليها، أو عبثاً وولوعاً؟ فان كانت حاجة عرضت // له بها، بعد أن كان في قدم أزليته [50 b] عنها غنياً، فمَن لا قدرةً كانت له على دفع مكان الحاجة عن نفسه، وعجزَ عن الامتناع من زوال الغنى[١] عن جوهره، بحريٍّ[٢] ان يقوى على صنعة شيء لا من شيء؛ بل إن عجز عن استكثار[٣] نفسه، فهو عن تكلف ما هو أصعب من ذلك أعجز. وان كان خلقها عبثاً وولوعا، فالعبث والولوع ليس من صفات من زعمتم انه كامل الحكمة في ذاته في تأليف الخلايق وتقدير الأمور، على ما نرى من اتفاق هذه الطبائع وإحكام نظامها.

فنقول: اما الخلّتان من الحاجة والعبث فهما لعمري منتفيتان عن القديم القادر الحكيم جل جلاله. بل خلق هذه الخلائق تفضلاً وجوداً وانعاماً، ذلك لجودته وصلاحه وكرمه وسماحته.

المسألة الثامنة

فان قال قائل: وعلى من تفضّل وجاد، ولم يكن معه بزعمكم قبل الخلائق أحد يجود بخلائقه عليه؟ الجواب نقول:

انه لم يكن معه في قدم أزليته أحد يجود بخلائقه عليه. ولكن سواء عليك، اذ اجاد بنعمائه وسمح بفضائله، قدّم خلقَ من جاد بها عليه أم أخّره. بل يحق

---

١. «الغنى» أو «العيّي»؛ أي عجز عن الامتناع عن الخلق لأنه لم يكن مستغنياً عنه.

٢. في الأصل: «بحدى».

٣. استكثار، أو استئثار أو سوى ذاك؛ والأولى أصح، أي أن يكثر نفسه بالخلق من جوهره لا من غيره.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أن يكون تحرّى من ذلك أشكل[١] الأمرين بفضله وأشبه الخصلتين بحكمته. فبدأ بخلق جميع ما يصلح من أراد أن ينعم بخلائقه عليه، ثم خلقه من بعد فاكرمه بها. كما أن الحبيب[٢] ذا[٣] الكرم والفضل، إذا أراد اكرام حبيبته وإكمال بره، بدأ فأعدّ ما يصلح له وهيّأ له ما يقيم بشأنه وكرامته ثم ساقه من بعد إلى ما هيّأ له، لا انه يتكلف له ذلك بعد إدخاله منزله. فلذلك بدأ الجوّاد // بكرمه وبحكمته فهيّأ لعباده دار العالم وما فيها قبل خلقه إياهم، ثم خلقهم فيها وجاد [51 a] بها عليهم. فأية نعمة أفضل وجود أعظم من تكوينه إياهم خاصة على هذه الهيئة الشريفة من الحياة والعقل والنطق والفهم والاستطاعة والاختيار بعد ان لم يكونوا شيئا.

المسألة التاسعة

فان جهل فضيلة هذه النعمة وقال: فانّا لا نفرض[٤] له في تكويننا خاصة موضعَ جودٍ ونعمة، لانّا، إذ لم نك شيئا، لم توجد لدينا كراهة العدم. وإنما يُعرف السرور عند المكاره، فلا مكروه كان علينا، إذْ لم نك، أن لا نكون[٥]؟ قلنا:

أيها الجاهل الجاحد نعمة صانعه، فهل يجب اليوم، إذ كنت شيئاً موجوداً، أن تعود عدماً لا وجود لك؟ فان قال: وما أكرهُ ذلك، فقد كابر علمَ العقول وأخبر بخلاف ما يصير عليه ضميره، لأن حكمه في طباعه حكم جميع جواهر الحيوان، لا امتراء[٦] لذي لبٍّ فيه ولا شك.

وان قال: فقد أكره اليوم ذلك بعد ان كنت، فقد أوجب لباريه ومتقنه

---

١. «اشكل» الأمرين بفضله، يعني ما هو أشبه بفضله، على شاكلة فضله.

٢. في النص «الخصيب».

٣. في النسخة: «ذو».

٤. في النص: «نعرض».

٥. «يكون» أو «تكون»، «تكُ»، «اذ» أو «ان»، حروف دون نقاط، هكذا قرأنا؛ والمعنى: لم يكن فينا كراهة العدم، إذ نحن غير موجودين.

٦. في الأصل المخطوط: «امتزى».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حيّاً سليماً شكرَ نعمته والحمدَ على ما أبدأ واعقب من وجوده واحسانه في تكوينه اثباته على الحياة.

المسألة العاشرة

فان قال: فما باله، إذ كان قادراً جواداً[١] وقد علم عظيم قدر احسانه؛ خلقه في اياهم، لم يقدّم ما أراد من خلقه قبل الوقت الذي فيه خلقهم بعشرة ألف سنة. قلنا:

أما في جملة حكم العقول، إذ خلقهم بنعمته وجوده لا لحاجة كانت به إليهم، فأحرى أن لا يكون // فيما يمكن من غاية الانعام عليهم ومنتهى الاحسان فيهم. ولا شك ان قد كان لم يزل [51 b] بجوده مزمعاً أن يخلق وقتا[٢] فينشئ فيه خلقهم، لم يكن ليمكن ذلك الاّ بحدوث فعل وابتداء صنعة. فلو كان في سابق علمه جلّ اسمه أنه قد كان يمكن أن يتأتّى وقت يكون خلقهم فيه أصلح لهم واعْوَد عليهم من الوقت الذي ابتدعه لينشئ فيه خلقهم، لكان اجدى[٣] العلم عَنْيَه بهم أن يتعمد لخلقه في ذلك الوقت دون ذلك الوقت الذي فيه أنشأهم، ولو كان متقدماً[٤] له بعشرة آلاف عام، ولا يضن بذلك عليهم.

وبعد، فكما لا نقصَ بالآخرين عن الأولين فيما قدّم من خلق الأولين قبلهم بنحوٍ[٥] للأولين على الآخرين فيما اخر من خلق الآخرين بعدهم، إذ عدلت نعمةً الوجود بالتسوية بينهم، كذلك لا ضير على أجمعهم في عشرة آلاف عام لو تأخر دونها خلقهم، إذ شملت فضيلة الوجود أولهم وآخرهم.

ثم نعلمك مع ذلك ان مسألتك تستحيل، لما يحول فيه القول كلما لا نهاية له. وذلك ان كان جاز لك أن تقول ما باله لم يخلقهم قبل الوقت الذي خلقهم

---

١. في النص: «قادر جواد».

٢. «وقت» في المخطوطة.

٣. «احدي».

٤. في المخطوطة: «متقدم».

٥. قراءة غير أكيدة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فيه بعشرة آلاف عام، جاز لك أن تقول: وألاّ[١] قبل العشرة آلاف عام بماية ألف عام؛ ثم تقول أيضاً بعد ذلك بماية ألف ألف عام وأكثر من ذلك، إلى أن تقول في منتهى مسألتك ان الخلائق أزلية لا بدوء لها، وذلك الجهل المبين المحال الممتنع أن يصير ما أحدث خلقَه وابدأ صنعتَه أزلياً لم يزل.

المسألة الحادية عشرة

// وان قال: فان كان قادراً حكيماً جوّاداً كما وصفتم، فلماذا خلقهم آلمين متوجعين [52 a] مضرورين مأووفين[٢]، ثم ختم أمرهم بالموت أجمعين، ولم يخلقهم كاملين غير آلمين مأووفين ولا مائتين؟ قلنا:

لو خلقهم على هيئة معتلية عن الألم والآفات، إذن لم ينلهم[٣] الموت ولا الغيار. بل إنما خلقهم على هذه الهيئة القابلة للايثار لما هم به من نقلهم بالموت عن هذه الحال وهذه الدار إلى الحال ودار أفضل منهما. وذلك ان قدرته على كونهم وكون الطبائع التي منها كوّنهم لا من شيء، تشهد بانه لا يعجز عن أن يخلقهم لا مائتين، فخلقهم مائتين. وما دعاه من جود لأن يخلقهم تفضلاً وانعاماً لا لحاجة كانت به إليهم، يشهد بانه لا يبخل، بل بان لا يجبلهم لا متألمين جبلهم متألمين. وحكمته فيما وليَ من اتقان تأليف أبدانهم وإنعاشهم بأنفسٍ علاّمةٍ، تدل على أنه لا يبخل بابقائهم على الحياة، جعلهم مائتين فانيين. لكن ما أظهر من فضائل هذه المناقب في فعاله بهم، فقد تصرّح للعقول بأنه لم يكن غرضه فيهم هذه البنية الفاسدة ولا إنزالهم هذه الدار الدنية الزائلة. بل ما أبداهم به من جوده في بؤسهم وأعلن لهم من قدرته في إنعاشه إياهم وأظهر لهم من حكمته في تأليف أنفسهم بأبدانهم، قد يخاطب العقول جهراً، عند بذله إياهم للموت والفناء،

---

١. هكذا، أي ولم لا.

٢. مأووفين، من فعل «آف»، أي صاروا أصحاب آفة، أي عاهة وفساد.

٣. في النسخة «ينالهم».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بأن له فيهم عودة أخرى يبعثهم لها. فيثبت فيهم ما ابتداهم من جوده ويكمّل لديهم ما أولاهم من نعمته واحسانه.

المسألة الثانية عشرة

[52 b] // وان قال: فإذا لم يرضَ لهم هذه الحال وهذه الهيئة، فما دعاه إلى أن خلقهم فيها على حالهم، ولم يخلقهم على الحاس التي ازمع يحيلهم ثانية عليها في الدار التي همّ بنقلهم من بعد إليها؟ قلنا:

أراد بنا ثلاثَ خصال، فضلُ منفعتها لهم ظاهرة غير مجهولة. أما **الأولى**، إنه بدأ فجبلهم على هذه الهيئة الذميمة وهذه البنية السقيمة وفي هذه الدار الدنيّة، لكي إذا جبلهم بعدها على تلك البنية المتقنة عرفوا ما اصارهم إليه على حال ما كانوا أول مرّة عليه، فيعظم باعتلاء جوهرهم على الحال الدنية الخسيسة إلى الحال الشريفة العالية حيث يكون سرورهم وبهجتهم.

والثانية، انه، إذ[1] أراد أن يُسرّهم برفعه إياهم عن هذه الحال ومن هذه دار إلى تلك الدار، فعلم أنه لا يكمل سرورهم بذلك ولا تعظم به بهجتهم لا باكتسابٍ منهم له واستحقاق منهم إياه، بدأ فجبلهم في هذه الدار فجعلها سوقَ متجرهم، وأيّدهم بقوة الاستطاعة وانار قلوبهم بمصابيح العقل والفهم. ثم أطلقهم للتقلّب في ساحاتها بأعمالهم، حتى إذا هم استوجبوا فضائله بحسناتهم كانوا في فرحهم وفخرهم بما نالوا منها كالظافرين بالملك الجسيم عن شجاعة وجلد ومجاهدة[2].

والثالثة انه إذ أراد أن يكونوا هم المكتسبين تلك الفضائل بأعمالهم لتكمل بذلك غبطتهم وسرورهم، جبلهم على بنيةٍ قابلة الآلام واللذات جميعاً. ثم ملأ دار مولدهم، التي قدّم فيها خلقَهم، أمورَ المنافع والمضار، لكي إذا تجشّموا الشدائد في أبدانهم الآلمة استحقوا لها منه المكافاةَ عليها، ولكي إذا تدرّبا

---

١. «إذا» في النسخة.

٢. في النسخة: «ومحامدة».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

// أيضاً بما يمسّهم من لذاتها وأوجاعها، فعرفوا بذلك ماهيّة السرور والمكاره، استدلّوا على [53 a] كيفيّة ثواب ربهم وعقابه، فاجتهدوا في مرضاته رغبةً في ثوابه واجتنبوا مساخطه خوفاً من عقابه. ولو لم يقدّر لهم في هذه الدار أمور المنافع والمضار وصيّرهم قابلين لها جميعاً، لم تُوجد فيهم علةُ الاكتساب، ثم لم يعلموا ما الثواب وما العقاب، فلم يعلم مَن رغب[1] في ثوابه خيراً ولم يجنب مَن حذرَ عقابَه شراً.

لكنهم، لمَا اتعظوا أيضاً بما نالهم من مضار هذه الدار ومنافعها، ثم علموا ان لهم خالقاً حكيماً قوياً عدلاً ترضيه منهم أعمالٌ وتُسخطه أخرى، أيقنوا بأنه يكافئهم على ما استحقوا بالأمرَين جميعاً فاجتهدوا لذلك في اكتساب مرضاته ونكبوا[2] له ما يوجب عليهم سخطه. أوَليس إذ كان جلّ توخّي خلقِهم على هذه البنية القسيمة كمال سرورهم بها بما أزمع به من خلقهم بعدها على بنية كاملة. فمهما اجتهدوا هم أيضاً في بلوغ الأضرار بأبدانها، فانما يسعون من ذلك في خطّ أنفسهم، كالساجد طاعةً بتقديم الجوع والعطش تحرّياً لاستكمال لذة الطعام والشراب. وذلك من لطائف نِعَم الكريم الجوّاد، إذ صيّر عاجلَ ما قاسوا من تعب صلواتهم ودروب صيامهم ورفضهم نعيمَ دنياهم مع ما أزمع من أن يحرّك عليه ثوابهم، تجويداً لأجل سرورهم وغبطتهم.

ثم انظر أيضاً إلى هذا الحكيم وفضل جود هذا المُنعم الجوّاد، انه إذ أراد أن يُهنيهم بما يؤتيهم من فضائله، ويكمّل غبطتهم بما ينيلهم من ثوابه، طبَعَهم على هيئةٍ كأنه أراد بها رفعَ منّتهِ عنهم، فخلقهم هو فانين عريانين[3] وصيّرهم هو جاهلين آلمين ليكونوا هم الذين يصيّرون أنفسهم // بحسن فعالهم عالمين غير آلمين، فجعلهم هو ناقصين محتاجين. كذلك بدأ هو فأنزلهم [53 b] هذه الدار الدنية الخسيسة، ليكونوا هم الذين بيدهم وصلاحِ أعمالهم يستحقون نزول تلك الدار

---

١. في النص «رعب».

٢. نكبوا أي طرحوا.

٣. في النص: «قانيين عريانيين»

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الشريفة، كالمتلطف المحتال المسرور حبيبه[١] بأمور لا توجب لنفسه عليه فيها منّة[٢] يُنقصه بها سرورَه، ثم استودعه كندَ الموت الواسط بين الحالين والدارين فلا يشعروا[٤] بطول الزمان الجاري عليهم إلى انقضاء مدة آخرتهم، فيكربهم يقلقهم تأخيرُ ما استحقوه من الزلفى والنعيم المعَدّ لهم عنهم فناء الدهور الآتية على أجمعهم. بل اجملهم محمودَ الموت تحنناً عليهم وتحرّياً لدفع المكروه عنهم، وصيّره لديهم بلطفه ورأفته كالبرق الخاطف بين رقدتهم ونهيهم[٥]. فالموت أيضاً، دون مصيرهم إلى ما أعدّه لهم خيره، منفعةٌ[٦] وصلاحٌ لأجمعهم.

المسألة الثالثة عشرة

فان قال قائل: فما الذي منعه بأن يجري بانزال الموت بهم تخفيفَ طول الدهور عليهم وتقريبَ ما استحقوا من النعيم منهم، من أن يرفع الموتَ أصلاً من بين أعمالهم وثوابهم، فيصرف من استحكم منهم أعمالَه واستكمل مدتَه[٧] إلى دار النعم، دون أن جرّعه بشاعةَ هذا الموت النازل بأولهم وآخرهم.

قلنا: منعه من ذلك انصافه لهم وعدله على أبرارهم وفجّارهم. فانه لو صرف من استقصى منهم أعمالَه واستكمل مدته إلى دار الجزاء دون صرفهم أجمعين في وقت واحد، لكان في تقديمه الأولين قبل الآخرين إلى ما استحقوا من الثواب والعقاب بالدهور الجارية بينهم، تقصيراً بأهل الصلاح // من آخريهم[٨] وحيفاً على أهل الطلاح من أوليهم[٩]، إذ ينعم اخيارهم ويألم أشرارهم ألوفاً[١٠] [54 a]

---

١. أي: الذي يجعل حبيبه مسروراً.
٢. أو «منه» كما في النص وهو مضطرب.
٣. والأصح «نكد».
٤. في النص «يشعرون».
٥. في النص: «وينهيهم».
٦. في النص «ومنفعه».
٧. «مدتهم» في النص، وهو سهو.
٨. «اخرتهم» في النص.
٩. «أولهم» في النص.
١٠. «ألوف» في النص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بعد ألوف سنين قبل الآتين بعدهم. ثم لم يكن بيان حيف ذاك[١] في عاجل الكون والخلق المتقدم أيضاً فقط، إلا انما أوجب[٢] العدل في تقديم خلق الأولين وتأخير خلق الآخرين، لَمَا نال الآخرون[٣] من حظّ الكون والفناء أخيراً مثل الذي ناله الأولون من حظّها بدياً، فتكافوا في سرور الوجود ومكروه العدم بالسويّة جميعاً. بل لو قدّم بعضَهم إلى ذلك المصير بلا موت دون بعض الا ولُقي تقديمُ الأولين لتعجيل مصيرهم إلى الآخرين[٤] غيرَ مُشاكل لسعة عدله وعموم انصافه.

المسألة الرابعة عشرة

فان قال: فما الذي منعه، إذ لم يصرف بعضهم دون بعض إلى ما استوجبوا عدلا، من أن يبقي أوّليهم إلى انقضاء مدة آخريهم في هذه الدار احياء، ثم يصرفهم إلى ما استحقوا جميعاً معا؟

قلنا: منعته من ذلك رأفته وشفقته على خاصّة أهل طاعته. لأنه لو أبقى[٥] الأولين منهم إلى انقضاء مدة الآخرين على ما ألزموا له أنفسهم من دوام العبادة وتعب الأعمال واحتمال الشدائد ليصرفهم جميعاً في وقت واحد، إذن لكان يحمّل الأولين من كدّ العبادة وتعب الأعمال ما يدرك الآخرين من كلفة ذلك أخيراً، وكان ذلك غير ملائم لرأفته بهم وعدله عليهم.

[54 b]

المسألة الخامسة عشرة

فان قال قائل: أو لم يكن قادراً على أن يفعل بهم ما يلائم عدله ورأفته من غير أن يميتهم، فيرفع عنهم مؤونة العبادة بعد زمن من عيشهم ثم يبقيهم على هذه // الحال الدنيانيّة بلا عبادة.

---

١. أو «دالّ».

٢. «أوجبا».

٣. «الاخرين».

٤. «الأمرين».

٥. «انفى».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الجواب قلنا: فلو فعل ذلك بأوّليهم كانوا عثرة لآخريهم وفساداً للآتين بعدهم؛ إذا رأوا آباءهم وقدماءهم يأكلون ويشربون ويتنعّمون ولا يصلّون ولا يصومون، فلا ينصبون ولا يكتسبون، وكان البنون بلا شك يقتدون بسير آبائهم ويحذون حذو أعمالهم، فكان وشيكاً في ذلك أن يدرس ذكر العبادة عن قليل من صدورهم. ثم كان جديراً أن يؤول إغفالهم عن عبادة خالقهم إلى ابطال معرفته أصلاً من قلوبهم، فيكون بدل ما توخّى من تقديم خلقهم في هذه الدار لاكتساب ثوابه بأعمالهم يصيّر خلقَه اياهم فيها وبالاً وشرّاً وفساداً عليهم. فالموت على الحالات كلها، دون مصيرهم إلى دار قرارهم، نعمةٌ ورحمة على تقديم من تقدّم ومن تأخر منهم.

المسألة السادسة عشرة

فان قال: فما الذي منعه، إذ علمَ أن يكون بقاء الأولين على ترك العبادة عثرةً وفساداً للآخرين، من أن يخلقهم جميعاً في وقت واحد معاً، حتى إذا استقصوا أعمالهم، صرف مَن استحق منهم النعيمَ إلى النعم ومَن استوجب العقاب إلى العقاب، ولا يفجعهم دون ذلك بفقد الحياة؟

قلنا له: منعه من ذلك خصلتان. إحداهما[١] شفقتُه على خاصة أهل طاعته منهم. والثانية حسنُ نظره في الجملة لأجمعهم.

فأما ما أبان به من شفقته على أهل طاعته منهم، فانه إذ سبق في علمه بأنهم ليس كلّهم في وقت واحد يُصلحون اعمَالهم، وان منهم من يصلح عمله بعد دهر طويل من عمره، ومنهم من // بعد زمن يسير لِمَا يرى من فضله وكرمه، إذ يرتب[٢] من أصلح سبيله وأكمل أعماله إلى [55 a] آخر الدهور التي يرجع فيها جميع المزمعين بالتوبة إليه عن سيئاتهم، فيعذبون بطول الأزمان الحائلة بينهم وبين نعيمهم؛

---

١. «احداتهما» في المخطوطة.

٢. «يرتب»، هكذا.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ولكانوا أجدر، من ضعف طبائعهم والاستطاعة المجبول عليها جوهرهم إلّم يطل[١] به الزمان على عثرة الأشرار، أن يميل بأكثرهم طلبُ الشهوات إلى شرور أعمالهم وركوب المعاصي بعد الذي قدّموا من حسناتهم؛ ولكانوا خلقاء[٢] من بعد، لو لم يعاينوا الموت باحداثهم[٣] صباح ومساء، فحذّرهم ذلك، بغياب[٤] نزوله بهم، ألاّ يتوب واحد منهم بعد هبوطه من مرتبته وصلاحه عن شأنه أبداً.

أولسنا نرى وترون ان أهل التقى إنما تخلّوا عن السيئات ورغبوا في تقديم الحسنات لِمَا اتّعظوا من مصائب السالفين قبلهم ولِمَا لقيت الأحقابُ المتقدمة عند معاصيهم من أنحاء[٥] النقم التي أنزلها بهم ربهم. فلو كان وليَ خلقَهم أجمعين في وقت واحد، إذن لِمَا اتعظ أحد منهم بأحد ولا لزموا من حسن الطريقة ما حثّهم عليه المواعظُ والعِبَر[٦].

فقد بانت بهذا فضيلة ما خالف بين أزمان خلقيهم وأوقات موتهم؛ بذلك حسم[٧] أسباب المنافع والرشد عنهم[٨] اذن، لو ولي في حركة واحدة خلقَ جملتهم وفي وقت واحد صرْفَ أجمعهم.

والثانية التي تعمّد بها صلاح جميعهم، فانه إذ سبقَ علمُه بأنه لا يكمل سرورهم وغبطتهم بما ينيلهم من ثوابه إلا باكتسابٍ منهم له واستحقاقٍ منهم اياه، علم انه لا ينساغ لهم اكتساب ذلك الا بتقديم الحسنات من صالح الأعمال، فحبّب لهم // جلّ حسناتهم بسهولته [55 b] وافاض[٩] صالح أعمالهم بسعة

---

١. «يطول»: قد يكون المعنى: جوهرهم الضعيف يميل إلى الشر، إذا طال الزمان به.

٢. «حلقا».

٣. «باحداثهم».

٤. «بعذاب»؛ أي لو لم يعاينوا الموت لما تابوا.

٥. «انحا».

٦. أو: «والقبر».

٧. «حسيم».

٨. في النص «عنه»؛ وقد فهمنا الجملة هكذا: لو خلقهم واماتهم جميعاً في وقت واحد لكان قطع عليهم أسباب الانتفاع والارتشاد والاتعاظ.

٩. «وأفاضل».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فضلة احسانهم إلى أهل جوهرهم من عطف بعضهم على بعض وصفْح بعضهم عن بعض. ثم أحب بلطفه أن تجري بينهم هذه الفضائل جريرةٌ تدعوهم إليها وتحثّهم عليها. فعرف بسابق علمه أنه لا ينساغ لذلك سبب أدعى إليها ولا أحثّ لهم عليها من المودة والمحبة بعضهم لبعض.

ثم شاء أيضاً بلطفه أن يُنشئ لاجراء[١] المحبة بينهم سبباً يجيرهم[٢] به إليها، فلم يرَ[٣] لذلك جريرةً أجلّ[٤] لها ولا أدعى إليها من تواصل القرابة. ثم أراد أيضاً أن ينشئ للقرابة بينهم سبباً يلحّها[٥] به بينهم ويجريها به في طبائعهم، فلم يجد لذلك سبباً أولى بها ولا أدعى إليها من تناسل المواليد.

وكان إذ أراد بجوده وفضله أن ينشئ خلقَهم ويُجري سبب التناسل بينهم، فعل كالذي[٦] يليق بحكمته فخلق منهم في البدْي زوجاً واحداً فغرسَ في طبائعها إمكانَ التناسل والتوالد. ثم أنشأ منهما أولاداً ذكوراً واناثاً. ثم أولدهم نسلٌ من نسل، وأخرجهم عقب من عقب، لتدعوهم، كما أخبرتنا لحميّة الولادة وحرمة المناسبة[٧]، إلى محبة بعضٍ لبعض، وعطف بعض على بعض، كالذي[٦] نرى من بذل نفس المرء ومالهِ في ردّ المكروه عن أبيه وأمه وأخيه وأخته وابنه وابنته وقومه وعشيرته، حباً لهم وتحنناً عليهم.

وان كانت العداوة ربما عرضت بين الأخوة والقرابة للتزاحم في هذه المعايش الخسيسة، فليس ذلك ممّا يُبطل حجّتنا في العامة من جمهورهم، معما تشاهد العقول من تجالب الصلح والسلام والشفقة والعطف بين الأقربين والأقربين من انسال أصنافهم.

ولو كان بدل هذا التناسل // الجاري بينهم، أنشأ خلقَ كل شخص منهم [56 a]

---

١. «لاجري».
٢. «يحبرهم»، يجيرهم أي يميلهم.
٣. «نري».
٤. «اجلت».
٥. «يلحيها» أو «يلجئها».
٦. أي «كما».
٧. أي النسب.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

على حاله من الأولاد، لكان جديراً، مع تكالبهم على هذه الرغائب الدنيانية، أن لا تبطل الحروب ولا تُرفع الشحناء من بينهم دون أن يفني بعضهم بعضاً، على ما نرى من دوام الحروب بين الأبعدين والأبعدين من اجناسهم. وكان بدل ما أنشئوا في هذه الدنيا لاستحقاق الفضايل بصلاح أعمالهم، يصير إلى سوء العذاب محشرُ أجمعهم.

لقد قصد بهم الحكيم[١] اللطيف، فيما أولدهم نسلاً من نسل وأخرجهم عقباً من عقب، وفيما نشأ الكثير منهم من القليل والقليل من أقلّ من ذلك، حتى تناهى تناقصُ ذلك إلى الزوج الواحد الذي كان أقلّ قليلِ ما أمكن به أن يولدهم في سبيل الرشد ومسلك النجاح. ولو لم يُجرِ هذا التواصل بينهم لم تجرِ المحبة بينهم. ولو لم تجرِ المحبة بينهم لم يعطفوا على أحدهم. ولو لم يعطفوا على أحدهم لم يستوجبوا الثواب من ربّهم. ولو أُنيلوا بلا استحقاق شيئاً من فضل ربهم لم يكمل بما نالوا منها سرورُهم وغبطتهم. بل إنما اغتبطوا لما استحقوا، واستحقوا بما اكتسبوا، واكتسبوا بالذي تعاطفوا، وتعاطفوا حين تحابوا، وتحابوا لما تواصلوا، وتواصلوا إذ تناسبوا، وتناسبوا حيث تناسلوا. فكانت جريرةَ هذه الفضايل جميعاً تناسُلهم هذا الذي من أجله لم ير الحكيم[٢] أن يلي في دفعة واحدة خلقَ جميعهم.

المسألة السابعة عشرة

فان عاد فقال: فإذا كان إنما حمله على إنزال الموت بهم ما أراد من تقريب الدهور على أهل الطاعة منهم، فلماذا أنزله بأهل المعاصي والشرور // أيضاً، بل قد كان يحقّ له، إذ [56 b] كان الأمر على ما وصفتم، أن يزويه عنهم ولا ينزله بهم.

قلنا: أما فيما استوجبوا منه بعصيانهم فقد كانوا مستحقين أن يقرّب به أيضاً عقابَه منهم كما قرّب به نعيمَ أهل النعيم من أهله. ولكنه تأبّى[٣] لرحمته وكرمه

---

١. «الحليم».

٢. «لم يري الحليم».

٣. «تابا» في النص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أن يفعل ذلك لذلك، ولا يتفضّل عليهم أيضاً بشفقته ورأفته، فجلّ[١] ما دعاه إلى إهمال نزوله الموت في وقت نزوله بهم، أراد أن يحول ذلك بينهم وبين الأزمان من معاصيهم، فانه لو أدام الدهرَ كله رفْعَ الموت عنهم، على ما علم من نباتهم على معاصيهم، إلى منتهى أيام الدنيا، إذ يحمّلون[٢] أكتافهم منها أضعاف ما حمّلوا جسمهم من ذلك باهمال نزول الموت بهم، نظراً لهم وتفضلاً باشفاقه عليهم.

ثم انه لو أبقى الأشرار على الحياة دون الأخيار وأمات الأخيار دون الأشرار، إذن لكانت حياة الأشرار يقوى[٣] عليها فسادهم ووبالاً على جميع أهل الفريقين منهم. فانهم كانوا جُدَراء، لرغبتهم في عاجل الحياة، أن لا يهمّ واحد منهم بخير في نفسه، فضلاً عن العمل به، ما عاش في الدنيا. بل كانوا، للمنازلة في المعاصي رغبةً في الحياة والتسارع إلى الفجور وفرار من الموت، اخلق[٤]. فقد بأن بهذه الخصلتين صلاح الموت وقد عمّ أخيارَهم وأشرارهم.

المسألة الثامنة عشرة

فانه قال: فألا، إذ كان رحيماً شفيعاً رؤوفاً بالفريقين جميعاً، لمَ لا أمات مَن علَم أنه يكون عند بلوغه عاصياً شريراً في طفوليته وصباه، واستحيا[٥] مَن سوى ذلك، لئلا يكون في خلقه من يستوجب عقابه؟ //[٦] الجواب نقول: انه ليس المؤمنون والأخيار كلهم أولادَ المؤمنين الصالحين بكل أمثالهم، أكثرهم أولاد الأشرار وأهل المعاصي. ولا شك، على ما نرى من مسارعتهم إلى أبواب الفساد وميلهم إلى ركوب الشهوات، أن قد كانوا في كثيرين[٧] من دهورهم تأتي [57 a]

---

١. في النسخة، «فحل».

٢. «يحملوا».

٣. «يقوا».

٤. في النسخة «اجلو».

٥. «استحيا» أي وفر الحياة لمن.

٦. ابتداء من هنا يوجد اضطراب في ترقيم الصفحات مرده إلى تجليد المخطوطة.

٧. أي في كثير من دهورهم؛ وقد استعمل جمع الأشخاص للأشياء، كما ورد من حين لآخر في كتابه.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عليهم أزمان يُعدم الصلاح والبر أصلاً من بينهم ولا يوجد على الأرض بشري صالح منهم.

ثم لا شك أيضاً، على ما نرى من رجوع كثير منهم عن معاصيهم، أن قد كان أخلافُ أولئك الماضين في كل حقب من دهورهم ربّما اتعظوا بآداب ربّهم تعالى ورجعوا تائبين عن سيئاتهم، وعلى منهاج ذلك لم يزالوا يتداولون طرقَ الصلاح والفساد تارة تارة، منذ أبدأ على الأرض خلقَهم. فلو كان جلّ ثناؤه تعمّد إماتة مَن علم أنه كافر شرير[١] في طفوليته وصباه، إذاً لكان التوالد قد بطل، والأعقاب قد انقرضت منذ إنشاء خلق أوائلهم، ولكنه إذ عرف بحكمته وسابق علمه أن الطالح قد يُولد منه الصالح والصالح قد يولد منه الطالح والصالح وعلى ذلك يتقلبون بحرية طباعهم، على أنه لا مَخْلص إلى رفعه الأشرار من وسطهم إلاّ بابطال سبيل التوالد أصلاً من بينهم؛ فأهملهم لذلك على ما طبعهم عليه من العقل والفهم وما جعل لهم به السبيل إلى فعل الخير والشر، فلم يمنع الموتَ لذي الشر، ولا خلّد البارَ على الحياة، دون الشرير، لبرّه.

المسألة التاسعة عشرة

فان قال: فألاَ أمات منهم في طفوليته وصباه مَن علمَ أنه يكون عاصياً // شريراً ولا يكون منه أولاد ونسل؟ [57 b]

قلنا: لو أمات واحداً[٢] لهذه العلة طفلاً، لوجب عليه لعدله أن يميت جميع مَن علم أنه يكون عاصياً شريراً طفلاً صغيراً. ولو أجراهم على هذه السنّة أجمعين، لعاد الأمر إلى انقطاع سبيل التناسل عنهم أصلاً، ولم يكن ليجب على المنعم الشفيق بعض حق أعدائه الكافرين العاصين لأمره من حق بعض، أن يجري لهم على نفسه سنّةً يؤول أمرها إلى بطلان خلق جميع أهل جوهرهم. أو لا تعلم أنه، إذ خلقهم على أن ينشئ بعضَهم من بعض للعلة التي قدّمنا

---

١. «كافراً شريراً» في النسخة.

٢. «واحد».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ذكرها آنفاً، إنما صيّر بعضهم وديعةً لذي بعض، فلم يكن يمنعه إفسادُ مستودع الوديعة نفسه من استخراج وديعته منه كيفما تصرّفت من حالاته.

المسألة العشرون

فان قال: وكيف زعمتم أنه لو أنزل الموت بواحد في الأطفال لعلمه بما يكون من شرّه، لوجب عليه بعدله أن ينزله بجميع مَن علم أنه يكون عاصياً شريراً في طفوليته وصباه. وهذا ما قد نرى بنزول الموت ببعض الأطفال دون بعض، ولا تحسبون ذلك من فعله جوراً. فانه بحذاء[١] منزلتين: إما أن يكون قد علم أنهم إذا كانوا أحياء يكونون أخياراً[٢] صالحين، فقطَعَهم بذلك عن سبيل الاكتساب الذي به يكمل سرورهم بما يؤتيهم؛ وإما أن يكون قد علم أنهم يكونون كفّاراً[٣] عصاة، فكان يحق لعدله أن يُلحق بهم جميع من علم أنه يكون عاصياً شريراً.

[58 a] قلنا: ومتى زعمنا لك أن جميع أسباب الموت هو الذي يلي إنزالها بهم. أوليس // إذ أخبرناك في اعلا كتابنا انه إذ خلقهم جميعا[٤] على بنية قابلة للآفات والاعراض ولم يعقل ذكر الاعراض وأمور المضار المنبثّة في دار مولدهم المطلقة على طبائع أبدانهم، بل نعلمك ثانية انه إذ خلقهم على هذه البنية الضعيفة المتضعضعة، لم يحجب كثيراً من الآفات المؤذية والأمور الضارة عن طبائعهم ليلتقوا أجدرَ بانبعاث الموت من قِبَلها من كثير عن نشأتهم[٥]، وليحثهم ذلك أيضاً على التسارع إلى ما يحسن عليه من صالح الأعمال ثوابهم. وأعلمهم، بما أمكنهم من التحرر منها في كثير من حالاتهم، أنه كما خلقهم مستطيعين لإتيان ما يصلحهم ويفسدهم من الأعمال، كذلك أطلق أبدانهم لتناول ما يضرّهم وينفعهم من الأمور.

---

١. في النص هكذا: «بحدى». باحدى؟ تحدى؟

٢. «اخيار».

٣. «كفار».

٤. «جميع».

٥. أو: «شانهم».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أعني بما ينفعهم من منافع الاقتصار في المطعم والمشرب وغير ذلك من التقلب فيما تعدل عليه أبدانهم وتهدأ عليه طبائعهم، وأعني لمضارّ ما ضادّ بذلك وخالفه من الاسراف في الطعام والاستكثار ممّا يوهن الطبائع ويسقم الأبدان ويورثها الموت والغيار.

وكذلك أطلق أيديهم لفعل هذه الأمور بمن أمكنهم من الناس، سيّما في أولادهم من الأطفال. ولو لم تكن أيديهم في ذلك مطلقة، لم يوجد فيها حريّة الاستطاعة التي بها يكتسبون فضايل الدار الآخرة. فجلّ ما يعتري الأطفال خاصة من الأسقام ويعرض لهم من الموت إنما ذلك من جريرة آبائهم المربّين لهم. وأول ذلك فساد المزاج الذي يتولد عن اختلاف رَعي أبويه[١] في مبتدا خلقه. فان هو خلص من ذلك كان وشيكاً لعوارض الرحم المحمول فيه من احجاب الحرارة واليبوسة ومن عفن الرطوبة وفيض البرودة أو من ضيق المكان عليه في نمائه // [58 b] وتربيته هناك، أو فساد القوة التي تصل إليه من غذاء الأمّ الحاملة له. فهو من هذه المنازل دون ظهوره إلى فضاء العالم على شرف الأسقام وشرَع الموت[٢]. فان هو سلم من ذلك أيضاً وطلع إلى هذه الدنيا سليماً. لم يأمن[٣] نفور طباعه ما هجم عليه من غلظ الحرّ وخشونة الرياح واستبدال الرضاع بالقوة اللطيفة التي بر بها[٤] في البطن قبل ظهوره.

ثم إذا شبّ عن ذلك أيضاً فأُجري[٥] على أكل الطعام وشرب الشراب، إن قصّر به فيهما دون كفافه، أنحلّ ذلك جسمَه وأسقم بدنه. وان حمل عليه فوق الكفاف من حاجته، أوشك أن يبشمه ذلك ويمرضه وينتهي به إلى الموت. فليس من خلّة تسمو إليها حاجته دون البلوغ إلى القيام بشأن نفسه، إلاّ وهو من خطرها يُعرَّض للتلف. فجلّ ما ينوب هؤلاء الأطفال من الموت كما وصفنا،

---

١. «ابواه».

٢. أي على مشارفة الاسقام والشروع بالموت.

٣. «يومن».

٤. «يربها»؟ هكذا، ولا سبيل إلى قراءة الكلمة: «شربها»؟ «تربى بها»؟ «برأبها»؟

٥. «فاحري».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إنما هو سوء التدبير في أغذيتهم. وان كانت الاعراض والآفات الجالبة للموت لم يعْرَ[١] منها رجالهم ونشأهم بجريرة أنفسهم، فانها، إلى أطفالهم لضعف طبائعهم عن احتيال الحوادث التي لم تتقدم منهم لها عادة من قبل، أسرع. مع أنا نعلم ولا ننكر أن الله قد ينزل الموت بهم بخصال أخرى كثيرة لا يطّلع عليها ويعرف أسبابها غيره.

ولكنا نوقن في الجملة، لِمَا استبرّ بنا من عدله الدائم فيهم وصلاح جلّ الأشياء التي تليهم أجمعين بها لهم، ان تلك الجهات التي يطلع عليها من أسباب موتهم وان خفيت علينا، قدرّها وسبّبها بعدله وحكمته لصلاح مَن مضى ومن تقضّى[٢] منهم؛ كذلك لا شك أيضاً في تعمّده صلاح العامة في بقاء من بقي[٣] من رجالهم ونسائهم. وليس، إذ لم نعلم كنه تدبيره في هؤلاء وهؤلاء // من الأمرّين والآفات الحالة بهم وبأطفالهم، كما انّا إذا علمنا ضرورةً أن الله خلق [59 a] الدنيا وما فيها وخلق أبداننا وركّب فيها أرواحاً[٤]، ثم سيُنزل الموت بكل واحد منا لا محالة إلى يومنا هذا، ولا نعلم كيف خلق الدنيا ولا كيف ركّب الأرواح في أبداننا ولا متى يحلّ الموت بواحد منا ــ، فليس ذلك ممّا يبطل علمنا بخلقه إياها وتدبيره لها وتصريفه إياها فيما فيه صلاح جميعنا، لانا معشر البشر، إذ لم نُؤْتَ[٥] علم الأشياء كلها جملاً، لم نجتزم أيضاً معرفتها جميعها.

المسألة الحادية والعشرون

فان قال: أفلا تخبروننا[٦] عن هذه الآفات والاعراض التي تصفونها؟ مَن الذي خلقها؟ ومَن الذي أنزلها بالأطفال وغيرهم؟ هل من خالق آخر يخلقها سواه، ومن مُنزل ينزلها بهم غيره؟

---

١. «يعر»؟ «يفرّ»؟ «يفز»؟

٢. أو «تقصى».

٣. «بقا».

٤. «ارواح» في النص.

٥. «نوى» في النص.

٦. «فالا تخبرونا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قلنا: ان الاعراض والآفات ليست بخلائق مخلوقة. وليس الخالق انزلها جميعاً بعباده. بل الذي تعمّد هو، من فعله بهم، جبلةٌ[١] جوهرية على هذه البنية المضطرة إلى القيام على قصد الاعتدال. وجعل فيهم مكاناً[٢] لقبول فساد الزيادة والنقصان للعلة التي من أجلها أبدى جبلتهم على هذا البنيان. وخلق لهم ما يقيم أبدانهم من الطعام والشراب. وجعل[٣] لهم عقولاً يعرفون بها ما يصلحهم ويصلح أطفالهم من الاقتصاد وما يفسدهم من النقص فيها والازدياد. فان هم قصّروا فيما يصلح أبدانهم دون الكفاف من حاجتهم، أجحفوا بها وعرّضوها للهلاك. وان حمّلوها فوق كفافها، اعطبوها واسلموها للفساد. لم اعنِ بالكفاف من حاجتهم // شبعَهم وريّهم، فان الأبدان قد [59 b] تبقى على دون ذلك من كفافها، بل أعني أقلّ قليل القدر الذي تقوم عليه أبدانهم وتحيا عليه أجسادهم، وتهلك ان قصروا دون ذلك في أغذيتهم. كذلك قولنا في الاطعمات والأشربات التي خُلقت لمنفعتهم وصلاحهم لا لضرّهم وفسادهم؛ وإنما تقوم، بحسب صلاحها وفسادها عند من صرفهم اياها في الاقتصاد والاسراف على ما ذكرنا من حالهم بهم، واجبةً غير مدفوعة.

المسألة الثانية والعشرون

فان قال قائل: أفليس بدل ما صار خلق الأطفال والاخيار لهم سعادةً وصلاحاً وصار خلق الأشرار عليهم شقوةً ووبالاً، فكيف لم تمنعه رحمته ورأفته من خلقهم، وقد علم ما هم إليه من عيب انهم صائرون؟

قلنا: ان مسألتك تستحيل عندما أخبرناك من العلة التي من أجلها لم يستقم[٤] رفْعُه الأشرار من بين الاخيار. وذلك انه لو كان وليَ خلقَ كلّ بشري منهم على جبلته شخصاً مفرداً لعَسى كان ذلك، إذا رأيت بعضهم اخياراً وبعضهم

---

١. أي: ان ما تعمد هو من الخلق هو هذه الجبلة...

٢. «مكان».

٣. «وجهل».

٤. «يستقيم».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أشراراً، أدّى [الى][1] مقال وسؤال: أي لمَ خلق مَن علمَ أنه يستوجب عقابه، إذ هو رحيم جواد.

فاما إذا كان الأمر على ما يشهد عليه منهاج نشوء كثيرهم من قليلهم من ابدائه الروح الواحد الذي كان أقل قليل ما أمكن به إقامة جوهرهم، ثم جعل في طباعها وطباع نسلها امكان التوالد والتناسل والاستطاعة والسبيل إلى المزاوجة والمباضعة كيف احبّوا، والامتناع عن ذلك إن كرهوا. ثم اطلقهم بحرية طباعهم يتقلبون[2] بأعمالهم كيف أرادوا، والامتناع عن غير أن
[60 a] يجبرهم[3] من // ذلك على ما احبوا أو كرهوا، فأي لوم عليه في خلقه مَن ذكرت من أبرارهم وفجّارهم، إذ كانت الطبيعة المهملة أدّتهم إلى الكون والاستطاعة الحَرِيّة[4] فأدّتهم إلى الفجور. أو هل من حالٍ جلب عليهم هذه الشقوة إلا أنفسهم. ألم يعطهم عقولاً يميزون بها ما يصلحهم ويفسدهم؟ ألم يجعل لهم السبيل إلى اتيان ما ينفعهم واجتناب ما يضرّهم. ألم يحلم عنهم إذ كفروا به فأطال مهلهم. ألم يسهّل لهم السبيل إلى التوبة من سيئاتهم. فما الذي بقي من الاحسان إلاّ وقد فعله بهم. فان كان حملهم شرهُ أنفسهم على أن آثروا شهواتهم على خلاف صانعهم فاستوجبوا منه بذلك حرمانَ ما استحقه العاملون الجاهدون بكدّهم وسعيهم، وكيف لهم السبيل، مع العدل البسيط بينهم، إلى أن تصير لهم بهم أسوةٌ فيما استأهلوا من ثواب ربهم.

المسألة الثالثة والعشرون

فان قال: فإذ لم يستقم أن يؤتيهم ثوابَ الذين استحقوا الثواب بكدّهم وسعيهم، فما راحته في عذابهم والانتقام منهم؟ بل يحق له، إذ كان جواداً[5]

---

١. «ادى»؟ [الى] زيادة من الناشر؛ ولعل التركيب هو التالي: لعسى كان ذلك أدى إلى سؤالك..، والمعنى أنه لو كان خلقهم أفراداً منقطعين عن التفاعل والبعض اخيار والآخرون أشرار، لصح سؤالك.

٢. «ينقلبوا».

٣. «يخبرهم».

٤. «الحربه» هكذا؛ «الحرية»؟ أو «والحرية»؛ أتكون الكلمة التالية «قادتهم»؟

٥. «جودا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

كريماً حليماً[١] كما وصفتم، ان يصفح عنهم ولا يعاقبهم على ما فرط من سيئاتهم.

الجواب نقول: ألا انه، كما لا خوف عليه فيما يولي أهل الثواب من ثوابهم، كذلك لا راحة له فيما يُنزل بأهل العقاب من عقابهم. ولكن كيف لهم، إن هو تفضل عليهم بعفوه ومغفرته فلم يُنزل بهم ما استوجبوا من عذابه، ألاّ يتعذّبوا[٢] هم في أنفسهم لهفاً وحزناً واسفاً واكتئاباً على قوت ما ناله الفائزون[٣] من ثواب ربهم، فيحلّ[٤] ما ينكشف من مستور فضائحهم وعورات // خطاياهم. [60 b]

المسألة الرابعة والعشرون

فان عاد فقال: فاي خسران كان عليه وعلى أهل طاعته لو رفعهم بفضله عليهم وبمغفرته وعفوه إلى منزلة الذين أطاعوه وارضوه بسعيهم وصلاح أحوالهم؟

قلنا: ما كان عليه ولا عليهم في ذلك خسران لو استقام فعله. ولكن ما يدلنا[٥] ما عرفنا من وفائه وكرمه على أنه لو فعل ذلك بالعصاة منهم، استحق الصالحون منه الزيادة على ما أنالهم. ومهما رفع حالهم مرتبةً فألحق بهم العصاة فيما استحقوا هم منه، لفضلة بلائهم وتقادم حسناتهم، الارتفاعَ عنها إلى رتبة أعلى منها، فتحوّل ذلك إلى السرمد الذي لا نهاية له. بل قد يحق لكرمه وعدله ان يفضل بينهم وبين العصاة فيها بمنزلة عالية، لو لم يتعذب العصاة من دونها الاّ باللهف والحزن على ما فاتهم من جسيم خطرها لكفاهم بذلك شقوةً وعذاباً. هذا إن هو تفضّل عليهم بما لا يُطمَع لهم فيه عنده من الصفح عمّا استحقوا من عقابه[٦].

---

١. أو: حكيما.

٢. «يعدبون».

٣. «الفائزين».

٤. «فحل».

٥. «يدلنا»، أي: ان ما يدلّنا هو ما عرفنا...

٦. أي: ولو افترضنا انه وهب الأشرار صفحاً لا يمكن أن يأملوه، فلا بد من الفصل بينهم وبين الاخيار في المنزلة، وهذا وحده كاف لعذابهم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة الخامسة والعشرون

فان قال: فاذ لم يستقم[١] بلوغ الأشرار إلى مرتبة الاخيار كما زعمتم، فهل بين الفريقين في تلك البنية العالية التي وصفتم وفي ذلك العالم الكامل الذي ذكرتم وفي المصير إلى دار منقلبهم، من فرق واختلاف؟ فان كان لا فرق ولا اختلاف بينهم في شيء من هذه الحالات فقد لحق أشرارهم باخيارهم لا محالة في أشرف حالاتهم.

[61 a] قلنا: أما البنية الباقية والعالم الكامل فقد يستوون فيها جميعاً غير انهما // يكونان غبطة وسروراً[٢] لأهل الصلاح وآفةً وشقوةً على أهل الطلاح. لأن البقاء في النعيم والعلم بدوامه غبطة لأهله وسرور، وطول البقاء في العذاب ويقين العلم بدوام العقاب شقوة على أهله ووبال. فاما المصير إلى موضع منصرفهم فلا يحق ان يساوي العدل الحكيم فيه بينهم، لأنا نجد له أماكن تتفاضل وتختلف حالاتها كالسماء[٣] بشرف علوّها، ومنها كالأرض بدنأة[٤] سفالتها. بل لا شك في رفعه أهل الصلاح إلى أعلى المواضع وأشرفها، وتصييره أهل الطلاح إلى أخسّ الأماكن وأدناها.

المسألة السادسة والعشرون

فان قال: فما الذي منعه، اذ[٥] أراد أن يكون ما يؤتيهم من ذلك النعيم هناك باستحقاق منهم له، من أن يخلقهم صالحين أخياراً[٦] يستحقونه بصلاحهم وبرّهم، دون خلقهم مستطيعين لأعمال الشرور، فأوجب على مَن عمل منهم شرَّ عقابه؟

---

١. «يستقيم».

٢. «وسرور».

٣. هنا كلمة مزادة في الهامش ممحوة، ولعلها «منها».

٤. «بدناه».

٥. «اذا».

٦. «اخيار».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قلنا: منعته حكمته من تكلف ما لا يمكن كونه. والذي سألت عنه من هذا هو المحال بعينه ومحضه. وذلك أنه لا يستحق اسمَ الصالح والطالح الاّ من كملت فيه الخصال الثلاث: الاستطاعة والعقل والاختيار جميعاً. ومن يُجري طاعةَ خالقه بعقلٍ واختيار واستطاعة، إذ اتخذ إلى الطاعة سبيلاً، فذاك يُعَدّ باراً صالحاً. فاما من تجبل على أمر...[١] وطُبعت عليه بنيته، فلا يجد إلى تعدّي ما طُبع عليه محيصاً، فلم يُسَمَّ[٢] صالحاً ولا طالحاً ولا تحسب له أعماله براً ولا فجوراً، ثم لا يستحق بها أيضاً ثواباً ولا عقاباً. كما أنه إذ جبل طبيعة الذئب على المرادة والنُكر[٣] // وطبيعة الخروف على اللين والسكون ولا يجدان إلى خلاف ما جُبلا عليه من تقلّبهما [61 b] محيصاً. لم يُحسب لين الخروف له برّاً ولا مرح الذئب له فجوراً. ولا أيضاً يستحقان بما أحدثت[٤] عليه غرائزهما ثواباً ولا عقاباً. كذلك فليكون[٥] فيما دل ممّا سألت.

واعلم أنه لو طبع جوهر الانس على طريقة، لا يجدون سبيلاً[٦] إلى غيرها بعد طريقتهم صلاحاً ولا طلاحاً، ولا كان يوجد فيهم امكانٌ لاكتساب الثواب رأساً. بل إنما نُسب الناسُ خاصةً إلى البر والفجور من بين جميع الخلائق، إذ خُلقوا مستطيعين لاختيار الأعمال بعقل وتمييز فاختاروا لأنفسهم ما اختاروا. وقد كانوا مستطيعين لاختيار خلاف ما اختاروا، ولذلك حسبَ لهم طاعتَهم براً وثوابهم مكتسباً، فكمل سرورهم بما نالوا وعظمت بهجتهم بما استوجبوا.

---

١. كلمة مزادة في الهامش غير مقروءة.

٢. «يسما».

٣. أو: «المنكر».

٤. «احدثا».

٥. كذا.

٦. «سبيل».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة السابعة والعشرون

فان قال: فما بالهم، إذ استوى [ما][1] بينهم في الاستطاعة والعقل، لم تستوِ[2] آراؤهم في اختيار الأعمال، وانما صيّر فيهم الاستطاعة والعقل بزعمهم ليختاروا سير الفضل والانصاف، ولا نرى ذلك نفَعَهم عند اختلاف ارائهم شيئاً.

قلنا: اما الذي كان يحقّ لفضله ويليق بحكمته من أن يفعله بهم فقد فعله وأكمله، أعني ما طبعَ جوهرهم عليه من معرفة الخير والشر والاستطاعة والسبيل إلى اختيار فضائل الحسنات واتباع صالح الأعمال. ولكن هم الذين تعدّوا الحق بشرَه أنفسهم والركون إلى شهوات أبدانهم. وكان مفتاح ظلمهم وجورهم أن أرادوا السلامة والانصاف من غيرهم لأنفسهم، واستحسنوا التطاول والعدوان من أنفسهم إلى // غيرهم. ولاختيارهم ذلك غالطوا عقولهم واستمروا على تمويه ما خالف الحق اللازم. [62 a]

المسألة الثامنة والعشرون

فان قال: فاذ وقع بعد هذا الغلطُ بينهم وضلّت عن سبيل الرشد آراؤهم، فلا حجة تجب لخالقهم عليهم في تركهم الحق واختيار ما خالفه لأنفسهم.

قلنا: لا لعمري ان الحجةَ حجّته، فيما ألزمهم دون ما اختاروا لأنفسهم، لقائمةٌ عليهم غير مدفوعة. وذلك انه، إذ اشبع عقولهم علماً بجميل ما اولاهم من تقادم احسانه إليهم وسوابق عدله عليهم، لزمهم التعامل بالخلّتين جميعاً كما عاملهم. أي كما تفضّل بنعمته بدياً فجاد بخلقهم، ثم عدل عليهم من بعد فوفّى[3] لهم بما تكفّل لهم به من ارزاقهم، كذلك أوجب عليهم أن يتعاملوا[4]

---

١. «ما» ناقصة في النص، زدناها ليستقيم المعنى.

٢. «تستوي».

٣. «فوفا».

٤. «يتعاملون».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بالتفضّل والوفاء والعدل والانصاف فيما بينهم. وإذ سرّه احسان خالقهم إليهم، حقّ لهم أن يحسنوا هم إلى اخدانهم. واذ سرّهم أن يصفح عن سيئاتهم، حقّ لهم أن يصفحوا هم عن من أساء إليهم. وإذ سرّهم ان لا يتجبّر بهم أحد، حقّ لهم أن لا يتجبّروا بأحد. وإذ أحبّوا ألاّ يُسرَقوا، وجب عليهم أن لا يسرقوا. وإذ أحبوا أن لا يُظلَموا، وجب عليهم أن لا يظلموا.

هذه سبل الحق التي أقام الله بها دينه، وعليها أسّس في هذه الدار بنيانَ خلقه، واياها رضي لعباده. فمن عمل فاز وظفر ومن حاد عنها خاب وخسر. والمجد للثالوث المقدسة من الآن وإلى الآباد آمين.

* * *

كمل الفن[1] الأول في الاحتجاج لتصحيح وحدانية الباري وربوبيته بحمد الله ومنّه.

---

١. «الفن»، أي الفصل، المقالة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[62 b]

الفن[١] الثاني من كتاب عمار البصري
في تثبيت الإنجيل المقدس

وهو أربعة عشر مسألة

المسألة الأولى

فان رجع السائل من بعد فقال: أفلا[٢]، إذ كان هذا الخالق متفضّلاً جواداً رحيماً شفيقاً كما تصفون، ثم رأى غفلةَ خلقه عن طرقه وزوغانَهم[٣] عن سبله، فلمَ لم ينبّههم بلطفه ورأفته؟ وما منعه أن يُواتر رسلَه بذلك إليهم ويدمن؟

والجواب قلنا: بل قد تفضّل عليهم ونبّههم لها بعهدٍ منه إليهم يتوارثه أعقابه باختلاف لغاتهم، وذلك لعدله البسيط على جميعهم، يحثّهم فيه على جميع ما أغفلتْ من الحق عقولهم. فأوجب قبولَه عليهم بإظهاره آياته على يدي حامليها إلى بلدانهم.

المسألة الثانية

فان قال: فما منعه ان يواتر رسله بذلك إليهم ويدمن إظهار آياته على يدي رسله فيما عهد إليهم، لئلا يجدوا رخصةً في ترك ما أفرض عليهم فيه واختيار ما خالف ذلك لأنفسهم؟

الجواب قلنا: منعه من ذلك ما أخبرنا بدياً من تعمّده جزيل ثواب أهل العناية والبحث السالكين سبل الحق. فانه لو أدمن تنبيههم في كل حين برسله وآياته على ما هو موجود في عقولهم من امكان درك معرفته واتّباع فضايل سبله، إذاً كان ذلك يقوم مقام ما كرهه لهم أولا من حملْهم على اضطرار معرفته وجبْرهم

---

١. الفن أي الفصل.

٢. قالا.

٣. وروغانهم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

على لزوم طاعته وتصييرهم بذلك إلى حدّ // البهائم التي لا حمد لها مع دوام ضرب العصاة [63 a] على الانقياد لما قُسرت عليه من الأعمال. لكنه أظهرها لأهل العصر الذين أنزل عهدَه عليهم، لمّا لم تكن عليهم إذ ذاك حجة متقدمة يستدلّون بها دون الآيات على تحقيق ما انزل إليهم. ثم منع ذلك من أعقابهم من بعد، لِمَا أراد من إنجاب الثواب لمكتسبي معرفة عهده بحثَهم. وسالكي سبله بطاعتهم وسنّة أنفسهم. وذلك بعد أن سهّل سبلهم إلى درك معرفته، وآتاهم القوة على القيام بما عهد إليهم فيه.

المسألة الثالثة

فان قال: فأيّما عهدُه الذي رضي به الحق لدينه وعرّفهم فيه طاعته وسبله؟ وكيف السبيل لأهل هذا الدهر إلى وجوده ومعرفته ليعملوا بما افترض عليهم فيه؟

الجواب قلنا: عهده ذلك الذي يشاكل عدلَه ويلائم فضله، أعني انجيله المفسور وكتابه المنشور المبثوث منه في أيدي الأمم والشعوب.

المسألة الرابعة

فان قال: فما حجته إذن فيما أنزل من إنجيله هذا على من لم يشاهد رسلَه ولم يعاين ما أُجري على يديهم من آياته واعلامه؟

الجواب قلنا: حجته اليوم لازمة لمن لم يشاهد آياته كما لزمت مَن شاهدها إذ ذلك وعاينها. وذلك في خصال شتّى:

فالأولى وجود شرائع دين الحق الملائمة لسنن المنعم الجواد فيه جملاً[١]، دون ما ابتدع أئمة الضلالة من شرائعها الزائغة فيما افتعلت من كتبها وأديانها، كالذي[٢] سمعت من تخصيصه[٣] على أمور التفضّل في قوله للناس عامة: «احبوا أعداءكم

---

١. كذا.

٢. الذي بمعنى ما.

٣. أي حضه.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[63 b] وباركوا // على من لعنكم واصطنعوا الخير إلى من أساء إليكم وصلّوا على الذين يجلونكم عن بلدانكم ويطردونكم عن مواطنكم»[١]. وكقوله في جملة أمور العدل: «كما تحبّون أن يُصطنع إليكم كذلك فاصطنعوا أنتم إلى جميع الناس»[٢]. ففي التمسك بهاتين الوصيتين مجانبة جميع الفواحش من القتل والزنا والسرقة والغضب والحسد والكذب وشهادة الزور ومنع الاستكثار من النساء والترخيص في مفارقة الأزواج وما أشبه ذلك من سبيل الفساد، إلى المودة التي تحشم المرء عن قتل صاحبه وعن تناول حرمَهِ وعن سرقة ماله وعن حسده على ما ملكتْ يداه وعن اغتنامه في معيشته وعن شهادة الزور عليه وعن ظلمه وغصبه ومساسه[٣] في شيء من أموره. ثم يمنعه عن مفارقة زوجته وعن أن تُثيره إلى غيرها نفسُه، وعن كل هفوة يسخط عليه فيها خالقه.

المسألة الخامسة

فان اعترض ههنا وقال: لعلّ الذين قبلوا هذا الدين وهذا الكتاب إنما أثبتوا هذه المجالس فيه وزخرفوه بها من تلقاء أنفسهم ليستميلوا بها الناس إلى أمورهم وطاعتهم، من غير أن يكون الله أنزل ذلك إليهم وأمرهم بالدعوة إليه.

الجواب قلنا: ارتفعت العلل عن ذلك وبطل الشك فيه لخصالٍ ظهرت فيها شهاداتُ حقّهِ وعلامات صدقهِ. **وأول** ذلك ما أخبرنا من استبداده وتفرّده بهذه الخصائل دون من خالفه. فإذاً كان هو المستأثر وحده بجميع الفضائل كلها دون غيره، فحسبت[٤] العقول بذلك دليلاً على نزوله من لدن الكريم الجواد الذي أنشأ الخلق بنعمته تفضلاً عليهم وجوداً //[٥] ثم وفّى[٦] بما تكفّل من أرزاقهم عدلاً وانصافاً. [64 a]

---

١. انجيل لوقا، ٦: ٢٧ ــ ٢٨.

٢. انجيل لوقا، ٦: ٣١.

٣. «ومسانه» (؟).

٤. «فحسست»، «فحسبت» أي فاستنتجت؛ يعني بما أن هذه الفضائل والخصال تخصه دون سواه، فاعلانها في الخلق دليل على أنها موحاة منه في «عهده» أي الوحي الجديد.

٥. هذه الورقة مرقمة وموضوعة في غير محلها من المخطوطة.

٦. «وفا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والثانية: ما أظهر هذا الحليم[١] من عدله البسيط على جميع خلقه في بثّه إياه فيهم باختلاف لغاتهم. ولم يُكلَّف أحد من أهل اللغات المختلفة قبولَه بلغة سوى المعروفة لديه من لغته ولسانه.

والثالثة: ما تشاهد العقول من نفاذ ما رسم فيه علاّم الغيوب من خفيّات الأمور ومكتومات السرائر كقوله إذ يقول: تشبه ملكوت السموات، ويعني بذلك دينه، حبّةَ الخردل التي هي أصغر الحبوب كلها وألطفها جميعاً، فإذا نبتت صارت أعظم البقول كلها تلائم الأشجارَ بعظمها. وإذ يقول: تشبه هذه الدعوة شبكةً أُلقيت في البحر فغرفت من كل أجناس السمك. وإذ يقول: يشبه هذا الدين خميرةً لطيفة عُجنت من ثلثة اصبع[٢] من دقيق فخمرته اجمع. وإذ يقول: تشبه هذه الدعوة وليمةً عملها ملك لابنه ودعا إليه[٣] أهل خاصته فامتنع القوم من إجابته، فلما رأى امتناعهم أمر عبيده أن يعترضوا الصكك[٤] فيُدخلوا عليه من لقوا من أشرار الناس وأخيارهم.

فهذه أمثال قد برهن بها لسانه ثم صوّرها في عهده ورسمها في كتابه وانبأ للناس فيها بالكائن من أمر دينه. وأما ما تمثّل به من حبة الخردل في ألطافها وعظم قدر نباتها، فيعني به خفوض دعوته ثم ارتفاع شأن دينه واعتلاه وظهوره على جميع ما أحدث في الأرض من اختلاف الأديان سواه، كنبات حبة الخردل التي تعلو انبات البقول كلها. وكذلك يبدأ في الناس بشراه فيتآلف إليه سامعو ذكره كالخمير // التي تجتذب العجين الكثير إلى الاختمار. وكذلك [64 b] يحتوي دينه أجناس الشعوب كما تحتوي الشبكة ضروب أجناس السمك. وأما قوله في امتناع خاصة الملك من إجابته دعوته، فيعني به امتناع الشعب العاصي المختص كان بمعرفة الله قديما[٥] من اتباع طاعته وقبول دعوته. وأما أمْرُ عبيدَه أن يدعوا[٦] الأخيار والأشرار.

---

١. أو «الحكيم».

٢. «اصبع».

٣. «اليه»، أي لعنده إلى الوليمة.

٤. كذا، والأصح «الصُكّ» أي الأقوياء من الناس.

٥. أي: الذي كان مختصاً بمعرفة الله قديماً.

٦. «يدعو» في النص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فهو الذي[١] يخبر كتابه من أمره لرسله بدعوة الشعوب من عبدة الأوثان المنهمكين كانوا[٢] في طاعة الشيطان دعوةً خالصة لا يشوبها رهبة سيف ولا رغبة مال، كالذي تقدم إليهم في النهي عن ذلك فاستجابوا لدعوته وتمّ فيه سابق نبوءته[٣].

والرابعة: فالدلائل الواضحة من الآثار القديمة على ما سلف من ظهور الاعلام ونزول الآيات على يدي الداعين إليه، فانه كما أن النار ــ وكفى[٤] بها فيما تصِفُ من هذا الشأن قياساً ــ إذ خُلقت لقوام العالم ولتُصلح وتفسد وتنضج وتحرق، وكانت آثار أعمالها من الاحتراق والرماد والدخان والبخار دلائلَ للعقول على وجود عينها وحضورها أينما أثّرت أعمالها، وان عُدمت عن أبصار الناظرين نم بعد ما أثّرت آثارها، كذلك، إذ كان الحكيم جلّ ثناؤه إنما أرسل رسله وأجرى على أيديهم آياته واعلامه ليقيم بها في الناس دينه ودعوته وليبطل بها أديان المبطلين ويستميل بها قلوب الداعرين ويجمع بها تفريق المشتتين، فحسبه بما تشاهده العقول من ائتلاف القبائل وطننا[٥]. فانا إذ جعلنا القياس فيما اختلفنا فيه بيننا حكماً، فليس لنا أن نتعدّى حكمه
[65 a] في كل ما لزمنا، ثم ننظر في الأسماء // والصفات المذكورة من صانع الخلائق أيضاً فنصفها بعقولنا ونميّزها بأوهامنا، ثم نلزم كلَّ شيء اسمَ جهته وكلّ نعتٍ معناه.

وإذا ما ذُكرتْ من صفاته الحياة والحكمة أوجبناهما جوهرين من جوهره لا فعلين من أفعاله ولا جارحتين عنه لذاته. وإذا ما[٦] ذُكرتْ منه القدرة والقوة عز جلاله، لم نتوهّمهما[٧] قوةً وقدرةً جسمانية جسدانية كقوة البعير والفيل والأسد والثور وما أشبه ذلك من الحيوان، بل يحق لنا أن نوقن بأنها قدرة روحانية حكمانية لا جسدانية جسمانية، ونعلم أنه جلّ ثناؤه إنما لطف بخلق هذه الطبائع وتأليف

---

١. أي: فهو ما.
٢. أي: الذين كانوا منهمكين...
٣. في النص «بنوته».
٥. «وكفا».
٤. كذا.
٦. «واما» في النص.
٧. «تتوهمهما».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

هذه الجواهر وتقدير هذه الأشكال وتدبير هذه الأمور بحكمته التي هي قدرة لا بقدرة سوى حكمته، فقد يضطرنا القياس من شواهد أعماله إلى أن نقضي بأن قدرته هي حكمته؛ ولا نعني[١] أيضاً بحكمته حكمةً مكتسبة كحكمة المتعملين لأعمال اللطائف. فانه لم يكن في قدم أزليته جلّ ثناؤه من حكمته صفراً ثم اكتسبها لنفسه من بعد اكتساباً، بل نعني بها كلمته الأزلية التي لم تزل له خاصية جوهرية من عين جوهره وذات طباعه. مع ان الأسماء قد تختلف على هذه الخاصة الواحدة التي لا اختلاف في ذاتها على أنحائها، وذلك لاختلاف الأمور التي من أجلها احتاج العباد إلى أن تخالفوا بين أسمائها لأنهم، إذ[٢] أرادوا أن يصفوا العين الموصوف بها عند وصفهم إياه بمعرفة الأمور. سمّوها علمه، وإذ[٢] أرادوا أن يصفوه بما احكم من تأليف ما ألّف وتقدير ما قدّر، سمّوها حكمته، وإذ[٢] أرادوا أن يصفوه بالأمر والنهي والكلام والقول سمّوها // قوته. [65 b] وهذه كلها راجعة إلى جوهريته التي لا يمكن توهمها عند الحقيقة إلا خاصة جوهرية من عين الجوهر وذاته. فلا يتعاظمنك أيها السامع قولنا أن الأسماء قد تختلف على هذه الخاصية الواحدة. فقد تسمع واصف النفس الروحانية يصفها بنفسٍ علاّمة ونفس منطيقية[٣] ونفس عاقله ونفس مرويه[٤] ونفس حكمية، يريد بذلك وصفها بما لها من طبيعة النطق وجوهرية الكلمة.

وكذلك يحق لنا، إذا نحن ذكرنا إرادته ومشيئته، أن نعلم أيّ الوجهين ينبغي أن نتوهمهما[٥]: أطبيعيّة باضطرار، كإرادة الحيوان التي تضطرها طبائعها إلى طلب ما يقيمها، أم حكمانية باختيار، كالمريد الذي الشيء يتوخّى بها صلاح غيره. فلعمري لئن ظننت[٦] ان الأمور التي شاء أن يبدعها والخلائق التي

---

١. «نعن».

٢. «اذا».

٣. كذا.

٤. كذا، ولعلها بمعنى «رأيته» بالنظر، أي نظرية.

٥. في النص «نتوهمها».

٦. في النص «طننا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أراد أن ينشئها، إنما تعمّد بها صلاح شأن نفسه وقوام ذات جوهره، كالطبائع التي ذكرنا، إذن لاستقام أن تقول عسى إرادته لم تزل إرادة اضطرار[١] لا إرادة اختيار[٢]. ولكن إذ أُلفيَ جلّ ثناؤه لم يرد شيئاً قط ولن يريده أبداً لعلو جوهر عن الحاجة والاضطرار الاّ ما فيه صلاح غيره تفضلاً وانعاماً، فحسب العقول بذلك دليلاً على أن مشيئته مشيئة اختيار لا مشيئة اضطرار. وذلك راجع إلى جوهرية النطق التي تكون عنها مشيئة التفضّل والانعام. فانك لن تعقل منهما بالسماحة والجود إلا ناطقاً حكيماً، ولا مزمعاً بالتفضّل والانعام إلاّ مميّزاً عليماً. وإذا ما ذُكرتْ منه النعمة والجود بعينهما[٣]، أي بفعلهما، ثم الرأفة والرحمة والعدل والمغفرة وما أشبه ذلك، أيقناً بأنها إنما ذُكرتْ فيه وقيلت[٤] عليه من //[٥] قبل الأمور التي عامل بها خلقه. فانه إذ تفضّل [65 a] بخلقهم وجاد بنعمائه عليهم سُمّيَ منعماً جواداً، وإذ أعانهم في وقت البلاء سُمّي حناناً رؤوفاً، وإذ وفا لهم بما تكفّل به لهم من أرزاقهم سُمي عدلاً وفياً. وكذلك كل ما كان بذلك شبيهاً.

وهذا أيضاً أجمع مضاف[٦] إلى جوهرية النطق التي عنها تتولد هذه الأمور كما ذكرنا. فانه لا جوادَ منعمَ إلا منطيق[٧]، ولا عدلَ منصفَ إلا عاقل حصيف.

وأما ما أضيف إليه من السمع والبصر فان ذلك لقلة معرفة العامة منهم بعلوّ جوهره عن صفات الجوارح والأعضاء المركبة المولفة، وجهلهم بالسبب الذي من أجله وصف نفسه ووصفه أولياؤه سميعاً بصيراً[٨]. بل ذلك لأنهم إذ وجدوا أنفسهم

---

١. «اضطراراً».
٢. «اختياراً».
٣. «بعينها».
٤. «واقيلت».
٥. هذه الورقة مرقمة بعدد 65 كالورقة السابقة.
٦. «مضافاً» في النسخة.
٧. «منطيق» هكذا، أي صاحب نطق.
٨. «سميع بصير» في النسخة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لا يدركون الأصوات إلا بآذان ومسامع ولا يميّزون بين الاجرام والألوان إلاّ بعيون وأبصار، فحسبوا بضعف آرائهم ان صانعهم لا يدرك معرفة الأشياء إلا من طريق ما أدركوا، فسمّوه لذلك وسمّى نفسه سميعاً بصيراً.

فاما في الحقيقة الواجبة فان جوهره يتعالى عن السمع والبصر، كما اعتلى عن الشر والذوق، لأن هذه جوارح ومشاعر ركبت في أشخاص الحيوان ليلتمسوا بها معرفة الأشياء إذ جُبلوا على بنيةٍ تعجز عن درك معرفتها دون اللمس والبحث عنها. بل هو جلّ ثناؤه الغني بروحه المستغني بحكمته عن الجوارح التي بها يدرك أهل الجوارح الضعيفة الهيئة[١] المكوّنة بعينهم، ولا يُوصف في الحقيقة سميعاً بصيراً، كما لا يُوصف شموماً ذَووقاً حَسوساً. بل قد نرى بأنه عالم باختلاف // الأصوات المسموعة بآذان الخلائق لا بآذان ومسامع. ويعرف كنه [65 b] الصور التي تدركها أبصار الناظرين من أشكال الاجرام التي خلق. ويرى[٢] لا بعين وبصر. ويعلم كيفية أطعمة الأطعمات في اللهوات لا بحنك ولسان. ويعلم كيفية الارائح[٣] في الخياشيم والمناخر لا بخيشوم ومنخر. ويعلم كيفية الخشن واللبن تحت الملامس لا بكفّ ولا ملمس، بل قاهر، على اجتماع الشعوب المتشتتة وائتلاف الأمور المختلفة واتفاق الأهواء المتفاوتة، على قبول ما أنزل عليهم من كتابه ودعاهم إليه من شرائعه وسبله حجةً عليهم وبرهاناً[٤] على اخلافهم عليه فيما سلف من اظهار الآيات وانزاله الاعلام على أيدي الداعين.

المسألة السادسة

فان قال: وكيف لنا بالفرق بين الائتلاف والاتفاق اللذين كانا عن الآيات والبرهان وبين الذين كان عن افتعال الناس بغير آيات وبرهان؛ وقد نرى أقواماً[٥]

---

١. في النص «الهيبة»، أو «المهيبة»، أو «المهينة».

٢. «وير».

٣. يعني «الروائح».

٤. «برهان» في النص.

٥. «أقوام».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

متشتتين يتدينون بأديان متفاوتة وفي أيديهم كتب مختلفة من أمرٍ ونهي وشرائع وفرائض وذكر بعثٍ ونشورٍ وثواب وعقاب يدّعي كل حزبٍ منهم أن كتابهم هو عهد الله إلى خلقه أتاهم به رسلُه وأظهر على أيديهم بذلك آياته وبرهانه.

قلنا: ان عنيتَ بالبحث وناصحت[١] في القيام والنظر، استبان لك الفرق بين الذي يكون عن افتعال الناس وبين ائتلاف الذي يكون عن الآيات والبرهان. وقد يحق لك أن تعلم أولاً أنه
[66 a] ليس من كتاب دينٍ وشرائع افتعله أهل الأرض[٢] // فانقادت لقبوله طائفةٌ من الناس، دون إحدى ست خصال نسمّيها لك:

إمّا **الاستحسان** بما جُمع فيه من زخرفة كلام المدعين[٣] في إثبات شركٍ أو توحيد أو غير ذلك، نحوَ ما اخترعته عقول اليونانية الأولين من اللطائف التي أبهرت العقول وافتنت[٤] القلوب؛ وكتوحيد المستدير[٥] باسم التوحيد؛ وكقول أهل الدهر الذين زعموا أن الأشياء لم تزل ولا تزول بل تنشو وتضمحل على ما نرى من حالاتها؛ وكقول زرادشت وماني وابن ديصان ومرقيون وأشباههم في إثبات الصانعَين القديمَين والأصلَين الممتزجَين، فاستغفلوا[٦] بشهادات أقاويلهم المموَّهة كثيراً[٦] ممّن نابهم[٧] به لفساد حججهم وردود دعواهم.

وإمّا **الترخيص** في الشرائع والتسهيل في الفرايض، على ما نرى من مسارعة ناسٍ كثير إلى ما رُخّص فيه لنيل اللذات وركوب الشهوات، كالملة التي أسّستْ على إيثار الأمهات والبنات والجواب مع[٨] اباحة كلما اشتهته الأنفس ولذّته الأبدان.

---

١. كذا.

٢. الجملة «انه ليس من كتاب...» مكتوبة مرتين لسهو من الناسخ.

٣. «المدعيين»، في النص.

٤. «وافتلب»

٥. «المستدبر»، المستدبر؟ قد يكون في هذا تلميحاً إلى نبي الإسلام.

٦. فاستغفلوا كثيراً، أو فاستغفل كثير؛ وفي النص «كثير».

٧. نابهم أو نالهم.

٨. أي والتجارب مع...

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وإما **لسيفٍ** قاتل أو لسلطانٍ قاهر أُكره الناس به على ما كرهوا فانقادوا له خوفاً ورغباً.

وإما **المواهب** وعطايا من رغائب الدنيا، فسارعت القلوب إلى ما دُعيت إليه من خلاف الحق وخلاف ما لم تزل عليه من ضروب أديانها، رغبةً في سعة المعيشة وهرباً من الضرورة والحاجة.

وإما **لحميّة وتعصّب** كن يتبع سيده وقومه ورئيس عشيرته، على ما يتقرر زوره وفساده، تعصباً وحميّة.

وإما **لمعاينة خيال** وتشابيه من السحر كالذي رأيت أو يبلغك من أعمال السحرة.

فهذه الخصال[١] // ألستَ في جميع حيل المبطلين في اجترار الناس إلى قبول ما افتعلوا من [66 b] كتبهم وأنشأوا من أديانهم. وليست لأحد من الخلق في ذلك حيلة سوى ما ذكرنا[٢]. كما لو أن أمة من الأمم الضالة بارزت رجلاً واحداً من أهل الأديان فراودته على أن تنقله عن دينه إلى دينها دون إحدى الخلال التي ذكرناها، لمَا وصلت إلى ذلك منه أبداً.

وانا لنرى مملكات كثيرة وشعوباً[٣] مختلفة وأجناس أممٍ متشتتة وأهل لغات متفاوتة، أعني الروم وفرنجة وابروا[٤] والبربر والحبشة والنوبة ومرار[٥] والديلم واللان وجيلان[٦] وجميع بلدان العرب والجزيرة والشام وغير ذلك من أفناء[٧] القبائل العرب وأبناء فارس وغيرهم من أصناف الناس يتدينون بهذا الكتاب ويطنبون في تعظيمه وتبجيله، فاستبنْ[٨] بهذا، يا هذا، وانظر لايّة[٩] هذه الخصال ائتلفت عليه ودانت به.

---

١. «خصال».

٢. أو «دبرنا».

٣. في النص «شعوب».

٤. كذا. «ابرا»: قد تكون «ابرو» يعني «الايبار (Ibēres) أي سكان اسبانيا.

٥. كذا

٦. كذا. و«**اللأن**»: شعب يسكن المقلب الشمالي من جبل القوقاز. و«**جيلان**»: منطقة ساحلية جنوبي غربي بحر قزوين.

٧. «افنا».

٨. «فاستبين» في النص.

٩. «لايت».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فان وجدت ذلك يمكن أن يكون لخصلة من هذه الخصال الستة التي ذكرناها، فأيقن بلا شك انه باطل من افتعال الناس. وإن وجدته منفيّاً عنها جميعها[١] أصلاً، فاعلم علماً يقيناً أنه كتابُ الله المنزل من عنده وعهدُه البالغ منه إلى خلقه المقبول من أيدي رسله بآياته واعلامه. فمن جهة قبول هذه الشعوب القابلة له تستدل[٢] على الوجه الذي منه بدأ وظهر وعلى العلة التي من أجلها ثبت وقبل.

المسألة السابعة

فان قلت أو قال قائل: لعل قبول هذه الشعوب كان لاستحسان ما جُمع فيه من الأمور التي تميل إليها القلوب كتوحيد الموحدين وكحجج زرادشت // وماني وابن ديصان ومرقيون، وكاللطائف من قول اليونانية الأولين. [67 a]

قلنا: انه لعمري ليس بمنكر ان ينجذب اناس كثير لأمور زُخرفَ ظاهرُها ومُوّه باطنها وزُيّنت عيوبها وغُطّيت عوارها بالتشابيه اللطيفة استحساناً لها. ما استُسمج ظاهرُه واستُقبح خبره ونفرت العقول من شناعته وذُعرت القلوب من وضاعته، فلا سبيل إلى تهمة قابليه بالانقياد لقبوله بالاستحسان له.

فهل تتلو[٣] عليك ما دُعيت إليه الشعوب إلى التصديق به من أخبار هذا الكتاب، فانظر هل تجد فيها خبراً[٤] يُستحسن من ذي عقل قبوله والتصديق به استحساناً له، فيقول في ابتداء كلامه:

ان جارية بتولا[٥] عذراء أُلفيت حبلى وولدت غلاماً من غير زوج. ثم يخبر ان المولود من العذرى كان ابن الله. هذا ويقول بعد أن صُلب وقتل، وانه من بعد صلبه وقتله ودفنه انبعث وقام حياً. ثم يقول انه من بعد انبعاثه وقيامته صعد

---

١. أو: «جميعاً».
٢. تستدل أو يستدل.
٣. «يتلوا».
٤. وفي النسخة «خيراً».
٥. «بتول».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إلى السماء وجلس عن يمين الله وفوق الملائكة والكروبيم والسارافيم. ثم يقول انه أوتي ملكَ الخلايق كلها وعبدت له الملائكة والناس أجمعين.

ثم يقول انه عائد إلى الأرض لإقامة الأموات وبعث من في القبور. وانه يحاكم الملائكة والناس يوم القيامة، فيصرف الأبرار إلى النعيم ويخلّد الفجّار في الجحيم.

ثم يقول إنه أرسل رسلاً أمرَهم بدعوة الناس إلى الايمان والاقرار بالآب والابن والروح القدس، الهٍ واحد خالق واحد رب واحد. ثم يدعو الناس من بعد هذه الأمور إلى خلع الدنيا ورفض نعيمها. ولا يخبر عن ثواب المصدّقين به بأكثر من أنهم يكونون // في السماء مثل الملائكة. [67 b]

فهذه العشرة أخبار عمودُ ما يدعو إليه هذا الإنجيل والتصديق به. فلأيّهما يزعم الزاعم أن الشعوب انقادت له وقبلته استحساناً له؟ أوَليس قد بان لكل ذي لُبّ انها للاستشناع والاستكثار والاستثقال والتزوير والتكذيب أخلق.

المسألة الثامنة

فان قال: فلعلّ ذلك لِمَا رُخّص لها فيه من ايثار الشهوات ونيل اللذات، ولِمَا خفّف وسهّل عليها من فرائضه وشرائعه؟

قلنا: قد علم كل ذي عقلٍ أيضاً ان رأس ما ترغب الناس فيه من الترخيص[١] في قضاء شهواتهم وركوب لذاتهم في شأن النساء والاستكثار منهنّ. ثم ما يتبع ذلك من إدمان النعيم في الأكل والشرب واللهو وما أشبه ذلك. ثم قد نعلم انه لا سبيل إلى نيل هذه الأمور إلا بمقدرة ذات اليد من قنية الأموال وذخائر الكنوز.

فالذي يأمر به هذا الكتاب ويحث الناس عليه خلافُ ذلك أجمع، إذ يقول: «من طلّق امرأته وأخذ أخرى غيرها فقد زنى، ومن خلّى زوجته من غير فاحشة فقد فجر»[٢]: جزم في ذلك وأوضح أنه محرّم على المرء أن يتخذ سوى زوجته الواحدة فقط.

---

١. أي «هو في قضاء...»

٢. انجيل لوقا، ١٦: ١٨؛ انجيل متى، ١٩: ٩.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ثم يقول: بيعوا ما اقتنيتم في الأرض كلَّه واصرفوه صدقات في المساكين، وتشبّهوا بطير السماء التي لا تتعب ولا تدّخر لها لغدها، كذلك ولا تهتموا أنتم لغدكم فتقولوا ماذا نأكل وماذا نشرب وماذا نكتسي[١]: ففي أمره بالاقتصاد على زوجة واحدة وتحريم طلاقها، ثم تحضيضه[٢] على تفريق الأموال في // المساكين والتشبه بطائر السماء، حسمَ جميع لذات الدنيا [68 a] وشهواتها. ذلك أيضاً مع التحضيض[٣] على التواضع واحتمال الضيم والصبر على الاذاء وإدمان الصلاة والصوم. ويهدّد شاتمَ أخيه[٤] أو لامحَ امرأة بعينِ شهوةٍ بعذاب جهنم. فحسبك من هذا من كل ترخيص وتستميلَ به أهل الغرور إلى أديان الضلالة.

المسألة التاسعة

فان قال: فلعلّها خضعت لقبوله لِمَا قُهرت عليه من سلطانٍ أو سيفٍ.

قلنا: وهذا أيضاً غير ممكن مع إقرار الداعين فيه بما أوصاهم مرسلهم إذ قال: «اني مرسلكم كالحملان بين الذئاب. فانطلقوا ولا تتخذوا على دعوتكم مقرعة ولا عصاة»[٥]. فلو همّوا بأن يقهروا الناس بسيف لمَا أقرّوا بما نهوا عنه من اتخاذ المقارع والعصيّ. بل اقرارهم بذلك يشهد على أنهم لم يستعملوا على دعوتهم سيفاً ولا ضربوا بمقرعة.

المسألة العاشرة

فان قال: فعسى قبلته لِمَا بذل عليها من الأموال[٦] والرغائب؟

قلنا: والذي أثبت القوم فيه أيضاً من اقرارهم بوصية مرسلهم إذ قال:

---

١. انجيل متى، ٥: ٢٥ وما يليها.

٢. «تحضيضه»، أي «حضه» على... وفي النص «تخصيصه».

٣. «التخصيص» في النص، ولعلها التحضيض بمعنى الحض على...

٤. «اخاه» في النص، وهي جائزة.

٥. متى، ١٠: ٩ ــ ١٦.

٦. «الأموات» في النص، سهواً من الناسخ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

«لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً»[١]، يشهد على أنهم لم ينالوا أحداً[٢] ببذل مال ولا اعطاء رشوة.

المسألة الحادية عشرة

فان قال: فلعلّها قبلته تعصباً وحميةً لمن نسبت الكتاب إليه ودعت[٣] إلى عبادته؟

قلنا: لعمري لو ان الذين قبلوا ذلك عنه كانوا من قومه وعشيرته فقط، لجاز لك أن تقول عسى دعاهم إلى ذلك التعصّبُ // والحمية. فأما أن تكون اسم مختلفة وشعوب متشتة [68 b] وأجناس أممٍ ومملكات متفاوتة اجتمعت بأسرها على التعصب والخضوع لعبادة قتيلِ يهود، معما بنها وبين اليهود خاصةً من السبب والبغضة والحروب والشحناء، فهذا ما لا يتوهمه عاقل ولا جاهل.

المسألة الثانية عشرة

فان قال: فلعلّ ذلك لِمَا رات من سحر الداعين[٤] إليه.

قلنا: وكيف يمكن ذلك أيضاً، معما رهنوا به ألسنتهم وأحالوا تجاه الجموع على أنفسهم من وعد مرسلهم إياهم بإظهار الاعلام الواضحة والآيات الصادقة على يدهم، إذ قال: «انطلقوا فادعوا الشعوب إلى هذا الدين واطردوا الشياطين واشفوا الأسقام وابروا البرْصَ باسمي، وان أُسقيتم السمّ القاتل من أجل اسمي لن يضرّكم شيئاً»[٥].

فلا شك ان قد كان فيمن سمع مقالةَ القوم وأجابهم إلى دعوتهم أدنى رأي وعقل، طالبَهم تجاه الجموع بتحقيق ما ادّعوه ممّا وعدهم مرسلهم من اظهار

---

١. متى، ١٠: ٩.

٢. «احد».

٣. «ودعيت».

٤. «الداعين» في النص.

٥. انجيل مرقص، ١٦: ١٥ ــ ١٨ (بتصرف).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الآيات التي وصفوها على يديهم. فلو كان تكشّف أمرَهم عند تلك المطالبة على خلاف ما ادّعوا في أنفسهم، لانتبهت الجموع لكذبهم ولم يجب أحد من الناس لدعوتهم. وكيف، وانما وردوا على صناديد الملوك وفلاسفة الأمم وعقارب الشعوب الذين منهم فاضت أنواع العلوم من صناعة الطب وحكمة الفلسفة ودقائق لحساب وانقادوا لطاعتهم، ألا يكون ذلك دون الاستقصاء منهم ومطالبتهم بكل ما أحالوه على أنفسهم؛ ذلك معما تتلو[١] // كتبهم الواردة على الشعوب من باطل [69 a] السحر وشبهه، وتنبيهها[٢]، وان كانت جهلتْه لاستقصاء مطالبتهم بالاعلام الصادقة، دون الرضى منهم بخيال السحر أو انتفاء مخالف، ما ضمنوا على أنفسهم ومرسلهم باقامة الحق.

المسألة الثالثة عشرة

فان قال: فلعلّ الشعوب صدّقت مقالتهم وانقادت لدعوتهم من غير ان تطالبهم بشيء من ذلك، ولو سَبرتْ ما عندهم لاستدلّت على كذبهم وزور دعواهم فلم تصر إلى دينهم.

قلنا: وكيف يمكن اتفاق ثلثين مملكة مختلفة على قبول هذه الأمور المستصعَبة المستفظَعة وتغفل مطالبة الداعين[٣] إليها بما أحالوا على أنفسهم. وأنت لم تسمع ولم ترَ[٤] برجلٍ واحد من أهل الدنيا انتقل على ملّة نشأ عليها إلى ملّة أخرى سواها دون إحدى[٥] الخلال التي ذكرناها. وهبْها سامحتْهم في قبول كتابهم وصدقتهم مقالتَهم دون أن تسألهم البرهان على دعواهم، فما كان في كل بلدة من بلدانهم مَن به أدنى آفةٍ من سقمٍ أو زمانةٍ أو خبْطةِ شيطانٍ يرغب في الشفا من سقمه

---

١. «يتلوا» في النص.

٢. قد تكون الكلمة: «وتنبئها»، أو «وتنبيهها»؛ في النص: تنبيها.

٣. «الداعيين».

٤. «ترى».

٥. «احد».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فيأتيهم أو يؤتى[١] به إليهم ويستبرئ بذلك ما عندهم. أوَ لا هي تحثّ[٢] النظر إلى أعجوبة تُدعى[٣] إليها، كمن يتبع العاب[٤] وأصحاب الحروز وأصحاب النرنجات[٥] فيلمس ضريراً أو مقعداً أو اعشم[٦] فيمتحن به دعوة القوم بحضرة الملاء. فإذا تبيّن عجزهم عمّا رهنوا به أنفسهم، استدلّت الجموع بذلك على كذبهم وزور دعواهم، فلم يرتفع بعد ذلك شيء[٧] من قولهم، ولم يُصدَّق بحرف واحد من كتابهم. ولكن إذا ما رأيت هذه المملكات العظيمة // والأمم الجسيمة متفقة [69 b] باجمعها على التدين بكتابهم، على ما فيه من تأكيد القوم على الاحالة بما أحالوه على أنفسهم ومرسلهم، ألا توقن اضطراراً بأنها قد استقصت ما عندهم بأشدّ التعنيت وأصعب المطالبة، فظهر لهم منها أضعافَ ما خبّروا عن أنفسهم ومرسلهم، وانها لذلك خضعت لطاعتهم وانقادت لدعوتهم.

المسألة الرابعة عشرة

فان قال: فما أمِنْتم من أن يكون القوم في مبتدا دعوتهم عاملوا الناس بجميع ما نفوه عنهم من بذل الأموال واستعمال السيف وغير ذلك؛ فلمّا انقادت لهم الشعوب وخضعت لهم الأمم، أمسكوا عن تلك السيرة ثم افتعلوا لها هذا الكتاب لينفوا عن أنفسهم، بما أقرّوا به من نهي مرسلهم اياهم عنها، تهمةَ الاعقاب من بعدهم بما عاملوا الناس به منها.

قلنا: نحن أمّنّا من ذلك لخصلتين بأن فيهما براءةُ القوم من التهمة بخلاف ما أقرّوا به في كتابهم:

---

١. «يوتا».
٢. «اولا هي تحت»، كذا.
٣. «يدعا».
٤. «لعاب».
٥. «الربحات».
٦. في النص «اعشماً»، والاعشم هو اليابس الذي لا يستطيع الحراك.
٧. «شيئاً».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أما **الوحدة**، فلو انهم عاملوا الناس بشيء من هذه الخصال التي نفيت عنهم ثم أرادوا إثبات الاعقاب من بعده على دينهم، لافتعلوا كتابهم في بدء[١] أمرهم موافقاً[٢] لسيرتهم مادحاً لأعمالهم يدّعون فيه تخصيصَ مرسلهم إياهم على العمل. وكان ذلك لعمري، لِمَا أرادوا من إثبات شأنهم في الأعقاب واقامة دينهم في الاخلاف، أحرى باقرارهم على أنفسهم بمخالفتهم[٣] كانت بدياً مِن خالقهم وتعدّيهم وصية مرسلهم. بل إذ رأينا اقرارهم بما أوصوا وتقدّم فيه إليهم، ثم رأينا // ثبات الشعوب من بعدُ على ما قبلتْ بدياً من أيديهم، أيقنت أنفسنا بأن أعمالهم كانت مشاكلةً لما أقرّوا به في عهدهم. ولو كان اقرارهم كما زعمتَ مخالفاً لما تقدّم من أعمالهم، إذن لمّا قبل الناس كتابهم ولا ثبتت الأخلاف من بعدهم على دينهم. [70 a]

والثانية: فلو أن هذه الشعوب القابلة كتابهم كانت بأسرها دوابّ وبهائم لفهمتْ وعرفت من هذا ما فيه صلاحها وفسادها، ولكانت ــ، إذ رأت كفّ السيف، عمّا زعمتَ، عنها ومنعَ الأموال إياها، وقد عملتْ ما عملتْ به القوم في حملها على ما كرهت أولا، ثم اقرارهم بما حُرّم عليهم من استعمال السيف وقنية الأموال أخيراً،[٤] ــ انتبهت لفسق القوم وباطل شأنهم فانتفت من دينهم ورفضت كتابهم وتبرأت من عار مصلوبهم وتخلّت[٥] من صعوبة شرائعهم، ثم رجعت إلى ما كانت عليه أولاً من مِلَلِها وسهولة شرائع آبائها. وليس يمكن العقول أن تجهل براءة القوم ممّا يُتَّهم كل غاصب ومسيء وخادع ومضلّ. وقد تمت لهم السعادة باظهار الآيات والعجائب إذا ما رأت صناديد الشعوب وفلاسفة الأمم باختلاف أجناسها وتفاوت لغاتها وتباعد بلدانها ملازمةً لكتابهم بهذا الثبوت في

---

١. «بدو».

٢. «موافق».

٣. قد تكون هنا كلمة ناقصة، مثل: وصية، شريعة.

٤. «ولكانت... انتبهت»، وبين الكلمتين جملة اعتراضية متشابكة طويلة، معناها: لو ان الشعوب رأت كيف أن القوم، أي الرسل، منعوها من استعمال السيف وادعوا تحريمه بعد أكرهوها به على الايمان، لكانت انتبهت.

٥. «وتخلات» في النص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

شرق الأرض وغربها، منذ يوم قبلتْه من أيديهم إلى يوم الناس هذا. مع ان الكلام في هذا عندنا تستدلّ به العقول من لزوم كل أمة من أصناف الأمم بكتابِ مبيّنِ دينها. على أنه لم تكن سيرته وأعماله مخالفةً لما دعا أمته إليه لعباً وعبثاً[١]، لأنها لم تكن لتأمن[٢] كتابَه ونوّابَه أعقابُها، وكان الظاهر من سيرته خلاف ما دعا إليه. بل ذلك أوضح دليل على أن سيرته كانت مشاكلةً // لما [70 b] دعا إليه أمة كتابه. كما لا نشك في الداعي إلى التوراة، إذ أُلْفِيَتْ أمتُه مقيمةً بأجمعها على التدين بتوراته، أنه منذ انبعث لدعوة أمته إلى دينه لم يظهر من نفسه خلاف ما دعاها إليه من التوحيد والشرائع المثبتة في توراته. ولو خالفت أعمالُه وايمانُه دعوتَه وشرائعَ كتابه، إذن لما قبلتْ أمتُه على ذلك دينَه ولا دانت بكتابه.

وكما لا شك في داعي كتاب ماني، إذ أُلفيتْ أمته مقيمةً بأجمعها على التدين بكتابه، أنه منذ انبعث للدعوة إلى دينه لم يظهر من نفسه خلاف ما دعا إليه من الشرك المتبيّن في كتابه. ولو خالفت أعمالُه وايمانه دعوتَه وشرائع كتابه، إذن لما قبلتْ أمته على ذلك قوله ولا دانت له بكتابه.

وكذلك كما لا شك في منشئ كتاب ذرادشت[٣]، إذ أُلفيتْ أمته مقيمةً بأجمعها على التدين بكتابه، أنه منذ انبعث لدعوة الناس إلى دينه، لم يظهر من نفسه خلاف ما دعا[٤] إليه من الشرك والشرائع المثبتة في كتابه. ولو خالفت أعماله وايمانه دعوتَه وشرائع كتابه، إذن لما قبلت أمته على ذلك دينه ولا دانت بكتابه.

وكذلك لا شك في منشئ كتاب القرآن، إذ أمته مقيمة بأجمعها على التدين بقرآنه، انه منذ انبعث لدعوة الناس إلى دينه، لم يظهر من أعماله وايمانه خلاف

---

١. «لعب وعبث» في النص.

٢. في النص «امامن»، قراناها «لتأمن» أو «تأمن»، ليستقيم للجملة معنى.

٣. «دراشيت».

٤. «ادعا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ما دعا إليه من التوحيد والشرائع المثبتة في قرآنه. ولو خالفت أعماله وايمانه دعوته وشرائع كتابه، إذن لما قبلت منه أمته على ذلك دينه ولا دانت بكتابه.

وكذلك بشأن من مضى ومن بقي ومن يأتي من أصناف الأمم. ان نحن راجعناكم بعد الاقرار منكم لأهل كتابكم[١] فقلنا: بل أنتم المحرّفون كتابكم المدّعون[٢] // فيه هذه الدعوى عن تواطؤ ائمتكم. هل كان فيما تكافينا من دعوانا ودعواكم مخرج[٣] تبينون[٤] به حق دعواكم من باطل دعوانا. فان لم تأتونا من ذلك بمخرج تظهرون فيه علينا، كنا، لاقراركم تنزيل كتابنا وانكارنا تنزيل كتابكم، أظهر. [71 a]

وان سألتمونا على ابطال الدعوتين من التحريف جميعاً إذ نجمع، غبّ مسالمتكم أيضاً، لما تقدّم من اقراركم بتنزيل ما في أيدينا، إلى انفتاح[٥] جميع ما في أيديكم، إذن[٦] كان ما في أيدينا يثبت ما يجحدون ويجحد ما تدّعون، فكان في كل أنحائه ضداً[٧] لجميع ما تصفون.

وان أثبتّم المسالة أيضاً فقلتم: بل ان اتفاق النسخ المنتشرة من كتابنا في البلاد هو الدليل على امتناعه من التحريف والتعبير عن الأصل الذي عليه أُنشئ وأُبدي[٨]، كنا نحن المبادرين[٨]، كنا نحن المبادرين[٩] في إثبات هذه الحجة إلى التسليم بحكمكم، وقلنا: الحق قلتم. وكذلك أيضاً تمتنع الكتب المنتشرة في أيدي الأمم المنبثّة في البلدان

---

١. وقد يكون الأصح «كتابنا»؛ وحجة عمار هي التالية: بما أننا متفقون واياكم ان منشئ كتابكم وكتابنا لا يمكن أن يخالف بأعماله شرائع كتابه، وبما انكم تقرون بتنزيل كتابنا، فكيف تدعون علينا بتحريفه؛ الأصح انكم المحرفون لكتابكم يتواطؤ من أئمتكم.

٢. «المدعوون».

٣. «مخرجاً»، في النص.

٤. «ىىون» في النص، «تبينون» أو «تثبتون».

٥. أو «انفساح».

٦. في النص «اذ» قرأناها «اذن» ليصح للجملة معنى كما فهمناه؛ أي: إذا وافقتم على أن الكتابين غير محرفين، فكتابنا الذي يناقض كتابكم يدل على عدم صحة كتابكم.

٧. «ضد».

٨. «السى والبدي».

٩. في النسخة «المبادرون».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

التي للشعوب المتفاوتة من التحريف والتغيير[١] على الاتفاق الموزون من قبل قبول الشعوب لها بالآيات والاعلام. ثم لزمكم بذلك قبولها لا محالة لاقراركم في الأصل بتنزيلها.

كمل الفن الثاني

بعون الله ومنّه وله الحمد

في تثبيت الانجيل المقدس.

---

١. في النص: «والتعبير».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[71 b]

الفن الثالث من كتاب المسائل والأجوبة لعمار البصري
في تثبيت وحدانية الخالق بثلثة أقانيم

وهو تسع[١] مسائل[٢]

ونستفتح كلامنا منه بشرح ما استفظع أهل الخلاف من وصفنا وحدانية الباري ذات الخالق جلّ ثناؤه بجهات ثلاث، وان كان ذلك، بعد تثبيتنا صدق الكتب الناطقة بذلك، عنا مرفوعاً. كما أن لو خصمين تنازعا إلى بعض الحكام في دار أو عقار فأقام أحدهما بيّنةً على أن الدار بحدودها وحقوقها له دون خصمه والناس أجمعين، لَوجب على الحاكم تسليم الدار بكمالها دون سؤاله إياه البيّنة على بابٍ بابٍ ولبنةٍ لبنةٍ منها. كذلك انّا إذا نحن أوجبنا تحقيق الكتب الناطقة بهذه الأشياء بما اقمنا من براهين الحق على صدقنا، لم يلزمنا اقامة الحجة على حرفٍ حرفٍ وكلمةٍ كلمة منها. ولكنا سنفضّل شرح ما سُئلنا عنه تحرّياً لمنفعة من التمس معرفةً ذلك بقلب سليم ونية صادقة.

المسألة الأولى

ان سأل سائل من المخالفين فقال: ما الدليل على صدق ما تدعون من تثليث وحدانية الخالق. وكيف يمكن أن يكون الواحد ثلثة أو الثلاثة واحداً[٣]، معما اتبدأتم به أيضاً من تثبيتكم واحدانيته واقراركم بانه واحد ليس له مثل ولا شبه ولا نظير.

---

١. في النسخة «تسعة».

٢. بدل «تسعة مسائل» كتب بخط آخر «تسعة عشر مسألة».

٣. «واحد».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قلنا: اما ان كون الواحد ثلاثة والثلاثة واحد، فذاك لعمري لا يمكن كونه، وذلك ان العدد الواحد لا يكون العددَ الثلثة. فاما المعنى الذي إليه نقصد في قولنا، فانّا نعني ان ذلك الجوهر الواحد القديم لم يزل موجودا[1] بثلث خواص // جوهريات غير متباينات ولا مفرقات. [71 a] وجميع الثلث الخواص هو ذلك الجوهر الواحد القديم الذي ــ أي ليس هو ثلثة بمعنى خاصة ــ لا يتبعض ولا يتجزأ بعينه وكماله، ولا هو ثلثة، بمعنى ما هو واحد، ــ واحدة، بل ثلاث خواص. فهذا هو مذهبنا في وحدانية جوهره وبتثليث خواصه جلّ وعلا.

فاما ما استدللنا على تعبيرنا ما وصفنا من ذلك، فمن حيث ايقنّا به واحداً في ذاته متفرداً[2] بطباعه وأزليته، فلا نظير له في جوهره ولا شبه بين أفعاله وأفعال خلقه. وذلك انا وجدنا كلّ صانع شيء وفاعله من المخلوقين لا يخلو عند صنعته ذلك الشيءَ من تحريك اعضائه واستعمال جوارحه، وكانت حركاته تدلّ على حدوده، وجوارحه تدل على تركيبه وتأليفه، وان تأليفه وتركيبه يدلان على مؤلِفٍ مركِّبٍ متقدمٍ له ألّفه ووليَ تركيبه. فوجب أن نعلم بضرورةٍ لا تُدفع ان صنعةَ مَن لا صانع له وأفعالَ من لا جوارح له لذاته، وأعمالَ من ليس بجسمٍ ولا حركاتٍ لطباعه، ليست كصنعة من وصفنا من ذوي الأعضاء والجوارح والحركات. بل يحقّ نعلم، إذ وجدنا ذاته متعالية عن هذه الصفات ثم وجدنا له خلقاً حادثاً احدثه وكوّنه، أنه إنما أحدث ذلك أمراً وحكماً دون حركة وعلاج أو مشيئة أو إرادة دون كلفة ومؤونة.

ولن يمكن توهّم المشيئة والإرادة والقضاء الا لذي كلة أي ذو نطق. ولا يُتوهَّم النطق إلا لذي حياة. فمن هذه الجهة وجب تحقيق قولنا ان بُعْدَ الشبه بين جوهر الخالق وجواهر خلقه وبين صنعته وصنائع خلقه هو الدليل على تثليث خواصه ووحدانية جوهره، أي جوهر العين، المضاف إليه حياته وكلمته التي هي عين حكمته، وحياته التي هي عين روحه، واحدٌ[3] لم يزل.

---

١. «موجود».

٢. متفرداً أو منفرداً.

٣. أي: ان جوهر العين المضافة إليه حياته وكلمته... هو واحد أزلي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[72 b] ومما استدللنا أيضاً به على وحدانية ذلك الجوهر وتثليث خواصه، // انّا، إذا قدمنا وفحصنا عن شأن هذه الخليقة، انتهت بنا الرويّة إلى وجود عينٍ متقدمٍ لها هو أحدثها وأنشأها؛ ثم انّا رأينا في هذه الخلائق المحدثة الموّاته خلائقَ تبدي من طبائعها أفعالاً خواص أشياء ما، كالأرض التي تنشئ وتُبلي وكالنار التي تُحرق وتُنضج وتُصلح وتُفسد، وأشباهها من الطبائع الفاعلة خواصَ أفاعيلها طبيعياً، فقلنا: هل يجوز أن يكو صانع هذه الخلائق كهذه الجواهر الموّاتة العديمة الحياة. وتقول: عساه خلق هذه الخلائق اضطراراً طبيعياً بلا تعمّدٍ منه لصنعتها ولا قدرة على الامتناع من إحداثها، فوجدنا أنواع خلقه مبتدَعاً على ما تشهد عليه أشكال الخلائق من حدوثة كونها، وتدل على بارئ متقدم لها، علماً بأنه كوّنها تعمّداً واختياراً لا غريزاً اضطراراً، وذلك ان الطبائع الفاعلة أفعالها أوقاتاً والامساكَ عنها أحياناً، كما لا سبيل للنار إلى ترك الاحراق معما صادفت حطباً فتكون محرقةً أحياناً وغير محرقة أحياناً، وكذلك جميع هذه الطبائع المعروفة بخواص أفعالها.

فلو كان أفعالُ الخالق جلّ ثناؤه على جهة أفعال الطبائع التي ذكرنا، إذاً لما كان له السبيل إلى الإمساك عن أفعاله قديماً، أو ان يكون اذّاك[١] ممسكاً ممتنعاً ومن بعد صانعاً[٢] فاعلاً، ولم يوجد لديه في قدم أزليته حائل يحول بين طباعه وبين ما أنشأ من الخلق أخيراً.

[73 b] وان قلنا، بل لم يزل لخلائقه محدثاً مكوّناً كالطبائع الفاعلة أفعالها طبيعياً أبداً، استحالت الدعوى[٣] وتناقضت في نفسها. // لانّا إذا قلنا لم يزل لخلائقه محدثاً، أوجبنا للخلائق اسمَ الأزلية والحدوث جميعاً، وسواء على القائل أن يقول لم يزل الخالق يحدث خلقاً، أم يقول لم يزل المحدث موجوداً أزلياً.

فقد بان للعقول بهذا انه قد كان لم يزل في قدمه عن خلق ما أحدث من

---

١. «اذ ذلك».

٢. «صانع».

٣. «الدعوا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خلقه ممسكاً ممتنعاً، ثم أنشأ منها بطَوْلٍ واقتدارٍ على كونها والامتناع لو شاء من صنعتها. فقِدَمُ امساكهِ كما أخبرنا عمّا أحدث منها حديثاً هو الدليل على ان إمساكه قديماً كان بمشيئة وإرادة، وإحداثَه ما احدَث أخيراً تعمداً واختياراً. فالحياة، لمن أمسك عمّا استطاع فعلَه بإرادته ومشيئته، ثم أبدأ الذي أبدأ تعمداً[١] وقدرةً، واجبةٌ بحق لا محالة.

ثم انا أيضاً رأينا في هذه كثيراً[٢] من أنواع الحيوان تفعل أفعالاً عجيبة، كالذرة التي هي أحقر الحيوان وأدناها جميعاً، فيكفي فيها دون الحيوان مثلاً واعتباراً فيما تدمن من سعيها ونقلها وجمعها من الذخائر التي تعدّها لما استقبلت من الأيام في اصلاح معاشها. وكذلك جميعُ أجناس المواشي من البهائم والسباع وأنواع الطير وزحّافة الماء ودواب الأرض تسعى خلف ما يقيم طباعها ولا تسمو[٣] إلى غير ما جُبلت عليه من طلب كفافها.

فقلنا: هل يجوز التوهّم على ذلك الجوهر الحي القديم صانع هذه الخلائق أن تكون طبيعته حملتْه على خلقه اياها التماساً لقوام[٤] شان طباعه واصلاح ذات نفسه، كهذه الحيوان المجبولة على لزوم سبل طبائعها، المحمولة على التزام ما يقيم ذات حياتها. فوجدنا قِدَم غناه عمّا أحدث منها أخيراً، واعتلاءه عن الحاجة إلى ما انشأ منها حديثاً، يشبع[٥] // القلوبَ يقيناً بانه [73 b]
قدرها بهمّةٍ رفيعة ثم أنشأها بعينٍ عالية ليجود بها على غيره ويُنعم بها على مَن من[٦] أجله أنشأ خلقه، لا ليسدّ بها حاجة نفسه أو يقيم بها شأن طباعه.

فلما استقر في عقولنا انه، انما يُجري بخلقهِ الخلائقَ الاحسانَ إلى غيره، تفضّل وتوخّى[٧] به صلاحَ بعض خلائقه جوداً وإنعاماً، أيقنت عقولنا بأنه لن

---

١. «تعمد».
٢. «كثير».
٣. «تسموا».
٤. «لقوم».
٥. أي ان قدم غناه واعتلاءه يشبعان القلوب يقيناً.
٦. «من» الثانية ساقطة من النسخة سهواً دون شك.
٧. «بفصل ونوجي» هكذا في النسخة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تبدو[١] فضائل الجود والنعمة إلا من ذي عقلٍ أو حكمةٍ. وذلك لسابق همته المتقدمة بما أزمع به من الاحسان والنعمة.

ثم قد يدلنا ما نرى من عجيب هذا الخلق واتقان هذا النظام وتأليف هذه المتضادات وإحكام هذه السياسة على أن باريها ومؤلفها ومدبّرها معدنُ كل علمٍ وينبوع كل حكمة. فانه كما أن الشواهد من أشكال الخلائق اضطرت العقولَ في الفحص الأول إلى وجود إثباتٍ جوهرٍ أحدثها وأنشأها، والفحص الثاني[٢] من تبرّعه بصنعتها بعد إمساكه قديماً عن خلقها إلى إيجاب[٣] الحياة له أزليا، كذلك ما دلّ الفحص الثالث من إحكام سياسته لها وما تقدم من سابق همته بأن يجود على غيره بها، يشهد[٤] على جوهرية كلمته وأزلية حكمته اضطراراً، وكيفما صرّفتَ فكرك في هذه الخلايق يضطرك الرأي إلى اليقين بأن باريها وسائسها متوحّدٌ في جوهره متلَّثٌ في خواصه لا محالة.

المسألة الثانية

فان قال: فما لنا فيما نرى من إتقان صنعة هذه الخلائق وإحكام هذا النظام دليلاً في الجملة على أن صانعها وباريها وسائسها واحد حي حكيم[٥]، حتى تخادع أنفسنا بالفكر الباطلة فنثبت وجوده أولاً ثم نثبت // له الحياة ثانية والحكمة ثالثة، ونحسب ذلك تثليثاً بأبعاض وأجزاء؟ [74 a]

قلنا: أما الأجزاء والابعاض فليس من صفات ما ليس بجسم بل[٦] ما لم يزل موجوداً بأزليته. بل ذلك من صفات الأجسام المحدّثة المؤلَّفة المركَّبة. فأما قولك بأن إتقان هذا الخلق وإحكام هذا النظام دالّ[٧] على خالقٍ واحد حيّ

---

١. «تبدوا».
٢. أي ان الفحص الأول اضطر العقول إلى اثبات... والفحص الثاني اضطرها أيضاً إلى...
٣. ايجاب أو انجاب، والقراءة الأولى أصح في رأينا.
٤. يعني: ان ما دل الفحص الثالث... يشهد على...
٥. في النسخة: «واحداً حياً حكيماً».
٦. بل بمعنى أي.
٧. «دالاً»، في النسخة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حكيم فغير مردود عليك. وقد أخبرناك آنفاً بأن الذي خلق الخلق بكلمته وروحه لا محالة واحد في جوهره منفرد بطباعه لا يدركه تبعيض ولا يناله تجزيء. ولكن كيف يمكن العقول أن تعتقد، مع يقينها بانه جوهر متعالي عن التجزي والتبعيض، ان معنى قول القائل لم يزل حياً هو معنى قوله لم يزل حكيماً. وقد نرى عناصر كثيرة قائمة بأُنيّتها وذواتها وهي عديمة الحياة. ثم نرى أنواع الحيوان جميعاً موجودة بأنّيتها وهي عديمة النطق. فلو كان معنى الأنيّة الموجود هو معنى الحي ومعنى الحيّ هو معنى الناطق، إذن لكان كل عنصر موجود بأُنيّته لا محالة حياً ناطقاً، وكانت الصخور والحجارة والحديد لوجود أُنيتها مستوجبة أن تُوصف أحياناً ناطقة أيضا. ولكنها، إذ وجدت قايمة بأُنيتها وعناصر ماهيتها وكانت عديمة الحياة والنطق، استحقت أن تُسمّى مواتاً. وكذلك ذوات الحركات من سوى الناطقين موجودة بأُنيتها وقائمة بحياتها وكانت عديمة النطق، استحقت أن تُسمى[١] بهائم ودواب، وذلك لعدمها معنى موجودٍ جوهري موجودٍ في جوهر الناطقين دونها.

لذلك إذ أُلفيّ خالقُها لم يزل حياً، حقّ لنا أن توجب له الحياة والنطق اضطراراً. ولست أدري لمَ أنكر // هؤلاء المنكرون، إثباتاً للصانع الأزلي، حياةً أزلية وحكمة جوهرية. أيحسبون [74 b] أن ذلك يُوجِب في جوهره أجزاءً وابعاضاً. فان ظنوا ذلك فليبطلوا ظنهم ويعلموا ان ما لم يكن جسماً فلا إمكان للتجزي والتبعيض فيه أصلاً. وان ظنوا ان ذلك يوجب فيه تركيباً وتأليفاً، فقد أوضحنا انه لا تركيب[٢] ولا تأليف لما لم يكن جسماً وما لم يكن له مؤلِّف مركِّب. وان كانوا إنما ينكرون ذلك لأن حواسهم لم تدرك أن يكون جوهر ذو حياةٍ ونطق إلا مخلوقاً مصنوعاً، قلنا فأنكروا أيضاً أن يكون موجوداً حياً[٣] حكيماً، لأن حواسهم لم تدرك موجوداً[٤] حياً حكيماً إلا مكوَّناً مخلوقاً؛ وأنكروا أن يكون

---

١. «تسما».

٢. في النسخة كلمة «لا» ناقصة وبدونها لا يستقيم المعنى.

٣. «موجود حي».

٤. «موجود».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

صانعاً فاعلاً، لأن حواسهم لا تدرك صانعاً فاعلاً، إلا محدَثاً مصنوعاً؛ وأنكروا أن يكون ملكاً قوياً وقادراً، لأن حواسهم لن تدرك ملكاً قوياً قادراً إلاّ مكوّناً مخلوقاً.

أو تعلمون[١] ان الاتفاق بين الخالق وخلقه في هذه الأمور إنما كان من قبل اشتراك الاسماء فقط. فاما المعاني فلا شبيه فيها بين الخالق وخلقه ولا اتفاق. وكذلك لا شبيه بينهم وبينه في الحياة والنطق ما خلا الاشتراك في الأسماء فقط.

وقد يجب أن نراجع هؤلاء المنكرين علينا قولنا ونسألهم عن معبودهم الذي يعبدونه: هل يقرون[٢] بانه لم يزل حياً حكيماً، فلا شك انهم يقولون نعم، فنقول لهم: فأخبرونا عن معنى قولكم لم يزل حياً هو[٣] معنى قولكم لم يزل حكيماً. فان قالوا كلاً ما كِلا اللفظتين المختلفتين معناهما[٤] واحد، قلنا: فاذن قد أوجبتم ههنا ثلثة معاني لم تزل: الصفتين المختلفتين[٥] والموصوف بهما واحداً[٦]، فدخلتم من ذلك فيما عبتم. وان قالوا بل // جميع اللفظتين معناهما واحد لا [75 a] اختلاف، فقد خرجوا من حدّ العقول ثم أوجبوا أن يكون مع ذلك[٧] كلّ حيّ حكيماً، لا محالة. فالدواب والبهائم، إذ وُجدت احياء، فهي لا محالة حكيمة أي ناطقة.

وان قالوا: بل إنما نجيز بان المعنيَين واحد في الأزلي في الأزلي خاصة دون ما سواه، قلنا: فلأنكم إنما أردتم بذلك تكريرَ القول فيه بانه حي[٨] ليس إلاّ، فاذن انتم توهمون السامعين بقولكم خلاف ما تعتقده ضمائركم، لأن عقول السامعين لن تتوهم عنكم أن معنى الحي ومعنى الحكيم واحد.

فان قالوا: بل إنما نريد، بقولنا حياً حكيماً، نفْيَ الجهل والموت عنه،

---

١. «تعلموا».

٢. «يقروا».

٣. أي هل هو.

٤. في النسخة: «كل اللفظتين المختلفين معناها».

٥. «الصفين المختلفين».

٦. واحد.

٧. أي «على ذلك»، «على مثل ذلك».

٨. «حياً».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لا لنوجب له حياةً وحكمة كما أوجبتم، قلنا: فألا، إذ سميتموه[١] حياً حكيماً لتنفوا عنه بزعمكم الموتَ والجهل، سميتموه[٢] أيضاً، لمّا نفيتم عنه الحياة والحكمة، جاهلاً موّاتاً. ولا فرق بين ما نفيتم عنه من الموت والجهل فسميتموه[٢] لذلك حياً حكيماً وبين ما تنفون[٣] عنه الحياةَ والحكمة فتسمّونه[٤] لذلك جاهلاً مواتاً.

فان قالوا: بل يحق لنا أن نسمّيه بأمدح الأسماء وأكملها وأشرفها لا بأهجنها وأخسّها وأدناها، قلنا: فاذ صار اسم الحي الحكيم لديكم أفضلَ الأسماء التي يستحقها الأزلي الذي ليس بذي حياة وحكمة عندكم من أجل انهما كانا للإنسان الذي هو نوع من أنواع الخلائق مدحاً[٥]، فألا مدحتموه أيضاً بكل ما كان للإنسان شرفاً ومدحاً. فقد يمدح الإنسان بأن يُوصف حسناً جميلاً نظيفاً[٦] بهياً نبيلاً بزيغاً[٧] صبيحاً مليحاً وما كان بذلك شبيهاً، فامدحوه أيضاً بهذه المدائح كلها، وانتفوا عنه بها ما كان له // ضداً وخلافاً. أو ما بالكم تمدحونه بما يُمدح به الإنسان [75 b] خاصة من بين الخلائق جميعاً، وقد تجدون كثيراً من أنواع الخلائق الموات تُمدح بأشياء شتىً كالشمس الممدوحة بجمال ضوئها وبهاء نورها وشرف هيئتها، وكالنار بلطافة جرم جوهرها وسلطان حرّها ومحامد آثارها. فسمّوه لذلك جرماً مضيئاً نيّراً بهياً محرقاً منضجاً، أو تنبذوا عنه العلل الباطلة وتقرّون بانكم لم تخصّوه باسم الحكيم الحي، دون كبير من النعوت التي تُمدح بها الخلائق والحيوان الموات، الاّ لوجود المعنيَين وثبات الخاصتين من الحياة والحكمة في جوهره دون ما سواهما اضطراراً.

فان راجعونا سائلين فقالوا: فلستم تقرون، مع قولكم انه حي حكيم، بانه

---

١. «سميتوه».

٢. «سميتوه».

٣. «تنفوا».

٤. «فتسموه».

٥. أي: افضل الأسماء... مدحاً.

٦. نضيفاً».

٧. بريعا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

سميع بصير قادر رحيم جواد كريم[١]، كما أوجبتم له حياة وحكمة أي روحاً[٢] وكلمةً جوهريّين عند تسميتكم إياه حياً حكيماً. فأثبتوا له أيضاً سمعاً وبصراً وقدرةً وجوداً ورحمة وكرماً جوهرية عند تسميتكم إياه سميعاً بصيراً قادراً رحيماً جواداً كريماً؛ وكذلك بكل ما كان بذلك شبيهاً. ولا تخصّوه بالتثليث الذي وصفتم دون تربيع وتخميس وتسديس وأكثر من ذلك على ما وصفنا.

قلنا: لا لعمري. لو كان الأمر فيه كما ذكرتم لكان الحكم فيه على ما قضيتم. ولكن هل عرفتم الفرق بين الأسماء والصفات التي استحقها من قِبَل خواص جوهره، والأسماء والصفات التي اشتُقّت له من قبل خواص هِمَمه وصنائعه التي قيلت عليه عبارات لأسباب[٣] // سنبين عنها لا لأنها واجبة له ولا [76 a] موجودة في جوهره. فان كنتم بذلك عالمين، فلماذا كانت القضية منكم، على ما هي عليه من أخلافكم، واحدةً بالسويّة. وإذا كان ذلك منكم تجاهلاً وتعامياً لتدفعوا ما يلزمكم الاقرار به، فقد تعلمون أن غِبَّ التعامي والتجاهل عن الحق راجع على أهله. وان كان ذلك، لأنه لا فرق لديكم جهل[٤] بها وعمىً، فما ننكر لعمري ان الجهل يورّط أهله في أعظم ممّا أورطكم فيه من الخطأ والغلط.

اما نحن فسنبيّن عنها بفصول معروفة لا تغبا على ذي عقل. فليحسن فهمكُم لِما يَرِد عليكم من قولنا. ولا يثقلنّ عليكم إن بدأنا بمدرجةٍ مقدمةٍ ندرج بها قلوبكم إلى فهم ما نريد[٥] افهامَكم من ذلك.

واعلموا أولاً يا قوم انه لن تكون الفصول الجوهرية بين أنواع الجواهر في اختلافها من قِبَل السمع والبصر والقدرة والرحمة وما أشبهها. لأنّا قد نرى ونعقل جواهرَ مختلفة بالفصول المخالفة بينها كلها سميعةً وبصيرةً، لجوهر الانس واجناس البهائم وأصناف الطير المتفقة بأجمعها في السمع والبصر ولا اتفاق في الذات والجوهر.

---

١. «سميع بصيراً قادر رحيماً جواداً كريماً».

٢. «روح».

٣. في المخطوطة أنزلت هنا غلطاً الصفحة ٨٥ [85 A]؛ في النص «الأسباب»؛ والمعنى ان هنالك خواصاً لله قيلت عليه لا لأنها جوهرية فيه بل كتعبير عن المسببات التي صنعها في العالم.

٤. «جهلاً».

٥. «يريد».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ثم قد نرى أهلَ جوهرٍ، منهم السميع [ومنهم غير السميع][١]، ومنهم البصير ومنهم غير البصير، منهم القادر ومنهم العاجز، ومنهم الرحيم ومنهم القاسي. أعني الناس المختلفين باختلاف هذه الأحوال، وجوهرهم واحد لا اختلاف فيه. ولا يُتَوهَّم أهلُ جوهرٍ واحد بعضهم احياء وبعضهم أموات، وبعضهم ناطقون[٢] وبعضهم لا ناطقون[٢]، أعني بالنطق النفساني الجوهري لا الألفاظ المعبَّرة بالشفتين واللسان. فانه ربما توهم علينا السامع إذا قلنا: لا إنسان الا حيّ ناطق ميت، أنّا نفينا الخُرْسَ من جوهر الإنسان // إذ عُدموا قوةَ عبارات هممهم من الشفتين. بل نعني بذلك [76 b] جوهرية النطق المطبوعة في ذات أنفسهم. فقد عُلم بهذا ان البينونة بين جواهر الحيوان والموات، إنما كانت الحياة التي هي فصل[٣] معروف جوهري. ثم تباينت جواهر الحيوان من بعدُ بالنطق الذي هو فصل[٣] معروف جوهري أيضاً. وذلك أن الحياة والنطق من خواص بنية الجوهر وماهية الذات والطباع. فأما السمع والبصر فلا بنية لهما في ذات الطباع ولا نصيب في مائية[٤] الجوهر. بل إنما جعلنا البينونة للجوهر، وأما القدرة والقوة والاستطاعة فان لها علتين مختلفتين، احداهما جسمانية جسدانية وهي القوة المطبوعة في أجسام الحيوان كما قد نرى بعيراً يحمل ألف مناء[٥] وفيلاً يصرع بقوته بعيراً واسداً يفترس بقوته ثوراً، ونحو ذلك من الأفاعيل التي تُنسب[٦] إلى قوات الأجسام؛ والأخرى[٧] نفسانية روحانية أعني العقل الذي هو قوة النفس المخترع هذه اللطائف التي نرى من صنعه[٨] الاجرام وتصوير الأشكال وتأليف البنيان ونحو ذلك من الصناعات المقدور عليها بحكمة النفس وروية العقل.

---

١. «ومنهم غير السميع» ساقطة من النسخة وهي دون شك موجودة في الأصل.

٢. «ناطقين».

٣. في النص «فضل»، وهي دون شك «فصل»، أي بينونة أو تمييز جوهري.

٤. «مايية».

٥. «مناً» في النص.

٦. ظاهر الكلمة هو «ليست».

٧. أي العلة الأخرى.

٨. «صنعته».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وكذلك الإرادة والمشيئة تكون على جهتين: احداهما[١] طبيعية باضطرار، كإرادة البهائم والدواب وما أشبهها من الحيوان المريدةِ ما يقيم طباعها من الأغذية والطعام والشراب؛ والأخرى عقلانية برويّةٍ واختيار، كالموطّد أموراً[٢] يتأمل منافع عواقبها، وكالمتوهم أمراً[٣] يُجري به منفعةَ غيره وصلاحَ آخرين سوى نفسه، تفضلاً عليهم وانعاماً.

[77 a] وأما الرحمة والرأفة والعدل والحلم والجود والنعمة وما أشبهها، فانها // معلولات تبدو[٤] عن الجواهر الناطقة المروية خاصةً لا عن شيء من الجواهر العديمة العقل والنطق. فانك لن ترى حماراً رحيماً ولا فرساً رؤوفاً ولا جملاً عدلاً ولا أسداً منصفاً حابضاً[٥]، ولا شيء من أنواع الحيوان، ما خلا الناطقين، يوصف بشيء من الصفات أصلاً. وذلك لعدمها جوهرية العلة التي منها تتولد هذه المعلولات التي ذكرنا. وليس شيء من هذه المعلولات أيضاً يقوم مقام النطق في بنية الجوهرية. وذلك ان المعلولات المتولدة عن العلة لا تقوم مقام العلة الأصلية.

فعلى هذا المثال فلنمضِ[٦] حكمَنا في كل ما أدركته الأوهام والحواس جميعاً، ولا نجاوز حكم الحق من سبيل القياس الذي جمع ذلك علماً بذات كلمته وروحه، لا شيء سواهما.

المسألة الثالثة

فان قال: فهل محتاج إلى كلمته وروحه أم هو غني عنهما؟ فان زعمتم إليهما[٧] محتاج فقد وصفتموه إلى الاضطرار والعجز والنقصان؛ وان زعمتم أنه

---

١. «احديهما».

٢. «امور».

٣. «امر».

٤. «تيدوا».

٥. في النص «حابصا»، وهي «حابضاً» أي بخيلاً.

٦. «فلنمضي».

٧. «اليها».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

غنيّ عنهما، فانفوهما إذن عنه كما نفيتم عنه ما كان عنه مستغنياً كالسمع والبصر وغيرهما.

الجواب قلنا: انما تُباحثُ أهلَ العقول والألباب لا البهائم والدواب. قد اخبرناك انه لا يمكن توهّمُ الروح والكلمة عنه ذوي العقول الا جوهريّين[1] في الجوهر؛ فكيف جاز لك أن تسأل، وقد أيقنتَ ذلك: أمحتاج الأزلي إلى ما هو له جوهري طبيعي؟ أو ماذا تقول لو سألك سائل: هل تحتاج النار إلى حرّها ويبسها، وهل يحتاج الماء إلى برودته ورطوبته؟ أوَ لا تعلم أنّ هذا عَنْتٌ من القول، هذيان من السؤال، // إذ تعلم ان سوس جوهر النار حرارتُه ويبوسته، [77 b] وإنما صارت ناراً[2] بحرّها ويبسها؛ وسوس جوهر الماء برودته ورطوبته، وانما صار ماءً برطوبته وبرودته. بل إنما يجوز لك أن تسأل: هل تحتاج النار في ظهورها وإظهار فعلها إلى خبز وحطب، وهل يحتاج الماء في استقراره وركونه إلى أرض ويبس، وما أشبه ذلك ممّا هو خارج عن ذات الشيء وطباعه.

كذلك يستحيل سؤالك: أيحتاج ذلك الصانعُ الأزلي إلى ما هو له جوهري طبيعي؟ وسواء عليك سألتَ هل يحتاج الأزلي الحي الناطق إلى روحه وكلمته، أم قلت: هل تحتاج النار إلى حرّها ويبسها، أم قلت: هل تحتاج النار إلى طباعها وذاتها.

بل انما يجوز لك أن تسأل هل يحتاج الأزلي الحي الناطق إلى مكانٍ أو موضعٍ أو سمعٍ أو بصرٍ، أو إلى أيّ شيء ممّا خلق وبرأ، فيُقال لك: نعوذ بجلاله ان يكون إلى شيء من هذه محتاجاً.

فهذا منتهى مكنتنا في ايضاح حق وحدانية جوهر الخالق وتثلث خواصه بالقياس المعقول.

وقد يجب مع ذلك ان لا ندع ذكرَ ما لنا من الشهادات المتقدمة في كتب الله المنزلة بتثبيت ما اضطرت عقولُ ذوي العقول إليه من ذلك. ولا سبيل لملتمسِ

---

١. في النص «جوهرين»، ونظن المقصود «جوهريَّين».

٢. «نار».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عيبِ ديننا إلى تعظيمنا[١] بافتعال الباطل في كتب الله وبزعم[٢] أنّا واليهود أعداؤنا اتّفقنا وتصادرنا جميعاً على افتعال هذه الكتب وتحريفها على ما يوافق ديننا.

فافهم أيها السامع ما يتلو نبي الله موسى في كتابه ويقول: ان الله لما أراد خلْقَ آدم قال: «نخلق بشراً بصورتنا ومثالنا»[٣]، ولم يقل بصورتي ومثالي ولا بصورنا ومثالنا، بل بصورتنا: يومي بذلك إلى توحيده // وتثليثه في قوله واحد. ويقول في مكان آخر: «هلّموا ننزل ونقسم هناك الألسنَ»[٤]. ونبيّ الله حزقيال يقول عن قول الله: «ان في ذلك الزمان اعرّف بني إسرائيل قوّتي وجبروتي من أجل ان الرب أسمانا». دانيال يقول: «ان الله أسمعَ بختنصّر صوتاً عن نفسه: نقول لك يا بختنصّر». وإن هذه الألفاظ في قوله تبارك وتعالى: «نخلق» و«نقسم» و«قالوا» و«اسمانا» و«صورتنا ومثالنا»، لم يجوّزه أحد من أهل اللسان السرياني والعبراني واليوناني، الاّ عن ذوي عددٍ تجاوز عددُهم الواحدَ والاثنين. ولا أحسب العرب أيضاً تجوّز قولَه: «تعالوا» و«هلموا» في الواحد المنفرد بنفسه لنفسه خاصة. [78 a]

ولست اخال ذا عقل أيضاً يزعم أن الله عنى[٥] بقوله «هلموا نقسم هناك الألسن» الملائكةَ والأشياءَ من خلائقه، استغاثةً بهم فيما أراد من تفريق الألسن.

ويقول: انه لما أكل آدم من الشجرة التي نهاه الله عنها قال الله عنها قال الله: «ان هذا آدم قد صار مثل واحد منا»[٦]، ولم يقل مثلنا، فيزعم القائل انه قد يجوز للواحد أن يقول «نحن» و«مثلنا» و«خلقنا» و«انزلنا» و«رزقنا» و«رفعنا» و«فعلنا»، ويعني بذلك نفسه خاصةً. بل قال «مثل واحد منا» تبييناً بلا شبهة لما تجاوز عددَ الواحد والاثنين.

---

١. في النسخة «تعضيمنا»، وهي «تعظيمنا»، أي يجد ذلك أمراً عظيماً.

٢. أو «ويزعم».

٣. سفر التكوين ١: ٢٦.

٤. سفر التكوين ١١: ٧.

٥. في النسخة «عنما».

٦. سفر التكوين ٣: ٢٢.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ويقول أيضاً في مبتدا الوصايا: «اسمع يا إسرائيل ان الرب الهك، الرب هو واحد»، ينبّههم بذلك إلى أن المثلَّث في خواصه واحدٌ في جوهره.

ويقول أيوب: «روح الرب خلقتني». وقال نبيّ الله داود: «بكلمة الله تكونت للسماء وبروحِ فيه جميع جنودها». ويقول في موضع آخر: «ان الرياح والعجاج خَلْقُ كلمته». وقال: // داود أيضاً: «لكلمة الله اسبّح». وقال في موضع آخر: «انه أنزل كلمته فشفتْهم وأنقذتْهم من [78 b] الفساد». ويقول داود أيضاً: «انك ترسل روحك فتخلقهم». اشعيا النبي قال: «ان الله أرسلني وروحه».

فهو ذات لاهوتٍ واحد جوهرٍ واحد خالقٍ واحد. وان ما[1] ذكروا منها، سمّوه الهاً خالقاً أزلياً معبوداً. وان كان بعضهم قد وصف الله جلّ ثناؤه بالعينين والاذنين واليدين والرجلين على جهة العبارة والمجاز، فانهم لم يصفوا ذلك على جهة وصفهم كلمتَه وروحَه في خلق الخلائق وتدبير الأمور، ولا قال أحد منهم إن الله خلق الخلق بسمعه أم ببصره أم بأذنيه أم بعينيه أم بيديه أم برجليه أم بشيءٍ سوى كلمته وروحه. وان كان الله عزّ جلاله قد ذكر في بعض كتبه أنه خلق خلقاً أو فعل فعلاً بيده أم بذراعه، فانك إذا تبيّنتَ قولَه فوجدته يعني بذراعه وبيده أمرَه ونهيَه وإرادتَه المتولِّدين[2] عن كلمته وروحه، لا ذاتَ كلمته وروحه. فاما كلمته وروحه فحيثما ذُكر واحدٌ منهما[3] سمّاه خالقاً معبوداً دون جميع الصفات التي وصف نفسه بها.

المسألة الرابعة

فان قال: فلمَ سمّيتم هذه الثلثة خواصٍ ثلثةَ أشخاصٍ فأوهمتم السامعين قولَكم أنكم تقيمون ثلثة آلهة.

---

١. في النسخة «وإنها» وهي سهو عن «وانما»، أي «وان ما».

٢. كذا.

٣. «منها».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قلنا: لم نسمّها ثلثة أشخاص، ولا يتوهمن أحد علينا أنا سمّيناها أشخاصاً[١]، لأن الشخص عندنا كلُّ جسمٍ محدود بأقطاره وجوارحَ تفصل بينه وبين ما سواه من الأجسام. بل سميناها بلسان سرياني ثلثة أقانيم. وتلك أيضاً لغة سنخبر بها بعد // أن نبيّن عن معنى القنوم وما هو. [79 a] فافهم عمّا نخبرك به واعلم انه ليس شيء تسمّيه بلسانك أو تُخطره على قلبك الاّ وهو أحد أربعة أشياء نصفها لك:

إمّا جوهر، فهو كالإنسان الكلي والنار والماء وما أشبه ذلك. وإمّا قوة من قوى الجوهر، فهو كالنطق من الإنسان والحرارة من النار والرطوبة من الماء ونحو ذلك ممّا يُقيم ذاتَ الشيء وماهيتَه. وإمّا عرض في الجوهر، فهو كالبياض في الثلج والسواد في القار والطور والعرض والقصرْ وما كان بذلك شبيهاً. وامّا قنوم من الجوهر، فهو كعبد الله بنفسه وبدنه من الانس، وكجبرائيل الملاك بخاصة قنومه من الملائكة، وما أشبه ذلك من الأقانيم الروحانية والجسدانية.

فهذه الأربعة أشياء محيطة بكل ما[٢] هو موهوم ومحسوس. وليس شيء يُدرك وهمٍ وحسٍ الاّ وهو داخل في هذه الأربعة المعاني لا محالة. فاثنان[٣] منها يقومان أنفسهما، وهما الجوهر العام والقنوم الخاص، واثنان[٤] لا يقومان بذاتهما ولا يوجدان لا في غيرهما وهما القوى البسيطة والاعراض المعترضة في الاجرام والاعيان. فالقنوم منها لفظة سريانية كما أخبرنا ومعناها العين الخاص الكامل المستغني بنفسه المنفيّ عنه الاضطرار إلى غيره في قوام ذاته.

فكان إذ نظرت الأئمةُ الذين أبانوا عن هذه الأمور الإلهيات قديماً أن لهذه الخلائق المحدثة صانعاً واحداً فأرادوا إثباتَ وجوده ووحدانية ذاته عند من جهل وحدانيته ووجوده، لم يجدوا في الأشياء المدروكة شيئاً أكمل في ذاته ولا أعلى[٥]

---

١. «أشخاص».

٢. «بكلما».

٣. «فاثنين»، في النسخة.

٤. «واثنين».

٥. «اعلا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

// في ماهيته ولا أغنى بنفسه عن الضرورة إلى غيره في قوام ذاته من الجوهر، فسمّوه لهذه العلة جوهراً. ثم ان لمّا رأوا في هذا الجوهر الواحد خواصاً معروفة كالذي[١] أخبرنا من عين العلَّة الأصلية الخلاقة وروحها وكلمتها، فلم يجدوا عن أن يخصّوا كلَّ واحد منها أيضاً باسمٍ من هذه الأسماء الأربعة التي وصفنا محيصاً[٢] فألْفَوها ممتنعةً عن أسماء القوى والاعراض، لعلوّها عن الأجزاء والأبعاض والنقصان والاضطرار. ثم لم يكن كلّ منها أيضاً يقوم مقام الجوهر الجامع لأقانيم أشتاتٍ[٣] فتستحق لذلك اسمَ الجوهر العام، لم يجدوا لها اسماً[٤] من الأسماء المذكورة أولى بها وأشكلَ[٥] بكمالها من الأقانيم، فسمّوها لهذه العلة أقانيم. [77 b]

وذلك بعد أن وجدوا من قول المسيح إلى ذلك مساغاً[٦] في تسميته إياها أقانيم، حيث يقول: «إذ[٧] كان للاب الحياة في قنومه، كذلك افاض الحياةَ إلى الابن فكان حياً في قنومه». فاذ أوجب للأب قنوماً وللإبن قنوماً، فقد أوجب للروح أيضاً لا محالة قنوماً. والعجب لعقولٍ استنكفوا له من أن يسمّوه جوهراً يعمّ[٨] أقانيمَ خواصاً كما[٩] رأوا، ولم يستنكفوا من وصفهم إياه بواحديّ المعنى في كل أنحائه، إذ رأوا أدنى[١٠] حالٍ ما كان واحديَّ المعنى، كالقوى البسيطة والاعراض المضطرة التي لا تستغني بأنفسها عن الأجسام المختلفة لها ولا يوجد فيها معاني سوى وحدانية معانيها كالحرارة المعروفة بوحدانية الحرارة وكالرطوبة المخصوصة بوحدانية الرطوبة وكالبياض المتوحد بوحدانية البياض // وكالسواد المنفرد بوحدانية السواد. [80 a]

---

١. «الذي» هنا بمعنى «ما»، كعادة عمار البصري.

٢. أي «فلم يجدوا محيصاً عن أن...»

٣. أي «لاقانيم شتى».

٤. «اسم».

٥. أي خير معبر عن شكل كمالها.

٦. أي مسوغاً.

٧. «ان» في النسخة.

٨. «نعم» في النسخة.

٩. «لما» في النسخة.

١٠. «ادنا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فلعمري لئن كان وصفنا إياه بالتوحيد والتثليث زوراً وباطلاً لأن بعض خلائقه موجود كذلك، فان وصفهم بالوحداني المعنى، إذ كانت القوى المضطرة والاعراض الدنيّة موجودة كذلك، زورٌ وباطل[١]. وان كان جميع القولين يقصران عن حقيقة كنْه ما هو عليه في عظمة ذاته وجلال[٢] ماهيته، فلقد لعمري آثرناه بأفضل ما يوجد السبيل إليه من الأسماء والصفات دونهم[٣]. بل الحق فيما وضعنا، إذ عزونا الذي به عزونا[٤]، والزور فيما وصفوا إذ جهلوا ما[٥] قالوا ولم يعقلوا فساد ما نعتوا[٦].

المسألة الخامسة

فان قال: فلمَ سمّيتم هذه الأقانيم الثلثة التي وضعتم أباً وابناً[٧] وروح قدس؟

قلنا: سمّاها بذلك من كان أولى بتسميتها ومعرفتها بما هي عليه من حقٍّ ماهيتها، أعني الرسلَ المختارين الموكّلين باعلان سرائر ذات رب العالمين. وهم الذين رسموها كذلك في انجيله المجيد حكايةً لقول[٨] مرسلهم إلى الأمم والشعوب إذ قال: «انطلقوا فاجتذبوا جميع الشعوب وأعمدوهم بسم الاب والابن والروح القدس»[٩]. وكان، إذ وصفها متّى السعيد كاتبُ الجزء[١٠] الأول فيما تولّى من كتابه، ما كتب منه بهذه النعوت، مبهماً[١١]، وختمَ كملاه بهذه المعاني

---

١. فان وصفهم هو... زور وباطل. وفي النسخة «زوراً وباطلاً».

٢. في النسخة «وجلالة».

٣. أي «آثرناه دونهم».

٤. أي: إذ عزونا إليه ما عزونا.

٥. في النسخة «أو»، وهي «ما» في الأصل دون شك.

٦. في النسخة «نقتوا».

٧. «اب وابن».

٨. أي حكاية، أو رواية عن...

٩. انجيل متى ٢٨: ١٩.

١٠. «الجزو».

١١. جملة ملأى اعتراضيات؛ يجب القراءة كذا: وكان... ما كتب منه... مبهماً في سياق انجيله، ومجملاً في ختام كلامه: إشارة إلى خاتمة انجيل متى حيث ترد الآية: وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مجملاً، رأى الفائز المغبوط يوحنا، كاتب الجزء[١] الرابع، بالحكمة السمائية التي أُوتيها، أن لا يدع الناس، ممّا ذكره البشير الأول من إبهام ذكرها، في عماءٍ حذراً // من أن يظن أحدٌ ممّ، [80 b] ورد عليه جملةُ قول البشير، إذ ذكر أباً وابناً، أنه عنيَ بهما أبوةً وبنوةً كالأبوة والبنوة الجارية بين الحيوان في توالدها وتناسلها: كالمُسارع إلى إيضاح ما تخوّف من إمهاله غائلةَ الفساد نظراً واشفاقاً، فجعل مفتاح كلامه تفسير ماهية الابن الذي ختم بذكره البشيرُ الأول كلامَه آنفاً. فقال: «في البدي كان الكلمة والكلمة كان عند الله والله هو الكلمة ولم يزل ذلك موجوداً عند الله. وكل شيء به كان وبغيره ودونه لم يكن شيء[٢] من الخلائق».

ثم ساق كلامَه إلى أن سمّى[٣] الكلمةَ ابناً وقال بتصريح وبيان: «ان الله لم يره أحد قط، ابنه هو الذي أخبر بذلك»، وإن الله الكلمة الذي هو الابن، وكان مع لباس مسيحاً، هو الذي خاطب الناس وأخبرهم بعلوّ ذات الله عن درك الأبصار. ثم شهد الابن من فيه بانها هي الروح والحياة الأزلية، إذ قال لرسله إن روح القدس بانها هي الروح روح الحق الذي هو فائض من ذات الاب. هو يلهمكم ويذكّركم كلّ شيء قلت لكم، وهو يسوسكم في جميع سبل الحق لأنه يكون معكم وتحلّ قوته فيكم، ولا يراه أهل العالم لأنهم لا يستطيعون معاينته[٤].

فهذا ونحوه ما يخبر انجيلهم في التجميل والتفصيل في تسميتهم الأزليَ الحيَ الناطق أباً، وكلمته القديمة وحياته الأزلية روحاً.

وليت شعري لمَ استفظعَ هؤلاء المخالفون[٥] تسميةَ الكتاب هذه المعاني أباً وابناً وروحَ قدس؟ أمن أجل انهم لا يعقلون[٦] اباً وابناً إلا بمباضعة وجماع ثم

---

١. «الجزو».

٢. «شيئاً» في النسخة.

٣. «سمى» في النسخة.

٤. انجيل يوحنا ١٤: ي١٧، ٢٦.

٥. «المخالفين» في النسخة.

٦. «يعقلوا» في النسخة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[81 a] تباينٍ في الأوقات والحالات، كما عقلوا من // من اباء المخلوقين وأبنائهم وتباين أشخاصهم واختلاف الأوقات والأزمان بينهم. فان كان ذلك كذلك قلنا لهم: انكروا وصفَكم وتسميتَكم اياه رؤوفاً رحيماً، فلا نحسبكم تعقلون رحمةً ورافة إلا عرضا[١] لما يضمر القلب ويرمض[٢] الفؤاد؛ وانكِروا وصفَكم اياه جباراً قهاراً، فانكم لم تعقلوا جباراً قهّاراً الا ظلوماً غشوماً مذموماً؛ وأنكروا وصفَكم إياه عظيماً جليلاً كبيراً، فانكم لن تعقلوا عظيماً كبيراً الا جسيماً كثيفاً غليظاً؟ واستنكفوا له من وصفكم إياه غضوباً سخوطاً. فانكم لا تعقلون غضوباً إلا متغيّراً متنقلاً من حال إلى حال.

أوَ يراجعون عقولهم فيعلمون[٣] أنه، وان كانت صفات المخلوقين ربّما وافقت صفات الخالق في بعض أسمائها، فانه لا اتفاق بينها في ذات معانيها أصلاً. كذلك أيضاً، وان كانت صفات الحيوان المخلوقة وافقت خواصَ جوهر الخالق جلّ وتعالى في اسم الأبوة والبنوة، فانه لا اتفاق بينهم في ذات المعاني بنحوٍ من أنحاء الأمور جميعاً[٤]. بل لو قسنا أبعدَ ما يكون يمكن العقول دركه، من التضادد والخلاف بين شيئين مختلفين متضادين، إلى الخلاف بين أبوّة الأزليّ وبنوته وبين المخلوقين وبنوّتهم، لكان الخلاف بين الأبوَّتين والبنوّتَين أعظم وأبعد من أبعد ما يكون الخلاف بين الشيئين المتضادين المختلفين، بأضعافٍ وأضعاف لا يُحصى عددها.

فكيف يجوز لذي عقل أن يتوهم على كتاب الله، اذ يذكر اسمَ الاب والابن، أنه عني
[81 b] بهما أبوةً وبنوةً وبنوةً كالأبوة والبنوة المعروفة من ابوةٍ من المخلوقين وبنوتهم. بل هذه معاني لم تزل موجودةً ثابتةً في جوهر الخالق جل ثناؤه دون // ما سواه من جميع الأشياء كلها. غير انها لم تُذكر لأهل الدهور الماضية

---

١. «عرض».

٢. كذا.

٣. «فيعلموا».

٤. «جمعاً».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في الكتب السالفة بتصريح وبيان على ما ذُكرت في الإنجيل وما بعده من كتب الله حديثاً. وذلك لعلْم الحكيم جلّ ثناؤه بضعف عقول الأولين عن عرفهم ما ماهيتها ونفور عقولهم، إذ لو كُلّفوا الايمان والاقرار بوحدانية اله[١] ــ مع أنّا نخبرك انه لم يخصّص[٢] في سالف دهور الأعقاب الماضية قبل الإنجيل علةً[٣] احتيج لها إلى إعلان ذكرها، حتى ظهر الابن متجسداً فاحتاج أهل عصره حينئذ إلى أن يخاطبهم ويخبرهم بعظيم نعمته عليهم في تجسده بشراً[٤] من جوهرهم، ويعلن لذلك بنوّتَه لأبيه وأبوّةَ أبيه له وأزليةَ الروح الفائضة من ذات أبيه لهم.

فلولا ان الابن جلّ ثناؤه سمّى[٥] هذه الأقانيم الثلثة أباً وابنا وروح قدس ورُسمتْ عن أمره كذلك فيما ورث الأعقابُ من إنجيله المجيد ــ، لم يجترِ الناس على أن يسموها[٦] بذلك بآراء أنفسهم. كما أنك لو فحصت عن الأسماء والصفات التي سمى[٥] ووصف بها العبادُ ربَّهم، لوجدتها إنما أنتجتْ واستوحيت[٧] جميعها من كتب الله المنزلة التي فيها أخبرهم بما اختار من أسمائه وصفاته لنفسه، لا أن الناس اخترعوها له من تلقاء أنفسهم. وكتسمية نفسه في التوراة وغيرها من كتبه وحنان واهيا وشراهيا واسا وماريا وايل ويَهْ وصباووت[٨] وأشباه ذلك من أسمائه التي افضى ذكرَها إلى عباده في أوقات مختلفة: كالذي[٩] قال لموسى «ان سألك فرعون وقال لك ماذا اسمه، فقل له اهيا شراهيا»[١٠]. وكما قال موسى أيضاً،

---

١. «الاهاً» في النسخة، أو «بوحدانيته الهاً»، الجملة ناقصة، أو ان خبر إذ هو بعيد أدناه: «لم يجتر الناس...».

٢. يخصَّص أو تخصَّص.

٣. علةً أو علّةٌ.

٤. «بشر».

٥. «سما».

٦. «يسمونها».

٧. أو: واستوجبت.

٨. إهيه أشر إهيه، معناها: أنا هو الذي هو؛ ايل، صيغة من اسم الله؛ يَهْ هي المقطع الأول من اسم يهوه. ولكننا لم نحسن قراءة الكلمات الأخرى.

٩. أي: كما.

١٠. ومعناها «انا هو الذي هو».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[82 a] إذ ناداه من الفقر // قايلاً: يا موسى: «أنا الرب الذي استعلنتُ[١] لابراهيم واسحق ويعقوب باسم ال شدّاي[٢] الله، واسم الرب لم أطلعكم»[٣].

وهذا قد تراه يبين لك في قوله هذا إنه هو المفضي إلى أوليائه وأنبيائه بما[٤] اختار من أسمائه المكنونة لنفسه. وهو المنفرد وحده باختيار ما شاء منها لذاته دون خلقه، ومُطلعهم عليها في أمان مختلفة اسمٍ بعد اسمٍ، بإرادته ومشيئته، لا ان العباد اجتروا[٥] على أن يختاروا له الأسماءَ ويضيفوها من تلقاء أنفسهم له، وان كان قد أهمل العبادَ بفضله ونعمته أن يتسمّوا بعضٌ ببعض ما اختار لنفسه[٦] من عاليات أسمائهم[٧].

فانه سمى نفسه ملكاً، وسُمّي فرعون وبختنصر ملوكاً وداود وسليمان ملوكا. سمّى نفسه الهاً، وسُمي موسى عبدُه الها. سمى[٨] نفسه رباً، وسمى الناس بعضهم بعضاً أرباباً. سمّى[٨] نفسه جباراً، وسُمّي شمشوم جباراً. سمى نفسه حكيماً، وسُمي سليمن حكيماً. مع أسماء أُخَر كثيرة[٩] لا يُحصى عددها. فليست، وإن وافقها في الأسماء، انها موافقة له في المعاني أيضاً كذلك.

فلا يذعرنّك أيها السامع إذا سمعتَ كتبَه تسمي هذه المعاني أباً وابناً وروح قدس، فتظن أنها كالأبوة والبنوة اللتين بين المخلوقين من قبل تناسلهم. بل كان ان له الملك والسلطان والإلهية والربوبية والجبروت والحكمة، على ما سمّى نفسه ووصف بها نفسه بالحقيقة، الواجبة، لا لهم[١٠]، كذلك أيضاً له الأبوة والبنوة

---

١. أي اعتلنت.

٢. ايل شداي أي الاله القوي، أو بالأحرى: إله الجبل.

٣. أي لم أطلعكم عليه. والآية من سفر.

٤. في النسخة «ما».

٥. أي اجترأوا.

٦. أي ترك العباد يسمون بعضهم بعضاً بالأسماء التي اختاروها هو لنفسه.

٧. «أسماوهم».

٨. «سما».

٩. كثير.

١٠. أي: كما أن له... الملك والسلطان والأبوة والبنوة، لا لهم بحقيقة المعنى، كذلك له الأبوة والبنوة وروح القدس لا لهم على الحقيقة الواجبة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والروح القدس الأزلية، كما سمّى ووصف بها خواص جوهره على الحقيقة الواجبة، لا لهم[١].

المسألة السادسة

// فان قال قائل: فاذ لم يمكنكم اثبات هذه المعاني بالقياس المعقول حتى ادعيتموها من [82 b] قبل الكتاب، فلستم من دعواكم إياها على يقين، بل أنتم فيما ادعيتم منها شاكين غير موقنين، ولعلّ الحق على خلاف ما تحسبون.

قلنا: ما عجزت العقول عن دركه من دون الكتاب فلا ننكره، بل قد نقرّ بأن العقول لم تتنبّه من تلقائها على أن هذه المعاني أباً وابناً وروح قدس، دون قول الكتاب[٢]. كما لم تتنبّه أيضاً على شيء من أسماء الخالق وصفاته الاّ من قول الكتاب. ولم تكن لتتقلّد[٣] كتاباً لا يستاهل القبول، بل لمَا استاهل القبولَ بكماله من الأمم القابلة التقلّد له والشعوب المنتقلة[٤] إلى دينه، للآيات التي ظهرت على أيدي الداعين[٥] له؛ فاضطرتهم الآيات دون البحث عمّا عجزت عقولهم عن درك معرفته لذوي العقول إلى يومنا هذا، في الامتناع من التقليد والتسليم له ممّا يخبر من اسم الاب والابن والروح القدس، وإن قصرّت عن كيفيّتها عقولهم، لمَا تشاهد من أعمال تلك الآيات وآثار تلك الاعلام في اتفاق الآراء المختلفة والشعوب المتشتتة على قبوله والثبات على دينه، وكالذي أوضحنا لك في المقالة المتقدمة.

---

١. راجع الحاشية السابقة.

٢. أي لولا قول الكتاب لما تنبهت العقول.

٣. «لتقليد».

٤. «المتنقلة».

٥. «الداعيين».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة السابعة

فان قال: فهل تزعمون ان الاب اله كامل[١] والابن اله كامل[١] والروح القدس اله كامل[١]؟ فان قلتم نعم، لزمكم أن تسمّوها في الحياة والنطق ثلثةَ الهة كاملة. وان قلتم كلا، ليس كل واحد منها الهاً كاملاً، دون أن جميعها اله واحد كامل، قصّرتم بها وصيرتموها أجزاء الهٍ واحد كامل. ولا محيص لكم من // من اختيار احد المقالتين اضطراراً. [83 a]

قلنا: ان اسم الآلهة يتصرّف عندنا إلى معنيين، احدهما جوهري والآخر عرضي. وكلاهما مقولان[٢] على الخالق جلّ ثناؤه. اما الجوهري فبأنه له خاصة دون غيره، وهو الموصوف وحده به دون ما سواه من جميع الأشياء. وذلك أن معنى لاهوته هو معنى جوهره ومعنى جوهره هو معنى لاهوته، فلا فرق بينهما ولا فصل في جهة من الجهات كلها ولا شركة لشيء من الجواهر المخلوقة معه في اسم الإله الجوهري أصلاً.

وأما العرضيّ فقد يشاركه فيه غيره وهو الموصوف، كما اشتق له اسم الإلهية من قبل العبادة والطاعة لما سمّى ووصف نفسه الهاً[٣] لأوليائه واتقيائه[٤]، أي إذ عبده أولياؤه وأطاعه اتقياؤه سمّى نفسه الههم. من ذلك قوله على لسان نبيّه داود: «ان لم توفوا[٥] عهدي وتقيموا سنّتي لم أكن لكم إلهاً ولم تكونوا أنتم لي شعباً». وكما سُمّيت الأصنام الهةً لأنها عُبدت، وقال داود: «ربنا أعظم من جميع الالهة»، وفي موضع آخر: «انّا لم ننسَ اسم ربنا ولا بسطنا أيدينا إلى اله آخر».

فهذه أقاويل تدل على آلهةٍ عرضية أي مشتقة من العبادة والسجدة، لا الهة

---

١. «الاها كاملا».

٢. «مقولين».

٣. «اله».

٤. «لاولياه واتقياه».

٥. في النسخة شهواً: ان وفيتم...

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

جوهرية أزلية. لأنه غير جائز أن[١] يعني الحكيم بقوله: أكون لكم ولا أكون لغيركم، سيّما هو إله جوهري أزلي. كما لا يجوز أن يقول: أكون لكم حياً ولا أكون لغيركم حياً، إذ الحياة له جوهرية أزلية. كذلك لم يعن داود بقوله «طوبى للشعب الذي الرب الهه» اللاهوتَ الأزلية، لأن اللاهوت الأزلية لم تزل معانيه[٢] جوهرية قبل خلق الشعوب ولا تزول عما لم يزل عليها منها أبداً، // عبدته الشعوب أم لم تعبده. [83 b]

فاذ قد أتينا على تفسير المعنيين فليُفهمَ عنا قولنا أولا في الجوهرية من إلهية الاب والابن والروح القدس، جلّت وتعالت. فقد نقول ان الاب اله كامل اعني انه جوهر أزلي خاص كامل. والابن اله كامل أعني انه جوهر أزلي خاص كامل. ثم جميعها في الجملة اله واحد كامل، أي جوهر واحد أزلي عام شامل. ولا يلزمنا، إذا قلنا على هذا المعنى إن كلّ واحد منها في خاصيته اله كامل، أن نقول انها في الجملة ثلثة الهة كاملة. كما لا يلزمنا، إذ لنا ان كل واحد منها في خاصيته جوهر كامل، ان نقول انها في الجملة ثلثة جواهر كاملة التي عمّتها لاهوت واحدة عامة شاملة، أي جوهر واحد أزلي عام شامل.

أوَ لا ترى ان ابرهيم واسحق ويعقوب، إذ كل واحدٍ منهم في خاصته جوهر كامل وليس هم في الجملة ثلثة جواهر كاملة، الذي قد عمّ ثلاثَهم جوهرٌ واحد عام شامل. بل إنما كان يلزمنا أن نسمي الاب والابن والروح القدس ثلثة الهة كاملة، لو كانت مختلفة في الجوهر، فتصير في الجملة ثلثة جواهر كاملة تكون على حسب ذلك ثلثة الهة معدودة كاملة. كما أن طيراً وأسداً وحماراً، إذ كل واحد منهم في جوهر ذاته كامل فاختلفت جواهرها على أنها لم تُحسب ثلاثُها في الجملة جوهراً واحداً كاملاً[٣]، بل ثلثة جواهر معدودة كاملة. كذلك

---

١. «أي».

٢. أي معاني اللاهوت، والكلمة مستعملة هنا مذكراً ومؤنثاً في الجملة نفسها.

٣. «جوهر واحد كامل» في النسخة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إذ كل واحد من الخواص الأزلية مستحقة أن تُسمّى[١] جوهراً كاملاً لعظمها وعلوها عن أسماء القوى والاعراض المضطرة والأجزاء والابعاض، ثم لم يكن بينها في الجوهر تباين ولا اختلاف، لم تصر، إذا هي جُملت[٢]، ثلثة[٣] جواهر // معدودة كاملة، بل جوهراً واحداً عاماً [85 a] شاملاً[٤]. فكذلك[٥] إذ كان معنى جوهره معنى لاهوته ومعنى لاهوته معنى جوهره، وكان كل واحد من خواصه الهاً كاملاً في خاصته، لم تصر[٦] في الجملة، إذ عمّتها لاهوتٌ واحدة شاملة، ثلثةَ الهة كاملة، بل الهاً واحداً عاماً شاملاً[٧].

المسألة الثامنة

فان قال: أو قولكم ليس كل واحد منها جوهراً كاملاً خاصاً[٨]، إنما تعنون به انه قنوم كامل تام، فاذ صيّرتموها في الجملة ثلثة أقانيم كاملة تامة لزمكم أن تصيّروها[٩] ثلثة الهة تامة كاملة.

قلنا: انما كان يلزمنا ذلك لو قلنا في البدي ان معنى لاهوته هو معنى اقانيمه ومعنى أقانيمه هو معنى لاهوته ومعنى جوهره. فاما إذ قد بدأنا فاخبرنا ان معنى لاهوته هو معنى جوهره، ثم كان كل واحد من هذه المعاني جوهراً كاملاً[١٠] في خاصته، وجب أن يجري اسم اللاهوت، عاماً كان ام خاصاً[١١] مع اسم الجوهر، عاماً كان أم خاصاً[١١]، إذ كان معنى هذا معنى هذا.

---

١. «تسما».
٢. في النسخة «حملت».
٣. في النص «بثلثة».
٤. في النص «جوهر واحد عام شامل».
٥. «فذلك».
٦. «يصير».
٧. «اله واحد عام شامل».
٨. «جوهر كامل خاص».
٩. «يصيرونها».
١٠. «جوهر كامل».
١١. «عام كان أم خاص».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فأما اسم القنوم فليس يجري ولا ينصرف مع اسم الجوهر الخاص في كل انحائه. بل قد نقول ان كل واحد من ابرهيم واسحق ويعقوب قنوم كامل، وكذلك في خاصته جوهر كامل. ثم نقول ان ثلثهم في الجملة ثلثة أقانيم كاملة. ولا يجوز لك أن تقول انهم في الجملة ثلثة جواهر كاملة، لأن الجوهر الشامل العام لا يدعك أن تضع اسم الجواهر المعدودة على الأقانيم المجمولة من الطبيعة الشاملة العامة. فهذا قد يدلك على أن معنى القنوم لا ينصرف مع معنى الجوهر الخاص في كل أنحائه. ثم لو كان // أيضاً معنى القنوم ينصرف في كل الوجوه مع معنى [84 b] الجوهر الخاص، اذن لَمَا كان، بين العلة التي من أجلها سُمّيتْ ذاتُ الأزلي جوهراً[1] وبين العلة التي من أجلها سُميت خواصُ جوهرِ أقانيمَ، من فرقٍ. بل الفرق بين العلّتين يدلك أيضاً على أنه ليس معنى هذا معنى هذا في الوجوه كلها. لأن العلة التي من أجلها سُميتْ تلك الذات جوهراً[1] لِمَا أراد به من ايجاب وجوده واثبات ماهيته، وليست العلة التي من أجلها سُميت خواصُ جوهره أقانيمَ، أراد به وجود ذاتيته وماهيته، بل لنفي النقص والضرورة عنها ولئلا تُحسب كالأجزاء والأبعاض والقوى والاعراض التي رُكّبتْ الجواهرُ المركَّبة المؤلفة منها.

فليس إذن قولنا ان الاب قنوم كامل والابن قنوم كامل وروح القدس قنوم كامل وثلثُها في الجملة ثلثةُ أقانيم كاملة، يوجب علينا، إذا قلنا ان كل واحد منها الهٌ كامل، ان نقول انها في الجملة ثلثة الهة كاملة. كما أنه لا يجب علينا، إذا قلنا ان كل واحد منها جوهر كامل، ان نقول انها في الجملة ثلثة جواهر كاملة، بل كل واحد منها في خاصته جوهر كامل، وهي في الجملة جوهر واحد كامل، ولا جملة الأقانيم الثلثة إلا ثلثة أقانيم، كما لا جملة للخواص الثلاث إلا ثلاث خواص. وذلك ان الأقانيم تختلف والخواص تختلف. ولذلك وجب أن يقال ثلثة أقانيم لثلاث[2] خواص، وليس بينها اختلاف في الجوهر. وكذا وجب أن يُسمى جوهر واحد.

---

١. «جوهر».

٢. «بثلاث»، أو «لثلاث»، أو «ثلاث» فقط. أول الكلمة غير مقروء.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ألا ترى ان ثلاث شعل من نار، كل شعلةٍ منها شبحٌ قائم بنفسه إذ كل واحد منها جوهر كامل في ذاته أي نار كاملة بعينها وطباعها، //[١] أن مِن بعدِ عددها، لم يكن لك محيص من أن [85 a] تقول ثلثة شعل وثلثة أشياء، ولكن، كما وضح، لا ثلثة نيران ولا ثلثة جواهر بل نار واحدة جوهر واحد. وكذلك إذا رأيت ثلاث قطرات من ماء، إذ كل قطرة منها شبح قائم بنفسه أي جوهر كامل في ذاته وطباعه. فإذا أردت أن تجمل عددَها لم يكن لك محيص من أن تقول ثلاث قطرات وثلثة أشباح والا يستقيم لك أن تقول ثلاث أمياه وثلاثة[٢] جواهر، بل ماء واحد جوهر واحد.

كذلك، إذ كان كل واحد من الاب والابن والروح القدس في خاصته جلّ وتعالى الهٌ كامل أي جوهر أزلي كامل وقنوم أزلي كامل، لم يكن ثلثُها في الجملة ثلثة الهة كاملة ولا ثلثة جواهر كاملة بل في الجملة ثلثة أقانيم كاملة وثلاث خواص كاملة.

وان كان بعض المتفلسفين قد سمّى أقانيمَ جوهرٍ واحد جواهرَ جزئية معدودة، فانما استجار ذلك لتجزؤها وتباين بعضها من بعض. فاذ كانت[٣] علة تسميتهم أقانيمَ جوهرٍ واحد جواهرَ جزئية[٤] معدودة التجزؤ[٥] والتباين، فليس فيه امكان أسماء[٦] الجواهر الجزئية[٥] المعدودة.

كذلك إذ كان جوهر الأزلي جلّ ثناؤه يتعالى عن التجزؤ[٥] والتباين، فلا امكان في أقانيمه لاسماء الجواهر الجزئية المعدودة. ولعلّ من يقول ان كل جوهر

---

١. يبدأ هنا الاضطراب في ترقيم المسائل، وقد جاء في أعلى هذه الصفحة، ولكن بخط مختلف «المسألة التاسعة»، وهذا غلط كما يشهد بذلك تتابع المعنى وكما تشهد مخطوطة الشرفة التي تلحق هذه الصفحة بالمسألة الثامنة.

٢. «ثلاث».

٣. «كان».

٤. «جزوية».

٥. «التجزى».

٦. أي «لاسماء».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لا يوجد فيه إمكان التجزؤ[١] والتباين، فلا امكان فيه وجود[٢] الأقانيم المعدودة، فنجيبه بأنّا أجرينا على هذه الخواص الأزلية أسماءَ الأقانيم المعروفة، لكمالها وعلوّها عن أسماء القوى والاعراض المضطرة، لا لأنها //[٣] أقانيم كالأقانيم المعروفة. كما انا إنما أجرينا اسم [85 b] الجوهر....[٤] الذات الأزلية إرادة إثبات أنيته، لا لأنه جوهر...[٥] ليس يلزمنا، إذا نحن سمّينا خواصه على هذا المعنى، أن نسمّيها ثلثة جواهر. وإذا لم نسمّها[٦] ثلثة جواهر لم يلزمنا أن نسمّيها ثلثة الهة بل ثلثة أقانيم جوهرٍ واحد كما هي ثلاث خواص إلهٍ واحد.

فهذا بيان ما أجرينا من استحقاق كل واحد من هذه الأقانيم اسمَ الإلهية الجوهرية بالقياس المعقول.

فاما شهادات الله في كتبه المنزلة بكمال الإلهية لكل واحد منها فأكثر من أن يُحصى عددها. فنكتفي من ذلك بما ذكرناه في أعلى[٧] كتابنا حين يسمي الاب نفسه فيها رباً والهاً ومعبوداً، وكذلك كلمته تُسمّى[٨] رباً والهاً وخالقاً ومعبوداً. وكذا تُسمى[٨] روحه رباً والهاً وخالقا ومعبوداً. ثم ننعتها[٩] في الجملة رباً واحداً والهاً واحداً وخالقاً واحداً ومعبوداً واحداً، لعلمك بذلك أن كل واحد منها في خاصته عيْن أزلي كامل وثلثها في الجملة متوحدة في لاهوت واحدة جوهر واحد شامل لأقانيم معدودة.

فاما إذا سئلنا عن ذلك من جهة الإلهية المشتقة من قبل العبادة...[١٠] وقيل لنا: أفلستم تزعمون ان الاب اله كامل أي معبود كامل، والابن اله كامل أي

---

١. «التجزى».

٢. أي «لوجود».

٣. الصفحة هذه في غير محلها من المخطوطة، راجعها مقابل الصفحة 76 A.

٤. كلمتان أو ثلاث ممحوة هنا، أما المعنى فمفترض هكذا: أجرينا اسم الجوهر العام على الذات...

٥. كلمتان ممحوتان.

٦. «نسميها».

٧. «اعلا».

٨. «تسما».

٩. أو «ينعتها»، أي الله في كتبه.

١٠. كلمة ممحوة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

معبود كامل والروح القدس اله كامل أي معبود كامل، فقد لزمكم أن تقولوا في الجملة أيضاً ثلثة الهة كاملة أي ثلثة معبودين كاملين.

نقول: انه إنما كان يلزمنا ذلك لو قلنا انه قد يجوز لنا أن نعبد الاب أحياناً دون الابن وروح القدس ولما...[١]

[المسألة التاسعة[٢]

فان قال فهل تزعمون ان الاب حي ناطق والابن حي ناطق والروح حي ناطق، يريد، ان قلنا: لا، قال: فكل واحد منها مايت (؟)، وان قلنا نعم، قال فلكل واحد منها حياة ونطق، قلتم انه لا حي بلا حياة وإذا كان كل واحد...[٣]

بصيرتان لأن الاذن ذات السمع والعين ماهية البصر. ولا يجوز أن يقال: الإنسان واذنه سميعان ولا الإنسان وعينه بصيران، بل هو سميع واحد بصير واحد. ولا يجوز أن تسمّى الاذن سميعة ولا العين بصيرة، الا أن يكون في الأصل واحداً هو سميع بصير يضاف السمع والبصر إليه.

فإذا كان الإنسان يوصف بانه حي ناطق سميع بصير، إذ هو حيّ بروحه ناطق بكلمته سميع باذنيه بصير بعينيه، وتُوصف روحه التي هي حياته بانها حية ناطقة، واذنه التي بها يسمع سميعة، وعينه التي بها يبصر باصرة، فلا ينكر وصف روح الخالق بانه حي ناطق بمعنى ان الروح عين الحياة الأزلية الناطقة بنطق الاب...[٤]

والجوهر مع خاصة الوجود له الوجود والحياة والنطق لا غير وجود الجوهر وحياته ونطقه. والوجود صفةٌ ذاتية وللموجود جزء معنوي. والحياة للجوهر صفة

---

١. ان ما يلي في المخطوطة لا يتصل بهذه المسألة. نفترض هنا نقصاً في المخطوطة الأصلية.

٢. هذه المسألة ناقصة في مخطوطة لندن وقد أخذناها عن مخطوطة الشرفة العربية، عدد ٤/ ٥ لأبي الصفي ابن العسال، وهي مختصر لما ورد في نص عمار البصري.

٣. ست سطور بيضاء.

٤. ست سطور بيضاء.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ذاتية وللموجود صفةٌ لجوهره. والنطق صفة ذاتية للجوهر وصفة لجوهر الموجود. وكذلك الحي، الذي هو الجوهر مع خاصة الوجود، له الوجود والحياة والنطق لا غير وجود الجوهر وحياته ونطقه. والحياة للجوهر صفة ذاتية وللحياة جزء معنوي. والوجود والحياة صفتان لجوهر الناطق.

وبالجملة فالجوهر الإلهي موصوف بالخواص الثلاث: الوجود والحياة والنطق...[١]

يكون للقادر قدرة أخرى غير قدرة الاله...[٢]، إرادة الاله. كذلك يصح أن يقال الجوهر الالاهي موجود حي ناطق والناطق موجود حي. ولا يلزم أن يكون للحي حياة أخرى غير حياة الجوهر، ولا للنطق نطق آخر غير نطق الجوهر.

ومن أراد الفحص في هذا وما يجري مجراه فعلية بمختصر جواب يحيى عدي لأبي عيسى الورّاق[٣].

---

١. ست سطور بيضاء.

٢. ثلاث كلمات ناقصة، وتفترض انها «ولا إرادة غير».

٣. هذه الجملة هي من ابن العسال لا من عمار البصري الذي عاش قبل يحيى بن عدي. بهذه الجملة تنتهي المقالة الثالثة حسب ابن العسال.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[المقالة الرابعة:

في سبب تجسد الكلمة وما يتبعه][1]

المسألة الأولى[2]

[86 a] //[3] واقتران الجوهرين. فإذا ما خصصنا القنومين بثباتهما فهما هما ذاتيان ابداهما ما هما[4] عليه من اختلاف جوهريتهما. لأن الاتحاد[5] الذي كان بينهما لم يكن اتحاداً جوهرياً نُقل واحدٌ منهما عن ذات جوهره المميز به من جوهر صاحبه فصيّرهما جميعاً جوهراً واحداً جاذباً غير اللذين[6] كانا. بل اتحدا[5] في جهة البنوة والنسبة إلى الاب الموصوف بذات الأبوة. إذ هما ثابتان على اثنية[7] طبائعهما ووحدانية

---

١. هذا العنوان مأخوذ عن مختصر الصفي ابن العسال في مخطوطة الشرفة، وهو ناقص في مخطوطة لندن؛ ولكن هذه تشير في بدء «كتَاب المسَائِل وَالأجوبَة»، صفحة ٤٤ اعلاه، ان الجزء الأول من الكتاب هو بثلاث مقالات؛ ولكن الأصح هو ما ورد في كتاب «مصباح الظلمة» لأبي البركات الذي يقسم كتاب «المسائل والأجوبة» إلى أربعة مقالات ويحسب المقالة الرابعة ٥١ مسألة، وهذا ما اعتمدناه.

٢. المسائل ناقصة في أولها في مخطوطة لندن، وقد بدلت أرقامها يد خطاط مستحدث. لقد استعدنا ترقيمها القديم وافترضنا أن الصفحة التالية هي ما سلم من المقالة الأولى، وافترضنا أيضاً أن المسألة الثانية تبتدئ عند السؤال: «فان قال...»، ولو لم يرد ذلك في النسخة، ورقة ٨٦ يميناً. ومواضيع هذه المقالة الرابعة أو الجزء الثاني هي في التجسد والاتحاد والموت والبعث؛ والخط مختلف عما سبق، فالريشة أرق وبعض حروف الكتابة غير السابق واللاحق من المخطوطة؛ ولكن الخطاط هو نفسه على ما نظن.

٣. كلمة أو كلمتان مطموستان. وفي أعلى الصفحة زيد بالخط المستحدث غلطاً: «المسألة العاشرة»، والخط مختلف عما سبق.

٤. قراءة غير مكفولة تماماً.

٥. كل مرة تعرض كلمة اتحاد أو مشتقاتها يكتبها الناسخ مع الياء: ايتحاد، ايتحدا...

٦. «الدين».

٧. «التنية».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ثبوتهما بلا اختلاط بلا اختلاط من جوهريهما ولا افتراق من قنوميهما. ولا ان الواحد القادر[١] لهما صار ثالثاً معهما، إذ كانت وحدانيته[٢] انما صارت بائتلافهما.

المسألة الثانية[٣]

فان قال: فاخبرونا عن هذا المسيح الذي هو[٤] في مسيحيّته معنا واحد. أقديم هو أم محدث؟ فان زعمتم انه قديم فقط أبطلتم بشريّته المحدثة المخلوقة التي زعمتم انها إحدى طبيعتيه، ثم أضفتم ما عرضَ له من أنواع الاعراض إلى ما ما لم يزل خاصةً، لا إلى شيء مخلوق محدث كما ذكرتم. وان زعمتم انه قديم وحديث جميعاً، أبطلتم وحدانيّة المعنى الواحد الذي وصفتموه ورجعتم إلى القول الذي انكرتموه، إذ زعمتم انه محال أن يُقال للواحد هما وللاثنين هو، مع ما تصفون انه قديم وحديث أي جوهران قديم وحديث.

قلنا: بل المسيح من جهة مسيحيته حادث حدث بعد ان لم يكن مسيحاً. نعني بذلك ان الكلمة الأزلية والإنسان المحدث المخلوق صارا حديثاً مسيحاً واحداً، إذ لم تُحَدّ وحدانيةُ معنى المسيح الواحد إلا باجتماع الجوهرين واتحادهما[٥]. فاما الأزلي من جوهرَي المسيح وان كان لم يزل // فانه[٦] لم يكن في قدم أزليته، قبل الاجتماع، مسيحاً. بل لمّا حُبل في الإنسان حديثا نما[٧] [86 b] فيه بتجسده واخذه معه حديثاً، صار الأزلي[٨] والبشري حديثاً مسيحاً واحداً.

ولذلك وجب أن يقال ان المسيح في معنى مسيحيته حادث. وان القديم من جوهرَيه لم يزل قبل الاجتماع. كما أن ناراً قديمة وفحمة حديثة يصيران حديثاً

---

١. قراءة غير مضمونة: «العابر» في النسخة.

٢. في النص «وحدانية».

٣. نعتقد ان هنا يده «المسألة الثانية» ولو لم يرد هكذا في النص.

٤. أغلب الأحيان يكتب الناسخ «هوا».

٥. كل مرة تعرض كل اتحاد أو مشتقاتها يكتبها الناسخ مع الياء: ايتحادا، ايتحدا...

٦. في النسخة «واله».

٧. «نما»، تقديراً. وفي النسخة «محا»؛ أو «نحا».

٨. «ازلي»، قد يكون فهمنا للجملة على هذا التقطيع غير صحيح.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

جمرةً واحدة. وكما أن ناراً قديمة وفتيلة محدثة يصيران سراجاً واحداً. ولم تكن النار المتقدمة قبل ائتلافها مع الفحمة والفتيلة جمرةً[١] ولا سراجاً واحداً قبل ائتلافها مع الفحمة والفتيلة، جمرةً ولا سراجاً ولا داخلةً في معنى السراج والجمرة رأساً.

كذلك لم يكن الجوهر الأزلي، في قدوم[٢] أزليته قبل أن يتجسد بالبشري المخلوق ويوحّده معه، مسيحياً ولا داخلاً في معنى المسيح أصلاً.

المسألة الثالثة[٣]

فان قال: وهل كان الجوهران متّحدَينِ[٤]؟ فان زعتم انهما قد كانا موجودَين ولا متحدَين[٦]، أي لا مسيح، أوجبتم أمرَ السؤال: انما حبلت[٥] بإنسان مرسل كسائر الناس لا ابن الله الذي زعتم انه كان مسيحاً باتحاد القنومين. لأن أول وجود المخلوق إنما كان في البطن بالحبل. وان قلتم بل لم يوجدا قط الاّ متحدين[٦]، قيل لكم: فما بالكم تُجرون اسم الاثنية[٦] على المجتمع الواحد في جهة من الجهات، ولم يكن[٧] طرفة عين قط الا مسيحاً واحداً.

الجواب قلنا: قد كان أحد الجوهرين لم يزل موجوداً كما أخبرنا، ولم يكن على انفراده قبل وجود المخلوق مسيحاً[٨] // لكنه لمّا جُبل[٩] المخلوق في بطن البتول خلقاً سوياً[١٠]، كان هنالك اتحاد[١١] الطبعين والحبل بالمسيح ابن الله جميعاً معاً. [87 a]

---

١. أي لا جمرة ولا سراجاً.

٢. هكذا، أي «في قدم».

٣. وفي الترقيم الحديث «المسألة الحادية عشر»

٤. في النسخة «موتحدين».

٥. أي العذراء.

٦. أو «الاثنينية».

٧. «يكون».

٨. «مسيحاً» في الهامش، أي ان الجوهر الأزلي لم يكن قبل اتحاده بالبشري المخلوق يدعى مسيحاً.

٩. «لما جبل».

١٠. هنا كلمتان: «خلقنا شياً» لا سبيل إلى إدراك مفهومهما في سياق الحديث؛ لعلها «خلقاً سوياً».

١١. في النسخة: «ايتحد». وتقطيع الجملة حسب ما صنعنا هو تقريبي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وأما اجراؤنا اسم الاثنيّة[١] عليهما، فليس من الجهة التي فيها اتحدا[٢] لأنهما اتحدا في معنى المسيحية الواحدة وجهة البنوة الواحدة، إلى أن[٣] صار، لاجتماعهما وائتلافهما بلا انتقال عن ذاتيهما، مسيحاً واحداً وابناً واحداً. بل إنما أجرينا اسم الاثنية[٤] مع الاثنين اللذين[٥] فيهما تباينا ولم يحولا عنهما إلى غيرهما، يعني القنومين الثابتين على ما بينهما.

وإنما يدعونا إلى اجراء ذكر الطباعين والقنومين في المسيح الواحد ليعلم السامعون[٦] أنّا لم نعنِ هذا الاتحاد[٧] الذي بين الجوهرين والقنومين اتحاداً[٧] جوهرياً وقنومياً، أي جميع الجوهرين حالا عن جوهريهما إلى هو ببشرية أخرى سواهما، لو جميع القنومين الا قنوميهما إلى قنومية أخرى سواها، بل جميع القنومين الا بالاتحاد[٧] الذي يحلّ ولم يزل الطباعين[٨] ذاتيهما إلى جهةٍ مسيحيةٍ واحدة وربوبية واحدة كما أخبرنا.

المسألة الرابعة[٩]

فان قال: أخبرنا عن هذا المسيح الذي صار له جميع الجوهرين والقنومين، ما هو، إذ ليس هو جوهر ولا قنوم. أتزعمون انه عرض غير قائم بنفسه وذاته دون جوهر أو قنوم. وان زعمتم ذلك فقد أوجبتم أن تنفوه[١٠] عن جوهر الاثنين.

---

١. في النسخة «الانبيا»، وهي دون شك «الاثنية» استناداً إلى ما ورد أدناه.

٢. «ايتحدا».

٣. في النسخة «انما».

٤. «الابنية» في النسخة.

٥. «السنين الذين».

٦. «السامعين».

٧. «الايتحاد»، «ايتحاداً»، «بالايتحاد».

٨. هكذا، وقد يكون الأصل: «ولم يزل الطباعان على ذاتيهما»؛ الجملة مضطربة جداً بسبب الناسخ الذي أسقط دون شك بعض ما فيها إما لعدم فهمه وإما بمحاولة منه لتعديل محتواها النسطوري. والمعنى العام ظاهر برغم الاضطراب، وهو من العقيدة النسطورية الصرف.

٩. «المسألة الثانية عشر» في الترقيم المتأخر.

١٠. «تبقوه» في النص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أو تزعمون ان ذلك العرض وُلد ونشأ وتربّى[١] وأكل وشرب ومات وصلب ثم انتفر[٢] حياً وصعد إلى السماء.

[87 b] الجواب قلنا: ان من الأسماء أسماء وضعت على جواهر // مفردة، وذلك كاسم الإنسان الكلي على جوهر الإنسان الكلي خاصةً. ومنها أسماء وُضعت على أقانيم مفردة وذلك كاسم ادم على قنوم ادم خاصةً. ومنها أسماء وُضعت على أشياء تنتظم مزوّجاتها[٣] وأقانيم مختلفة، وذلك كاسم العِقْد الواحد الموضوع على جملة جواهر منظومة مؤلفة من لؤلؤ وياقوت وغير ذلك، وكاسم الجمرة الواحدة الموضوع على فحم ونار مجتمعَين مؤتلفَين، وما أشبه ذلك من أشياء مؤلفة من جواهر مختلفة.

قلنا: نعني بقولنا المسيح جوهراً مفرداً ولا قنوماً مفرداً ولا أيضاً عرضاً غير قائم بنفسه، كما ظن بنا مخالفونا، بل نقول كما قلنا ان معنى اسم المسيح الواحد ينتظم من جوهرين أي قنومين، اله وإنسان، باتحادٍ[٤] وائتلافٍ، كما ينتظم معنى العقد الواحد جواهرَ مختلفة من لؤلؤ وياقوت وغير ذلك بتأليف النظم. وكما ينتظم معنى اسم الجمرة الواحدة فحماً وناراً بائتلاف واحد. فلا العقد الواحد جوهر ولا قنوم ولا عرض[٥] في جوهر أو قنوم. بل كل واحد من العقد والجمرة معنى موهوم معروف بجميع كل جوهرَيه بائتلاف واتحاد[٤] الجوهرين القائمين[٦] بخلاص ذاتيهما.

كذلك المسيح ابن الله معنى واحد يعمّ قنومين لاهوتياً وناسوتياً[٧] مقيمين على خلاص ذاتيهما، كذلك المسيح ابن الله[٨]، إذ هما باتحادهما[١] مسيح واحد وابن واحد ومعبود واحد.

---

١. «ترباء».

٢. «اسفر» في النص، ولعلها في الأصل «انبعث».

٣. في النص «مزوجاته».

٤. كلمة «اتحاد» مكتوبة دائماً «ايتحاد».

٥. جوهراً ولا قنوماً ولا عرضاً، هكذا في النص، يعني: «لا جوهراً ولا...»

٦. «الجوهران قائمان»، في النص.

٧. في النسخة: «لاهوتي وناسوتي».

٨. «المسيح ابن الله»، قراءة تقريبية، فالكلمات هنا تكاد تكون ممحوة تماماً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة الخامسة[١]

فان قال: فاذ لم يستحق القنومان اسم المسيح إلا بغيرهما، أي بالاتحاد[١] الذي بينهما، فليس هما إذاً صار بأنفسهما مسيحاً واحداً بل إنما صيّرهما مسيحاً واحداً عرضٌ هو غيرهما. وكفاكم بانكم وصفتم الأزلي بقبول الحدثان // والاعراض جهلاً وعمىً[٢]. [88 a]

الجواب قلنا: لعمري كما أن ناراً أو فحمة هناك لا يستحقان اسم الجمرة دون اجتماعهما وائتلافهما، كذلك لم يكن يجوز أن يقال على قنوم الاله وقنوم الإنسان على انفرادهما اسم المسيح دون اتفاقهما واتحادهما[٢] فيما فيه اتحدا[٢].

فاما ما عرض من هذا الاتحاد[٣] بحادث بينهما، فانه يضاف إلى البشري المجتذَب إلى هذه الفضائل، المنعَم عليه بهذه المواهب خاصةً، من غير أن يكون عرضَ الأزليَّ في ذلك عارضٌ ولا حدثَ به حادث. فانه إذ رَفعَ البشريَّ عن رتبة أهل جوهره من العبودية إلى رتبة الربوبية، لم يُزلْ هو عن رتبة الربوبية إلى رتبة العبودية. وإذ ساوى[٤] البشريَّ بنسه في قدرته وملكه وسلطانه، لم يساوِ نفسه مع البشريّ في ضعف طباع جوهره.

كذلك اتحد[٣] البشري في بنوته بالهية الأزلية المنسوبة إلى أبيه، لم يتحد هو معه في بنوته البشرية المضافة إلى امّه[٤].

أو لا ترى النار كيف تفيض إلى الفحمة نورها وصفاتها ولا تشترك مع الفحمة في كدورتها، وتجذبها[٥] إلى حرارتها وجمرتها ولا تشترك في سوادها وبرودتها.

كذلك الأزلي أنال البشريَّ فضائلَه جميعا واتحد به في كل ما له من البنوّة والدينونة، ولم يشترك مع البشري في شيء ممّا كان له أصلاً. وان كان بعضُ

---

١. المسألة الثالثة عشر في الترقيم المزاد.

٢. «وعماا».

٣. اتحد، اتحاد، مكتوبة «ايتحد»، «ايتحاد».

٤. أي ان الاقنوم البشري شارك الأزلي في بنوته الإلهية، فهو ابن الله، ولكن الأقنوم الإلهي لم يشارك البشري في بنوته البشرية، فلم يصح إذاً أن يقال انه ابن مريم. وهذه هي العقيدة النسطورية.

٥. في النص «وبحيدها».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[88 b] الامه المتقدمة قد أضاف إلى الأزلي كثيراً من // الأوصاف الحالة بالبشري عبارةً ومجازاً[١] للاتحاد[٢] الموصوف بينهما، فليس نوجبهما عند الحقائق عليه رأساً.

المسألة السادسة[٣]

فان قال: فهل كان ذلك البشريّ انساناً موجوداً في بطن البتول قبل أن يتجسّد جسداً ومسكناً. فان قلنا نعم، قال: وكيف أهمل وعطل بلا اتحاد حيناً، ولم يُخلَق بزعمكم الا ليتحدّ جسداً وهيكلا. وان قلنا: بل لم يكن قبل أن يتحدث[٤] موجوداً، قال: وكيف أمكن اتحادُ ما كان معدوماً؟

الجواب، قلنا: اعلمْ إن قولنا في المأخوذ من البتول، سوى[٥] قولنا في المتحد المخلوق المأخوذ منها، وقولنا في المأخوذ من البتول، سوى[٥] قولنا في المتحد المخلوق منها، وقولنا في المتحد المخلوق منها، سوى[٥] قولنا في المحبول به المولود منها. وذلك ان المأخوذ منها مادة هيولانية كالمادة الحادثة في[٦] الطباع الامهاتية من جنة[٧] أبدان أولادها. وأما المتحد المخلوق من المادة المأخوذة منها، فبَدَنٌ تام متنفّس بنفس علاّمة أُقيم منها بشراً كاملاً. واما المحبول به المولود منها، فمسيح ذو اقنومين الهي وانسي كانا باتحادهما مسيحاً واحداً. فإذا أتينا على ذكر ماهية[٨] المأخوذ والمتحد والمولود، فليُفهَم عنا الجواب في المأخوذ من البتول هل كان موجوداً في طبيعتها[٩] قبل أن يوجد أم لا. فنقول[١٠]: بل قد كانت المادة المأخوذة موجودة

---

١. «عباده ومحارا».
٢. «الاتحاد».
٣. «المسألة الرابعة عشر».
٤. بمعنى يصير حادثاً.
٥. «سوى» أي هو «غير».
٦. أو: من.
٧. «حنه» في النسخة: حبة؟ جثة؟ جنة؟
٨. «مايية».
٩. «طبيعها».
١٠. «فيقول».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ثابتة في طباع البتول الطاهرة قبل أن توجد يقيناً. وأما البدن النامي المصوَّر من المادة فكانت جبلته واتحاده[١] جميعاً معاً، بعد ان لم يكن على هيئة صورته موجوداً. // وكذلك كان وجود [89 a] المسيح المجتمع بكماله مع الاتخاذ والاتحاد جميعاً معاً. وهناك أيضاً حبلت البتول الطاهرة بالمسيح الموجود بقنوميه، ثم ولدته، لمّا استكملتْ شهور حبلها, مسيحاً كاملاً.

المسألة السابعة[٢]

فان قال: فأخبرونا عن هذا المتحد[٣] المخلوق من مريم. أهو ابن الله أم غير ابن الله. فان زعمتم انه ابن الله، جعلتم لله ابنَين لا محالة. وان زعمتم انه غير ابن الله، قيل لكم فهل ولدته مريم أم لا؟ فان قلتم نعم، أوْجبت أنها ولدته مع ابن الله غيرَ ابن الله أيضاً، والزمتم أنفُسُكم الأزليَّ خاصةَ[٤] الولاد منها حديثاً، لاقراركم في الأصل بأنها ولدت ابن الله، وانكاركم من بعد أن يكون المتحد منها ابن الله.

الجواب قلنا: انا قد اخبرناك في صدر كلامنا انه لا ابن الله الا المسيح، ولا وجود للمسيح الا باقتران القنومين. فمن الاضطرار إذن ان المتّحد[٣] من مريم ليس هو، على انفراده دون الآخر، ابن الله، ولا الآخر أيضاً، على انفراده من بعد اتحاده بالجسد دون الجسد الذي جعله هيكله، ابن الله. بل متى ذكرت ابن الله منذ وقت التجسد والحلول والاتحاد[٥] والحمل، فقد جمعت الأحَد المتحد في الاسم والمعنى جميعاً معاً. ولو استقام أن يُسمَّى احدهما على انفراده دون الآخر من بعد الاتحاد والتجسد ابن الله، لكان الأحد الذي لم يزل ابن الله أولى بأن يُدعى على انفراده ابن الله دون الآخر من بعد الاتحاد والتجسد ابن الله.

---

١. «فكان جبلته وايتاحده»

٢. في النص الحالي: المسألة السابعة ممحوة ومكتوب فوقها بخط مختلف «الخامسة عشر».

٣. «المتحد» هكذا. وقد تكون «المتخذ».

٤. أي أنتم أنفسكم ألزمتم الأزلي بخاصة الولادة حديثاً منها.

٥. في النص «والاتساد»، ولعلها «الانقياد».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ولكنه أبى[١] لكرمه وفضله أن يستبدّ أو يستأثر بذات البنوّة واسمها ونسبتها[٢]، بعد أن أخذ البشريَّ الذي تجسد به معه منها وانعم عليه بها دونه في جهة من الجهات كلها، أم يحصر[٣] نفسه بسرّ ممّا له[٤] من // من الربوبية والقدرة والسلطان والازار[٥] وجميع ما ملكَه، سوى ما [89 b] اخبرنا من أزلية الجوهر، دونه منذ ساعة حبَله، ومهما كان ثابتاً على أزليته، بل ساواه في جميع الأشياء وصيّره معه فيها شيئاً واحداً بلا نقصان ولا انحطاط عنه في شيء من الأشياء جميعاً، ما خلا أزلية جوهره التي لم يكن يُنكر[٦] اياها في حال من الحالات كلها.

واذ كان ذلك الذي لم يزل في قدم أزليته، جلّ ثناؤه، ابناً لأبيه جوهرياً، أي لكرمه وفضله، [ابى ان][٧] ــ يُدعى من بعد الاتحاد على انفراده دون الانوسة المتحّد[٨] بها ابناً، فكم بالحري المتّحد المنعَم عليه لا يستحق دون الاحد الذي اناله حظَّ النبوة وسهمَها أن يُدعى على انفراده ابناً. وليس، إذ لم يجز[٩] ان يُدعى ابنَ الله منفرداً، فهو يبعد[١٠] عن بنوة الله ام هو غير ابن الله أيضاً.

كما أن بدن الإنسان المجبول زرعُ ابيه، وان كان لا يستحق أن يُسمى على انفراده دون النفس المتحدة[١١] معه إنساناً، ولا الآب[١٢] الذي ولده ابناً[١٢]، لاشتراكهما

---

١. «انا» في النسخة.

٢. او «ونسبها».

٣. أي ابى أن يستبد... أو يحصر في نفسه ما له من الربوبية الخ. والجملة مضطربة.

٤. أو «كما له».

٥. كذا. وقد يعني بها الأزر أي القوة.

٦. ينكر، أي يتنكر لها؟ أو تنكّر؟ في النص: «تنكر».

٧. في النسخة يوجد فقط «اد»؛ وهنا لا شك كلمة ناقصة: والمعنى انه إذا كان الابن الأزلي لا يدعى من بعد الاتحاد ابناً دون الاقنوم البشري، فكم بالحري لا يستحق الاقنوم البشري وحده أن يدعى ابناً دون الأزلي. إذ ان صفة الابن تجري على الاثنين المتحدين في المسيح الواحد.

٨. «المتخذ» في النسخة.

٩. في النص «لم يجوز».

١٠. في النص: «يعبد».

١١. «الموتحدة».

١٢. قد يكون المعنى: ولا يدعى للاب الذي ولده ابناً.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

شركة لا تقسم[١] في أنسيّة واحدة وبنوة واحدة جميعاً سواء، فليس بنو غير إنسان ولا غير ابن الإنسان ما دام حيا[٢]. ومهما كان مع النفس متحداً كغيرية ابدان البهائم وسائر أجسام الحيوان من سهم الأنسيّة وخط البنوة الوجبَين له دونهما، بل قد يحق على الحقيقة الواجبة أن يُسمى بدن الإنسان أحدَ جزئي جثة[٣] الإنسان وأحدَ جوهرَي بنوة الإنسان.

كذلك قنوم بشرية المسيح المجبولة من طباع مريم الطاهرة، وان كان [لا] يجوز أن يُدعى على انفراده دون قنوم اللاهوت[٤] مسيحاً، ولا لله[٥] دونه ابناً، فليس هو غير المسيح ولا غير ابن الله أيضاً كغيره ما سواه من أجساد الانس وأجسام الحيوان البائنة[٦] عن حظ بنوة الله وسهمها. بل قد يجب على الحقيقة // الصادقة أن تسمى انسانية ربنا احد جوهرَي ابن الله لا [90 a] اسم ابن الله، حيث[٧] ساعة بُشرت مريم الطاهرة بالحبل غمر[٨] كلا[٩] الجوهرين أي كلا[٩] القنومين بشريةً واحدة كالذي[١٠] اخبرنا. وابن الله منذ ذلك الوقت ليس أولى بجوهره الأزلي في جوهر الزمني، ولا باسم اللاهوت والقِدَم أولى منه باسم الحدوث. بل متى سميتَ المسيح أم ذكرت ابن الله منذ ذلك الوقت، فقد عممتَ القنومين بالاتحاد الآتي هو معنى استوائهما في ذلك البنوة وسائر الأمور فيها استووا[١١].

---

١. وفي النسخة: «لانفسهم».

٢. الجملة مضطربة غامضة.

٣. في النص: «حروى حنه». جزوي أي جزئي. أما الكلمة الثانية فيمكن أن تكون «حبة» أي نواة، أو جثة أي شخص الإنسان، أو جبة وهي مستعملة أدناه.

٤. الاهوت.

٥. كذا. كلمة «لا» الأولى ساقطة من النسخة.

٦. في النص «الناسه»، هل هي «البائنة» أم «النائية» أم «الثانية»؟

٧. في النص «جيد».

٨. «عمر»، والجملة غير واضحة في هذه الفقرة منها.

٩. «كل».

١٠. «كالذي»، أي كما.

١١. لا سبيل إلى فهم تركيب هذه الجملة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة الثامنة[١]

فان قال: فاذ كان لا ابن الله إلاّ المسيح، ولا وجود للمسيح إلا بالجوهرين المتحدين، زعمتم ان المسيح المولود من مريم فهو الآكل والشارب الماشي والمنقلب، فقد زعمتم ان مريم ولدت الجوهرين المتحدين، فجميعاً اكلا وشربا وتقلّبا.

الجواب قلنا: انّا وان كنّا نصف في الجملة من ولادة المسيح واكله وشربه ونشؤه وتقلبه ما وصفنا، ليس يلزمنا الحكم من قولنا فيه على ما حكمتَ. وسنقدم قياسا سنبيّن[٢] لك فيه مذهبنا فيما نقول:

ألا ترى أيها الإنسان انك مولود من أمك بشراً تاماً آكلاً[٣] وشارباً، وقد كنت في بدء[٤] مولدك منها طفلاً صغيراً لطيفاً قصيراً، ثم صرت رجلاً جسيماً عظيماً طويلاً. إذ انت قائم ببدنك وروحك ولا وجود لانسيّتك إلا باجتماع الطبعين وائتلاف الجوهرين من الجسد والنفس. فهل تزعم الآن أن أمك ولدت نفسك وبدنك في وقت[٥] جميعاً معاً، وهما الآكلان الشاربان الماشيان المتقلبان القابلان الزيادة والنقصان من الجوع والشبع والهزال والسمنة. فان زعمت // [90 b] ذلك فقد يقنت أن تكون الأرواح أرواحاً بل صيّرتها...[٦] مولفة من أركان متضادة متقاومة، لأن الأبدان إنما قبلت هذه الأمور وهذه الاعراض لمقاومة[٧] الأرض التي منها أنشئت[٨] وألفت بعضها بعضاً. ففي وقت اشتعال حرارة النار ويبسها وغَلَيها احتاجت إلى برودة الماء ورطوبته في تعديل مزاجها؛ في وقت استعلاء برودة الماء ورطوبته عليها احتاجت إلى حرارة النار ويبسها في إقامتها على يبس اعتدالها.

---

١. في الترقيم الحالي: المسألة السادسة عشر.
٢. في النص «وساتقدم قياساً نا سينين».
٣. وفي النص «كاملاً».
٤. «بدي».
٥. «وقتاً».
٦. في النص «أسيراً واندا».
٧. «لمقاومت».
٨. في النص «السبب».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وكذلك حاجتها في نشؤها وتربيتها إلى أغذيتها، كان أصلٌ بقيتها، يعني الثمار الكائنة من طباع الأرض والماء والنار والهواء. فمن ههنا فاعلم انه لا يعلق بالارحام الجسمية الاّ ما شاكلها من الحداثية، ولا تلد الأمهات إلاّ ما قَبِلَ النشوءَ والتربية، ولن[١] يقبل النشوء والتربية إلاّ ما كان أصلُ نَبْتهِ[٢] من الشيء الذي منه قبل النماء والزيادة. وكذلك لن يحتاج إلى الطعام والشراب إلا ما كان فيه حدّ امكان الزيادة والنقصان. فإذا انحط إلى النقصان من جهة اعتدالهِ أكمل بالإدخال نقصانَه. وإذا زاجأ[٣] إلى الزيادة عن حال اعتداله حطّ بالإخراج زيادتَه.

فان كانت الأنفس الروحانية قابلة هذه الأمور وهذه الاعراض والآفات، فانها مؤلفة لا محالة من هذه الأركان والأضداد[٤]. وان كانت مؤلفة من هذه الأركان فانها لا محالة حية[٥] كثيفة ثقيلة وأجسام غليظة رزينة[٦]، وليت بأرواح رقيقة دقيقة وأنفس لطيفة خفيفة. لأنه محال أن تكون، إذ كانت كثيفة، تُنتج، إذا هي تراكبت وتمازجت، أرواحاً لطيفة. بل إذا مازج جسمٌ جسيماً كانت النتيجة الكائنة منها احلو[٧] للكثافة والغلظ من الجسمين اللذين[٨] عنهما كانت النتيجة.

[91 a] // وأن أبيت هذا القياس والاقرار به وقلت بل الأنفس لا محالة آكلة وشاربة زائدة وناقصة، فاعلم علماً يقيناً انه لا موضع يصل إليه الطعام والشراب الاّ ولد[٩] هناك من جثتيهما[١٠] ورزانتيهما بقدر ما يصل إليه منها، كما ترى الأبدان يزداد من

---

١. «وان».
٢. «تبنته».
٣. كذا ولعلها «راجح».
٤. «والاضاد».
٥. «حيث».
٦. «رزينة» هنا يقصد بها ثقيلة.
٧. كذا ولعلها «اجلى».
٨. «الدين».
٩. «ولدا»، هكذا.
١٠. كذا نقرأ الكلمة وقد كثرت فوقها وتحتها النقاط.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فيها عظماً وغلظاً ورزانة وثقلاً. فاذا[١] كان الطعام والشراب واصلَين إلى النفس أيضاً، فانهما يزيدان لا محالة في جثتها ووزنها ورزانتها بقدر ما يل إليها منهما.

وينبغي على قياس دعواك، إذا كان وزن الإنسان مائتي رطل ثم فارقت روحه بدنه، أن يصير وزن[٢] بدنه على النصف ممّا كان إذ كان حياً[٣]، أو ينقص في وزنه جزء[٤]. فيستبين[٥] للعقول ان الروح قد كملت[٦] من رزانة الطعام والشراب بقدر حظّها منها.

بل لا أحسبك تجهل ان النفس إذا هي فارقت البدن، ازداد البدن رزانةً وثقلاً، لعلمك[٧] بذلك أنها كانت تولّد من خفة[٨] روحانيتها في البدن ما يشتغل به البدن كثيراً من رزانة ما يتولد فيه، دون أن ينال ذاتَها ثقلُ الطعام والشراب ورزانتُهما.

فهكذا[٩] قد ترى الأرواح تشهد من كل جهة على ذاتها بانها غير مضطرة إلى الطعام والشراب وذلك انها لا مؤلفة ولا مركبة من مادة تقدّمتها. فانها غير قابلة للزيادة والنقصان البتة. وإذ كانت ممتنعة للزيادة والنقصان فانها غير ناشئة ولا منتقلة من الكبر والصغر من حال إلى حال. فانها غير صائرة تحت الحمل والولاد والتربية بالطعام والشراب. فمتى عرفت حقيقة هذه الأمور على حقيقة ما هي عليه من حالاتها، أيقنت بأن أمّك، وان كانت ولدتك // إنساناً كاملاً ذا روح وبدن، فانها لم تلد روحك وبدنك. إنما أمك ولدتك إنساناً ذات روح [91 b]

---

١. «فا» في النص.

٢. في النص: «يصرون».

٣. «حييا».

٤. «جزواً».

٥. «فسيبين».

٦. «كملة».

٧. «بعلمك».

٨. «خفت».

٩. «فهذا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وبدن من قِبَل بذلك القابل للولاد والتربية والنقصان والزيادة، لا من قِبَل روحك العالية عن هذه الأمور وعن هذه الحالات والعاهات.

فلا نقول[١] الآن إن لاهوت ربنا جلّت وتعالت عن كل قياس، موضعُ الروح من الإنسان، في علوها وارتفاعها عن الأمور الحادثة على الأجساد والأبدان. ونقول[٢]: ان البتول الطاهرة، وان كانت ولدت ابنها مسيحاً كاملاً ذا جوهرين كاملين لاهوتي وناسوتي، فانها لم تلده بجوهرَيه كليهما، بل إنما ولدته من قِبَل ناسوته المنتزعَةِ منها. ومن قِبَل ناسوته نشأ وأكل وشرب وتقلب وتربَّى[٣]، لا من قبل لاهوته. وأيضاً أنما[٤] ناسوته من جهة روحة، كما أن جميع أهل جوهر ناسوته مولودون آكلون شاربون ناشئون من قبل أجسادهم وأبدانهم لا من قبل أنفسهم وأرواحهم.

وقد نقول في المسيح أيضاً انه مولود من أبيه ميلاداً أزلياً، ولا نزعم أن أباه ولده بجوهرَيه جميعاً. بل نقول ان كل واحد مولود من أبيه وأمه إنما هو والده من جهة ما هو منه جوهري طبيعي، أي أبوه ولده ميلاداً الهياً قديماً من جهة لاهوته، وولدته أمه بشرياً زمنياً. اذ هو مع اختلاف حالاته وغيريّة ولادته مسيح واحد ذو جوهرين، ابن واحد واقنومان[٥].

المسألة التاسعة[٦]

فان قال: فإذا كان المسيح وُلد ميلادَين أحدهما من الاب وآخر من الأمّ، فقد أوجبتم انه قد كان مسيحاً في ولاده الذي لم يزل من الاب قبل

---

١. في النص «اقل»، ولعلها «نقول».

٢. في النص: «ابن». قد يكون المعنى: لا نقول ان لاهوت ربنا هي بنسبة الروح من البدن، لأنها تعلو الأمور الحادثة، بل نقول...

٣. «وترباء».

٤. إنما، أو أنما، أو نما.

٥. «وقنومين» في النص.

٦. في الترقيم الحالي: المسألة السابعة عشر.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[92 a] ولاده حديثاً من الأمّ. فكيف زعمتم[١] ان المسيح انما // أُلفيَ مسيحاً مع وجوب الجوهرين واتحاد القنومين في وقت الحمْل والحبَل.

الجواب: كلا ما نزعم أن المسيح ولد مرتين بل نقول أن للمسيح ربنا ولا دَين على ضربين ونحوين. وذلك ان قنوم لاهوته لم يزل مولوداً من الاب ولا يزال مولوداً منه على حال واحدة. فلا ابتداء له ولا انقضاء. فاعلم ذلك من قولنا.

فاما ولاده من الام حديثاً مرةً واحدةً ابتدت وانقضت، وقد كان في وقت ولاده من الام بناسوته مولوداً هنالك أيضاً من الاب بلاهوته[٢]، فاتفق الولادان[٣] في ذلك الوقت جميعاً معاً. ثم انقضى الذي ابتدأ وبقي الذي لا بدء[٤] له على ما لم يزل عليه بلا انقضاء. فبهذه[٥] الجهة صحّ قولنا أن للمسيح ولادَين، إذ هو مسيح على حال مسيحيته، انه إذ وُجد المسيح بالقنومين المتحدين ثم ولد في وقت ولاده من الامّ بناسوته، كان هنالك ولاده من الاب حقيقياً بلاهوته. إنْ كانت لاهوته لم تزل مولدةً من أبيه قبل الدهور والأزمان وقبل وجود المخلوق إلى أبد الابد ولا ابتداء ولا انقضاء ولا انقطاع: كثبات ولادة الكلمة النفسانية من ذات النفس الناطقة منذ خُلقت نفساً حيةً ناطقة، وكثبات ولود الشعاع من عين الشمس منذ خلقت شمساً نيّرة مستنيرة. وان كانت الأمثال والمقاييس تبطل وتقصر على عظمة تلك[٦] الولادة، فانما ضربنا القياس من الشمس والنفس على ثبات أزلية ولاده، وذلك على حال واحدة بلا ابتداء ولا انقضاء ولا نغيّر ولا انقطاع.

---

١. في النص: «فكم عميم».

٢. «الولادات».

٣. «بالاهوته».

٤. «بدر».

٥. «فهذه».

٦. «ذلك».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة العاشرة[١]

فان قال: وهبْكم تزعمون أن الأزلي من جوهرَي المسيح استحق بنوةَ الاب وصحّت له أبوّته لأنه مولود منه // جوهري قديم. فاما الإنسان المحدَث المخلوق الذي لا من جوهر الخالق [92 b] فكيف بنوة خالقه القديم الذي ليس من جوهره وكيف صحّت له أبوّته؟

الجواب قلنا: صحت له الأبوة واستحق البنوة من قِبَل الاتحاد[٢] الذي أنعم به عليه وعلى أهل جوهره به. لأن البنوة الصادقة انما تصحّ من أحد جهتين: إما من قِبَل الولاد واما من قِبَل الاتحاد، على ما نحن مزمعون تفسيره.

فاذ كان الذي لم يزل، جلّ ثناؤه، مولود من أبيه أزلياً استحق البنوة لولاده من أبيه جوهرياً، ثم أحبّ بنعمته وفضله أن يشترك جوهرُ الانس في بنوته ويوجب حقّ أبوّة أبيه، همّ بلطفه وقدرته فعلم أنه لا يصحّ فهم ذلك الا[٣] من جهة الاتحاد[٢]، أنْحَتَ[٤] من جوهرهم بفضله وجبروته شبحاً زكياً طاهراً فتجسّده واتخذه لباساً للاهوته ليوجب له بذلك حق البنوة التي لم تزل فتصيّره معه فيها مثله: كما قد نعلم من المادة التي كُوّن بدنك منها بدناً، وانما كانت من صلب أبيك، ثم صُوّر من النطفة بدنٌ وجوارح وأوصال. حتى إذا كملت خلقة البدن وجوارحه خلقتْ فيه من بعد ذلك نفسٌ حيّة لا من صلب أبيك، ثم صُوّر من صلب أبيك[٥]، ونفسك لم يلدها أبوك ولا من طباع نطفته، فصُيّرتَ من زرع أبيك ابناً واحداً بحق لأبيك.

وكما أن هوى بنية[٦] انسيّتك استحق بنوة أبيك من قبل الطباع الولاّدة[٧]،

---

١. في الترقيم الحالي: المسألة الثامنة عشر.

٢. الاتحاد، تكتب دوماً الايتحاد.

٣. في النص: «لا».

٤. «ابنحت» في النص.

٥. «ثم صور من صلب أبيك»، يوجد خلل ونقص في الجملة.

٦. «هوى بنية»، كلمة «بنية» غير أكيدة.

٧. قد يعني «الولاّدة»، والجملة مضطربة التعبير على رغم وضوح المعنى العام، أي بنوة البدن من قبل الولادة وبنوة النفس لاتحادها بالبدن.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والآخر من قبل الائتلاف والاتحاد بذات الذي هو من الولاد والطباع، كذلك بنوة المسيح محيينا صحّت وصدقت لأبيه من كلا[١] الوجهين: انه من قنوم الهيته لولاده منه أزلياً قديماً، ومن قبل قنوم ناسوته لاتحادهما[٢] مع المولود منه في جهة بنوته المتعالي عن الصفات والأمثال.

[93 a] **// المسألة الحادية عشرة[٣]**

فان قال: وكيف أمكن أن يتجسد ويتدرّعه ويحلّ فيه ولا يحيط به ويحصره ويجسّده ويحويه.

الجواب قلنا: انه وان كان لا كيفيّة للأزلي[٤] وصنائعه ولا شبه له ولا بفعاله، فانه كما في النور الذي خلقه نوراً مبيناً في مبتدى الخلق، كما قال في سفر الخليقة، ثمّ حلوله في الرابع[٥] جسماً صغيراً غليظاً كثيفاً فربطه وألفه وجعله له محلاً ومعدناً ينشو منه إلى شرف الأرض وعزّتها من غير أن يحدّه الجسم أو يحصره أو يحويه، بل هو المحيط الحاصر له الحاوي عليه؛ كذلك وأفضل من ذلك أمكن الجوهر الأزلي، الذي لا يحيط به جسم يحصره ولا مكان يحويه، أن يتخذه[٦] لنفسه بشراً بتجسده وهيكلاً يحلّ فيه ومحلاً يخاطب الناس منه. ولم يحوهِ[٧] الجسد الذي تدرّعه ولا حصره مسكنه ولا حكمَه ولا حدّه هيكله الذي خاطب الناس منه، بل هو المحيط به الحاوي له الظاهر[٨] عليه.

أوَ لا ترى نفسك الروحانية، إذ هي بسيطة في كل جسدك بالأنوسة[٩]

---

١. «كل».

٢. الاتحاد، تكتب دوماً الايتحاد.

٣. «المسألة التاسعة عشر» في الترقيم الحالي المحدث.

٤. «الأزلي» في النص.

٥. اشارة إلى خلق الشمس في اليوم الرابع للتكوين.

٦. «أو يحده»، «أو يتحده»، كذا في النص.

٧. «يحواه».

٨. «الطاهر».

٩. «باليبوسة» في النص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وموجودة في جميع أعضائك ولا نقصان ولا زيادة، انما جعل بيتها ومحلها...[١] // ..... [93 b]

١. الجواب على المسألة هذه ناقص، والدليل هو الصفحة التالية [93 A] التي بقيت بيضاء. وقد زيدت في أدنى هذه الصفحة بنفس الخط المحدث الذي بدل ترقيم المسائل هذه الكلمات: «تم، كملت المقالة الثالثة بعون الله تعالى».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[94 a]

المسألة الثانية عشرة[١]

.....

قلنا: الا انا قد نقرّ ونؤمن بأن الله اتخذ له جسداً غير أنه لم يجب منذ قط أن يُسمّى جسد الله. وذلك انه اذ اقام، في وقت تجسده إياه، منه ومن البشري الذي تجسده، مسيحاً واحداً وابناً واحداً، وجب أن يضاف الجسد إلى المسيح الا جسد الله[٢]، وإن كان التجسد في الأصل كان لله لا للمسيح، ولو لم يتجسد الله أبداً.

كما انه إذا تجسدت النفس بالبدن والبدن بالنفس فقام منهما[٣] بائتلافهما إنسانٌ واحد، سُمي البدنُ بدنَ الإنسان والنفسُ نفسَ الإنسان لا بدن الإنسان ولا نفس الإنسان، ولو لم تألف النفس بالبدن لم تقم وحدانية الإنسان منهما أبداً.

وقد نقول أيضاً بلفظة أخرى ونحوٍ آخر إن الله الكلمة تأنس لا على معنى قول القائل: الماء ملح[٤]. أي جمدان بذاته فصار ملحاً. وكقوله ان اللبن تجبّن أي اعتقد[٥] بذاته فصار جبناً. وكقوله الصبي ترجّل أي شبّ بذاته فصار رجلاً، بل على معنى قول القائل: ان فلاناً تدرّع أي ليس درعاً، وكقوله ان فلاناً تسلّح[٦] أي لبس سلاحاً، وكقوله ان فلاناً تعمّم أي لبس عمامةً، لا انه صار عمامة أو سلاحاً أو درعاً. كذلك بقولنا ان الله الكلمة تجسد وتأنس أي أحدث جسداً فلبسه وخلق إنساناً فتدرّعه وألفه[٦] إلى قنومه ليظهر به وليُظهر به قولَه وأعمالَه وليوحده[٧] معه في بنوته قلنا فأمرهما جميعاً في وقت الاتخاذ والاتحاد مسيح

---

١. في أعلى الصفحة بالخط المحدث نفسه: «بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد له المجد دائماً، نبتدي بعون الله تعالى وحسن إرشاده تسع مسائل وأجوبة في الديانة المسيحية في التجسد. المسألة الأولى». وبالحقيقة هي المسألة الثانية عشر من الكتاب والمقالة نفسها. المسألة ناقصة. ولكن من هنا بدء الجواب عليها.

٢. أي ويستثنى الله فلا يضاف الجسد إلى الله.

٣. منها.

٤. في النص: يلج، وهي ملح أو يملح أي يصير ملحاً.

٥. أي صار عقداً عقداً.

٦. ألفه، أو ألّفه، أو آلفه.

٧. في النص: وليوجده.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

واحد، وجب أن يقال ناسوت المسيح وناسوت الابن المجتمع، لا ناسوت الله ولا ناسوت اللاهوت، وان كان الله هو الكلمة المنفرد // وحده لاتخاذه إياه ناسوتاً، لا ان الناس متدرع [94 b] الناسوت في الأصل كان المسيح المجتمع عليه[١].

أوَ لا ترى انك لو عمدت إلى قميص من حرير فطهّرته طهارة من حر[٢] لتقيم منها جبّةً واحدة لم تقل اني طهّرت الجبة ولا اتخذت الطهارة للجبة وذات الجبة عن موجوده[٣]، انما اتخذت الطهارة للقميص خاصة، واتاه طهره بالطهارة. حتى إذا انتقلت الطاهرة بالبطانة فقامت منهما ساعة ائتلافهما جبة حادثة، بطلت الجبة الحادثة منها جميعاً[٤] فيقال طهارة الجبّة وبطانة الجبة.

هكذا وعلى هذا نقول: ان الله الكلمة تعالى على كل قياس هو الذي بدأ واتخذ البشري له ناسوتاً، ومع تأنسه أي تدرّعه وجب اتحادهما وقامت وحدانية المسيح بائتلافهما، فبطلت هناك إضافة الناسوت إلى الله وإضافة الله إلى الناسوت، وجبت إضافتهما جميعاً في المسيح الواحد القائم منهما. وهنالك وجب أن يُسمّى الناسوت ناسوت المسيح واللاهوت لاهوت المسيح، لا ناسوت اللاهوت ولا لاهوت الناسوت.

والعجب لعقول قوم زعموا أنه دعاهم إلى تسميته[٥] جوهراً واحداً وقنوما واحداً إرادةَ إيجابِ حقيقة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت، والقواعدَ الاثنينية[٦] في الوجوه كلها على وحدانية المسيح الواحد القائم منهما. ثم سمّوا جسد المسيح جسد الله، فوقعوا[٧] من إثباتِ القنومين وإقامة الجوهرين وإبطال وحدانية المسيح في أعظم ممّا هربوا منه. وذلك لأن في تسميتهم الجسد جسد الله إثبات اثنينيّة الجوهرين

---

١. جملة مضطربة.

٢. كذا، ولعلها «حرير»، أو «خز»؟

٣. أو «عين».

٤. جملة مضطربة.

٥. «تسميه».

٦. الاثنينية، أو الاثنية؛ وفي النص: «والقي عدد الانسه».

٧. «فدفعوا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في المسيح اضطراراً، أي الله وجسده. وذلك مع إيجاب ثنائيتهما وابطال وحدانية المسيح القائم منهما المضاف إليه الجوهر من كليهما. كمن زعم // انه إنما يُسمى الإنسان جوهراً واحداً [95 a] إرادةَ ايجاب[١] الاتحاد في[٢] النفس والبدن واقامة وحدانية الإنسان القائم منهما، وألقى العدد والاثنينية على[٣] الواحد الذي صار واجباً بائتلافهما؛ ثم سمى جسدَ الإنسان جسدَ النفس ونفسَ الإنسان نفسَ الجسد، فأبطل بذلك وحدانية الإنسان المضاف إليه نفسُه وبدنه وأوجب اثنينيةَ نفسٍ وبدنٍ متباينين متعطلين على الاتحاد والائتلاف. والاّ فأين توجد وحدانية الإنسان الواحد الذي له النفس والبدن، إذا قيل لجسد المسيح جسدَ الله الأزلي، وللأزلي[٤] لاهوتَ الجسد. بطلت بذلك وحدانية المسيح المضاف إليه لاهوته وناسوته، وأُوجبت به اثنينةُ الإله والإنسان بايجاب[١] تعطيلهما[٥] عن الاتحاد والائتلاف، لا محالة.

وليخبرنا[٦] قائلو هذا القول: كيف توجد وحدانية المسيح الواحد الذي له اللاهوت والناسوت، إذا قيل جسد الله ولاهوت الجسد. وربما قال المحتال[٧] منهم عند نفسه: إنما نعني بتسميتهما ذلك جسدَ الله، وبقولنا ان مريم والدة الله ما قال بولس الرسول: «ان المسيح اله على الكل»، وإذا كان المسيح الهاً على كل، والجسدُ جسدُ المسيح ومريم ولدت المسيحَ، والجسد إذن جسد الله ومريم ولدت الله.

فيقال لهم: كلا، لعمري ما قولكم قول من يقرّ بأن المسيح اله على كل ولا ان مريم ولدت المسيح. ولو أقررتم بأن المسيحَ اللهُ على كل ومريم ولدت المسيح الذي هو اله على كل، حذفتم اسمَ المسيح من الوسط وأضفتم ولادَ مريم

---

١. «أبحاث»، هكذا.
٢. في النص: «والنفس».
٣. «عن» في النص.
٤. «والأزلي».
٥. «تعطيلها».
٦. «وليخبرونا».
٧. «المجبال».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إلى اله غير المسيح، ولذلك لم ترضوا بأن تقولوا ان الجسد جسد المسيح ولا ان // مريم ولدت [95 b] المسيح.

أوَ لم يتبين في أعلى[١] كتابنا انه من أعظم المحال ان تلد امرأة الهاً لا مسيحاً مجتَمَعاً[٢] يُوجد فيه امكان الحبل والولاد والتربية والموت وما أشبه ذلك خاصةً باسم المسيح، ثم يُردَف من بعد ذكر[٣] المسيح باسم الله، بمسحتالةِ اضافةِ هذه الأمور محضاً دون ذكر المسيح معاً.

وذلك أيضاً لأنه ان كان المسيح جلّ ثناؤه الهاً[٤]، فليس[٥] الله هو المسيح، لأن اسم الله واقع على المسيح وعلى غير المسيح أي الاب والروح. فلذلك استحال أن يُقال جسدُ الله وان مريم ولدت الله، دون يُبدأ بذكر المسيح فيقال الجسد جسد المسيح الذي هو إله على كل.

أوَ ما تعلم قابل هذا أنه من أعظم الخطأ أن يقال ان ساره ولدت الإنسان، وان كانت ولدت اسحق الذي هو إنسان. وذلك لأنه وان كان اسحق انساناً فليس الإنسان هو اسحق لأن اسم الإنسان المبرهَم[٦] واقع على اسحق وأبيه ابرهيم وغيرهما من الناس...[٧]، استحال أن يقال ان ساره ولدت الإنسان دون أن يُبدأ باسم الذي ولدت أي اسحق الذي هو إنسان.

وأيضاً فان قال ان ساره ولدت إنساناً هو اسحق، لم يُعنَّف قائله، ولكن لا يستغنى في ذلك عن اسم اسحق ولله قدّم أم أخر[٨]. لذلك لا يصح القائل ان مريم ولدت الله حتى يُبدأ بذكر المسيح. ولا يقال ان مريم ولدت المسيح اله هو اله على كل[٩]. وان قيل ان مريم ولدت الهاً على كل الذي هو المسيح لم

---

١. «اعلا».

٢. «مجتمع».

٣. كلمات لا يقرأ فيها أكيداً الا «من»، وهي هكذا: «يودف من بعد كر المسيح».

٤. «اله» في النص.

٥. في النص: «أفليس»، مما يعكس المعنى تماماً. والأصح هو «ليس».

٦. الإنسان «المبرعم» أي اسحق بن ابراهيم، وهي من بديعيات عمار العديدة.

٧. هنا يوجد كلمة «فمريم»، ولا محل لها في سياق الحديث.

٨. كذا.

٩. كذا.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يُعنَّف قائله. فلا بدّ في ذلك من ذكر المسيح في حال من الأحوال.

والا فخبّرونا اين وجدتم الله جلّ ثناؤه يذكر في شيء من كتبه أن مريم ولدت الله وأن
[96 a] ذلك الجسد الله. فهذا متّى يذكر في راس بشراه: «هذا // كتاب ميلاد يسوع المسيح بن داود بن ابراهيم» ــ لا: ان[١] هذا كتاب ميلاد الله بن داود بن ابراهيم ــ يقول: «فهذا كان ميلاد يسوع المسيح» ــ لا: هكذا كان ميلاد الله ــ وهو ان «لما ولد يسوع في بيت لحم يهوذا أيامَ هيرودس الملك» كان كذا وكذا، ولم يقل: فلما وُلد الله في بيت لحم كان كذا وكذا[٢].

ويقول لوقا إن الملاك بشّر الرعاة وقال لهم: «لقد ولد لكم مخلص هو الرب المسيح في مدينة داود»[٣]، ولم يقل: ولد لكم اليوم الله في مدينة داود.

فكيف استجريتم[٤] ان تقولوا ان مريم ولدت الله دون ذكر المسيح. وقد نسمعكم تقرّون جميعاً بان اسم الله واقع على الاب وواقع على الابن مفرداً وواقع على روح القدس مفرداً وواقع على الثلاثة أقانيم جميعاً. فلعلّكم تعنون بقولكم ان مريم ولدت الله أي ولدت الاب ام الروح ام الثلثة الاقانيم جميعاً. وعلى كل حال فلسنا نشك في إنكاركم ولودَها الاله على كل حال الذي هو المسيح الموجود بلاهوته وناسوته. وبعد فانّا نقول إلى كلامنا الأول، فانّا نكره أن نتشاغل بظاهر كلام أهل الجهل.

المسألة الثالثة عشرة[٥]

فان قال: فما باله إذا أراد يكون ذلك البشريَّ له جسداً أبداً[٦]، أتزعمون انه أراد أمراً فلم يتمّ له ما أراده، بل قد تمّ له من ذلك ما أراد ولو كان غرَضُه

---

١. في النص: «لان».
٢. متى ١: ١؛ ٢: ١.
٣. لوقا ٢: ١١.
٤. استجريتم، أي تجرأتم.
٥. «المسألة الثانية» في الترقيم المحدث.
٦. أي، ما عليه، وما شأنكم أنتم، إذا أراد هو أن يكون ذلك البشري جسداً أبدياً له؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فيما أراد كينونة وصورةَ البشريّ له جسداً أبداً لا بمعنى[١] آخر سوى ذلك.

الجواب: تسمي[٢] البشري جسد الله أبداً. ولكنه إذ كان غرضه في تجسده إياه أراد أن يوجب له بذلك حظَّ البنوة ويقيم به وحدانية المسيح التي وجب إضافة الجسد إليه، فلم تقضِ إرادةٌ[٣] دون غرضه الذي // أراده. [96 b]

المسألة الرابعة عشرة[٤]

فان قال: فما بالكم تسمّون هيكل الله ولا تسمّونه جسد الله. وقد تزعمون انه حلّ فيه كما تجسّده.

الجواب قلنا: ألا انّا نقول انه تجسّده وحلّ فيه جميعاً، ولذلك سمّيناه هيكل الله ولم نسمّه[٥] جسد الله، لأن التجسد أوجب اتحاد الجوهرين والحلول لم يوجب اتحاد هذا؛ أي التجسد من الجوهرين بوحدانية المسيح إليه يضاف الجسد، والحلول لم يُقِم منهما وحدانيةً واحدةً، يضاف إليه الهيكل فتثبت[٦] إضافته إلى ساكنه أبداً.

أوَ لم يُفهم عنا ما أخبرناك به من أن روح الإنسان إذ هي متجسّدة لبدنه، وبدنه إذ هو منتفّس بروحه، فأقاما بائتلافهما وحدانية الإنسان قبل بدن الإنسان وروح الإنسان، لا بدنَ الروح ولا روحَ البدن. ولو ان إنساناً سكن منزلاً لَمَا أقام هو والمنزل وحدانيةَ واحدٍ. إليه يضاف المنزل أبداً، بل تثبت إضافة المنزل إلى فلانٍ ساكنهَ خاصة لا إلى واحدٍ قائم منه ومن المنزل.

كذلك إذ تجسّد الله الكلمة البشري فتأنس هنالك الاله بالبشري وتألّه البشري بالاله وأقاما باتحادهما وحدانية المسيح، أضيف البشري والاله إلى المسيح

---

١. في النص: «لابلغني»؛ «صورة» بمعنى «صيرورة».

٢. «نسمي» أو «تسمي» أو «يسمى».

٣. في النص: «فلم يقضي أراده».

٤. «المسألة الثالثة» في الترقيم المحدث.

٥. «نسميه».

٦. أو «فتثبت».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الواحد المجتمع منهما. فقيل للجسد جسد المسيح واللاهوت[١] لاهوت المسيح. فلم يقيما من ذلك الحلول مسيحاً واحداً يُضاف إليه بيت المسكن على الإضافة إلى الله أبداً، فقيل مسكن الله أي هيكل لا مسكن المسيح.

[97 a] ولسنا نقول من ذلك الاّ ما // علمنا المسيح واطلعنا على سرّه ان التثليث حلّ فيه المسرة الكاملة، وذلك في قوله: «ان أبي الحال فيَّ هو يفعل هذه الأفعال». ثم اتبع ذلك أيضاً بشهادة أخرى على لسان عبده وحبيبه بولس الرسول إذ قال: «يسوع المسيح ذلك الذي حلّ فيه جميع كمال اللاهوت». ثم أكّد الشهادة كهيئة خلق الأجسام ولم يقل في شيء من ذلك قولاً يدلّ على أن الأقانيم الثلاثة تجسدت وأخذته معها، لأنه كان يسهل[٢] على نفسه انه بلاهوته وناسوته ابن واحد لا اب واحد ولا روح واحد.

فلو ان الاب والروح أيضاً تجسداه واخذاه في خاصتهما كما حلاّ فيه، سمّى نفسه أيضاً في كثير من المواضع أباً وروحاً. ولو كان الحلول أوجب ما أوجب التجسد والاتحاد لم يكن بات[٣] يسمي نفسه ابناً أزلياً[٤] من أن يسمي نفسه أباً وروحاً لحلول الاب والروح فيه كما حلّ فيه الابن.

ولكن من ههنا يجب[٥] أن نعلم أنه ليس من قِبَل حلول اللاهوت في الناسوت قامت[٦] وحدانيه المسيح ووحدانية بنوته، بل من قبل اختصاص الابن خاصة الناسوت بالتجسد والتوحيد[٧] من بينهما. فلذلك قلنا جسد[٨] المسيح بلا جسد الله. وإذ لم تقم وحدانية المسيح من جهة الحلول سمي الهيكل هيكل الله لا هيكل المسيح.

---

١. «واللاهوت».

٢. كذا؛ ولعلها «يشهد».

٣. في النص «بان» أي بعد.

٤. «أزلي».

٥. «نجو».

٦. «قامة».

٧. في النص: «والتاحيد».

٨. في النص: «فليتاخذ»؟

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة الخامسة عشرة[١]

فان قال: وكيف استقام مع زعمكم انها خواص وأقانيم لا تباين بعضها بعضاً ولا إمكان المعرفة[٢] بينها، ثم كان حلولها في[٣].....

[97 b]

// .....

---

١. «المسألة الرابعة» في الترقيم المحدث.

٢. كذا.

٣. تنتهي الصفحة هنا في نصف السطر. وقد كتب في أسفلها بالخط الذي حور ترقيم المسائل القديم، هكذا: «كملت الأربعة مسائل». وتعقبها صفحة بيضاء.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[98 a] //[١] ..... [٢]

لعيون من بينها فنستضيء به الأبصار وتستعمله في التماس بغيتها من غير أن يُحدث ذلك بينها فرقاً ما. بل ثم ترى حرارتها تأتلف من دواها[٣] بما يُطبخ ويُخبز يشوى[٤] بها من غير أن يُباين لذلك بعضها بعضاً.

وكذلك تفعل الشمس باختلاف خواصها من غيبها[٥] ونورها وحرارتها، أتلف نورها بالابصار وحرّها السائر الأجسام بلا تباين لذلك بعضها بعضاً. كذلك تجد[٦] النفس باختلاف خواصها من أصلية ذاتها وحاجتها وفكرتها، إذ هي ساكنة القلب من دون الأعضاء كلها والمتجسدة[٧] مع القلب من خواصها للروية والفكر من دونها بلا تباينٍ[٧] يجب لذلك بينها. والشاهد على ما وصفنا من اختلاف واتحاد الفكر من خواص النفس بذات القلب.

الله يترأف قال، فهو الشاهد بذلك على ألسن أوليائه كما ذكرنا في أعلى[٨] كتابنا. وكفى الله في الأمور كلها شهيداً.

فإذا أمكن في خواص الخلائق المحدثة المخلوقة المحدودة أن يتحد بعضها بعضاً[٩] ببعض الأجسام بلا فرقةٍ تحدث لذلك منها، فذلك، في الخواص الأزلية المتعالية عن التباين والتبعيض والتجزؤ[١٠] والتحديد، أمكن وأوجب. ولم يأخذ المسيح جلّ ثناؤه ولم يتّحد، إذ وصف ناسوته مع الله، الكلمة في بعض المواقف هيكلاً ومحلاً لأقانيم الاب والابن والروح القدس.

---

١. في أعلى الصفحة بالخط المحدث نفسه: «مسائل وأجوبة بدلائل واضحة من الأربعة أناجيل وغيرهم ــ المسألة الأوله».

٢. ان ما يلي هو ما سلم من الجواب على المسألة الخامسة عشر.

٣. كذا.

٤. «ويشوا».

٥. «غيبها».

٦. «بحد».

٧. «المتجسد» في النص.

٨. «اعلا»، والجملة مضطربة.

٩. فعل اتحد يستعمله عمار البصري كعادته في بعض الأفعال بمعنى اللازم والمتعدي بنفس الوقت.

١٠. «التجزى».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المقالة السادسة عشرة[١]

فان قال: ولمَ، إذ تجسد الابن دون الاب والروح، ألا تجسّد الاب والروح دون الابن.

الجواب قلنا: انه إذ تجسد الابن بهذا البشري وأخذه معه في بنوته فسُمّي النسبي مع الأزلي ابن الله الاب، لم تلزم الاب شنعة[٢] ولا دخلت[٣] على الابن منه منقصة. فانه قد كان لم يزل في سالف // الدهر يسمي أولياءه وأهل طاعته بفضله وكرمه له أبناءً واحباباً. فلم يزد ذلك [86 b] تعظيمه ولا اهان بجوده وكرمه ولم يستجز[٤] منذ قط أن يسمي أحداً من خلقه له أباً ولا روحاً.

فلو كان الاب جلّ ثناؤه تجسّد البشري بدل الابن وأخذه معه في أبوته كما أخذه الابن معه في[٥] بنوته، إذاً لوجب على قياس ذلك أن يسمي البشري مع الأزلي أباً. فكان ذلك مستحيلاً أن ينسب إلى بنوة الإنسان المخلوق الزمني ويوصف الإنسان الزمني بابوة الاب في هذا القول.

وكذلك أيضاً لو تجسد الروحُ لاستحق[٦] أن يُسمَّى معه روحَ القدس، وهذا اسم يتعالى عن أن تُسمّى به الأسماء المؤلفة المركبة، ويستحيل أن يوصف في الأجساد المحدثة المكوّنة. ولكن إذ أراد الاب عزّ جلاله أن يكمّل جوده القديم على خلقه ويتمم نعمته السابقة على كافة بريته ويعلن للملائكة والناس أجمعين ما[٧] كان اخفاه قديماً من سناء اسم ابوته، اتخذ بابنه الأزلي المولود منه جسداً من خلقهِ وأخذه معه في بنوته وأوجب له ولأهل جوهره من الملائكة والانسِ بذلك حظَّ ابوته ليستحقوا بأجمعهم وراثةَ ذخائره النفيسة الكريمة التي أعدّها لهم

---

١. سلمت هذه المسألة وحدها من تحريف رقمها؛ نلاحظ أنه عوض «المسألة» يوجد هنا «المقالة».

٢. «شبعة».

٣. «دجلب».

٤. «يستجر».

٥. «في» ناقصة في النص.

٦. «لا يستحق».

٧. «ما» ناقصة في النص ولولاها ما استقام المعنى.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في ملكوته. فكان اتخاذه الجسد لابنه دون نفسه وروحه أشكل[١] بحكمته وعظمته وأولى بفضله ورأفته من اتخاذه له ولروحه.

المسألة السابعة عشرة[٢]

فان قال قائل: وكيف لنا أن نعلم صدق ما تدعون من تجسد الابن واتخاذه البشري معه في بنوته التي تصفون، وما السبيل إلى المعرفة؟ فان كان ذلك يبقى[٣] على ما تذكرون ولستم فيما تدّعون من ذلك بضالين[٤]، فأتوا ببرهان ان كنتم صادقين.

الجواب قلنا: نعلم ذلك من شهادة الله في كتبه القديمة والحديثة، ثم شهادات المسيح من بعد في صنائعه دلائل[٥] // تدل على ذلك منه. فان قرأت أبصرت وفهمت وان عاينت[٦] علمت وأيقنت. [99 a]

أما من العتيقة فيقول الاب على لسان داود نبيه أي: «منذ قديم آياتك أيها الصبي ولدت». وهذا بيّن واضح ان المسيح المولود باللاهوت قديما من الاب هو المقول أيضاً، إذ ألفي طفلاً مولوداً بناسوته من الام. وان لم يتأول قوله على هذا المعنى انه لا يكون صبيّاً طفلا ناشئاً الاّ من تأليف الأركان[٧] الأربعة، على ما مضى من قولنا، وانه المولود من الاب القديم مؤلفاً من الأركان الأربعة المخلوقة المحدثة أصلاً.

ويقول داود أيضاً: «كرسيك اللهم ثابت إلى دهر الداهرين. القضيب البسيط قضيب ملكك أحببت البر وأبغضت الاثم لذلك مسحك الله الهك بدهن الفرح

---

١. «اشكل» أي أشبه وهي من مفردات عمار البصري.
٢. المسالة الثانية في الترقيم المحدث.
٣. «يبقا».
٤. «بمنظلين»، قرأناها بضالين؛ ولعلها «بمنضلين».
٥. في النص «واويل»، افترضناها «دلائل».
٦. «عينت» في النص.
٧. «الأركان» مرة ثانية.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أفضل من أخوتك». فافهم تفسير هذا القول الشريف الذي ينطق به النبي بالهام روح القدس آتاه على جوهرَي الابن في جهة واحدة، وأخبرنا أن المسيح الذي هو بلاهوته لم يزل الهاً ثابتاً على مرتبة عظمته هو الممسوح بناسوته من روح القدس الذي خلقه ومجّده وأظهره في العالم بصوت الناظرين على أفضل حال، أصحابه، يعني الأنبياء والرسل المتقدمين من قبل ظهوره.

ويقول اشعيا: «لقد ولد لنا ولد ووُهب لنا ابنٌ سلطانه على منكبه ويُدعى اسمه عجباً والهاً جباراً لعلمي[١] مليك[٢] السلامة ليكثر سلطانه». فلا ترى هذا القول أيضاً كيف يوجب لاهوتَ الابن وناسوته، إذ يخبر أن الذي هو بلاهوته الله جبار العالمين وخالق الأزمان وهو الابن المولود بناسوته.

ويقول في موضع آخر: «هذه العذرى تحبل وتلد ابناً ويُدعى اسمه عمانوئيل وتفسيره معنا الهنا»[٣]، أي // محلٌّ العذراء، إنما[٤] يمكن فيه الحبل والولاد من ناسوته المستخلصة من [99 b] العذراء كما أخبرنا. ويُدعى الهنا معنا، إنما الهنا الأزلي معنا بحلوله في هيكله الطاهر المأخوذ من جوهرنا المتقلّب في عشرتنا. والا فليس بجائز أن تحبل العذراء بذات الهنا الأزلي، ولا إنسان مرسل يستحق أن يدعى الهنا معنا، بل إنما وقع حبل العذراء وولادُها هذا الابنَ على خاصة أنسنة[٥] الهيكل المنحت من جوهرنا. ووقع اسم الهنا عليه من قبل خاصة لاهوته الأزلية الحالّةِ[٦] في الجسد المتخذ من طبيعتنا وان كان لم يَعْرَ المتحد بنعمه من كل ماله من اسم اللاهوت وذات الربوبية والملك والسلطان والقدرة من ساعة جبلهِ وأخذْهِ معه إلى أبد الآباد. وهذا ممّا في العتيقة من الشهادات على وحدانية الابن باتحاد جوهريه[٧].

---

١. هكذا.

٢. «عليك».

٣. اشعيا ٧: ١٤.

٤. «نما» في النص.

٥. في النص: «السنه» هكذا.

٦. «الحال».

٧. في النص: «جوهره».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فأما ما تتلو الحديثة من الشهادات على ذلك فأكثر من أن يحصى[١] ويُجمع في هذا الموضع. غير انّا نأتي فيها بما تخبر إن شاء الله، ونبتدئ بما قاله الأعمدة الأربعة مبشرو[٢] الحق الذين[٣]، ولو كانت الإنجيل في صدور مقالاتهم وما يستنتج كل واحد منهم قوله في نسبه وحاله، فان في ذلك بياناً ودلائل واضحة لأولي الألباب على ما أخبرنا من تجسد الإله والإنسان في بنوة هذا الابن الوحيد الذي عليه أخبرنا.

يقول متّى في مبتدا كلامه: «هذا كتاب يسوع المسيح بن داود بن مريم بن ابراهيم»[٤]. وقال مرقوس: «هذا رأس إنجيل يسوع المسيح بن الله»[٥]. وقال لوقا: «ان[٦] لما صار الملاك إلى مريم ليبشّرها بالحمل قال لها ان روح القدس تأتي وقوة العلي عليك ولذلك الذي يولد منك بار طاهر[٧] وابن الله يدعى»[٨].

[100 a] وقال يوحنا: «لم يزل كان الكلمة، والكلمة كان عند الله والله هو الكلمة // هذا لم يزل لدى الله. وكلٌّ به خلُق ودونه لم يكوَّن شيء ممّا كان»[٩]. ثم أجرى كلامه على نسقٍ واحد حتى سمّى الكلمةَ يسوعَ المسيح أنه ابن الله أفلا ترى متّى يشهد بأنه إنسان بناسوته من جوهر الأنس من زرع داود من نسل ابراهيم، ويوحنا أنه أزلي قديم بلاهوته وهو خالق كلٍّ وبه قوام كلٍّ وبيده ملكوت كلّ. ومارقوس ولوقا يشهدان اتحاد الأزلي والبشري في بنوة واحدة ومسيحية واحدة، إذ أكملا القول فيه وسمّياه يسوع المسيح ابن الله.

فان كان القوم صادقين فيما قالوا محقّين فيما وصفوا، ومعاذ الله أن يكذبوا

---

١. «يحصا».
٢. «مبشري».
٣. كذا، ولا بد من أن تكون كلمة قد سقطت.
٤. متى ١: ١.
٥. مرقص ١: ١.
٦. «انا».
٧. «باراً طاهراً».
٨. يدعى. النص في لوقا ١: ٣٥.
٩. يوحنا ٩: ١ ــ ٢.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في اختلاف نعوتهم اياه في حالاتِ واتفاق صفاتهم في جهات انسيّته المخلوقة من جوهر آدم نم نسل إبراهيم وزرع داود. ويوحنا يبشر كما سمعت عن ذات لاهوته القديمة من جوهر أبيه من طباع والده. ومارقوس ولوقا يكملان[١] القول على وحدانية الابن وتجسد الجوهرين حين سمّياه يسوع المسيح ابن الله. وكلهم يشهدون من بعد أنه المسيح ابن الله، إذ لم يشهدوا بذلك من تلقاء أنفسهم بل بروح القدس الذي أوجب تحقيق قولهم لدى الحق أجمعين وقبول كتابهم بالآيات والعجائب التي أجراها الله على أيديهم، هو الذي أجرى بهذه الأقاويل كلامهم[٢] وانطق بهذه الشهادات السنتهم وقلمهم[٣] من بعد إلى ما جروا به من تقلبه وحالاته وصنائعه وأفاعيله الدالة على ذلك منه.

يقول متى: انه لما اخبر[٤] يبحث[٥] في طلب الصبي ليقتله «تراءى[٦] ملاك الرب ليوسف في منامه وقال له: قم فخذ الصبي وامه واهربوا إلى مصر»[٧]. ثم يقول في مكان آخر: «لما دخل مدينة الجليل وأولت الشياطين وصاحت منه وجعلت تصيح وتقول: ما لنا ولك يا يسوع // [100 b] يا يسوع ابن الله جئت إلى ههنا قبل الوقت لتهلكنا. فزجرهم ايسوع بكلمته وطردهم في أجواف الناس بأمره».

فمن ذا يستجيز أن يقول ان الجوهر الذي يطرد الشياطين الروحانيين من أجواف الناس بكلمته [هو] الذي هرب من هيرودس الضعيف المهين بعينه وطباعه. أوَليس هذا بيّن لكل ذي لبّ ان الإله الذي خضعت له الشياطين الروحانيون لكلمته هو الذي أنشأها وخلقها بقدرته وقوته؛ ان الشخص الذي هرب خوفاً من

---

١. «كملان».

٢. «فلامهم».

٣. «وقلمهم» قراءة غير مضمونة البتة.

٤. «لما أحب» في النص أو «لما أخذ». ولا شك في أن الجملة ناقصة، واصلها: لما أخبر هيرودوس بميلاد يسوع...

٥. في النص: «يتجب».

٦. «تراااء».

٧. متى ٢: ١٣.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

هيرودس أن يقتله هو البشري الذي ازر[١] فيلاطوس من بعد في قتله وصلبه: وجميع الموصوفَين[٢] أُجريا وقيْلا[٣] على وجه واحد أي مسيح واحد وابن واحد.

ويقول متى أيضاً: انه أشبع سبعة آلاف رجل من أربعة أرغفة شعير. وفي موضع آخر يقول انه جاع من صومه وسعى إلى شجرة تين يبتغي فيها ما يداوي بها كلوم جوعه. وهذا واضح ان الذي غلب سلطانُ الجوع على طباعه ليس بالذات التي خلقتْ من أربعة أرغفة ما أشبع به بطونَ ألوفٍ جائعة: وكلا الأمرين قيلا في المسيح الواحد.

ويقول انه دنا إلى ابنة يوارس وهي ميتة فقال لها آمراً: أيتها الصبية قومي فقامت الصبية من ساعتها. وقال انه تضرّع في الوقت الذي صار في أيدي قاتليه وقال: يا أبتاه اصرفْ عني هذا الكاس. وهذا معروف ان الجوهر الذي يحيى الموتى بأمره ليس بالجوهر الذي تضرّع به إلى خالقه ومحييه أن يصرف عنه كاس الموت بذاته وطباعه: جميع العينين فُكّرا عن المسيح الواحد الابن الواحد.

[101 a] ويقول مارقوس: ان يسوع كان نائماً في السفينة وهبّت ريح كادت ان تُغرق السفينة // فأتى تلاميذه فانبهوه. فلما انتبه من نومه انتهر البحر بكلمته فهدّأه وسكّنه بأمره. فهذا بيّن أيضاً ان الجوهر الذي خضعت الريح والبحر لكلمته ليس بالجوهر الذي كان في سنة النوم بعينه وطباعه: وجميع الأمرين ذُكرا عن المسيح الواحد الابن الواحد.

ويقول لوقا: ملاك الرب تراءى للرعاة وقال لهم: «اني أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع أهل العالم. لقد ولد لكم مخلص وهو الرب المسيح في مدينة داود»[٤]. ويقول من بعد: «إن يسوع الصبي كان ينشو[٥] ويزداد في قامته وحكمته وفي النعمة

---

١. «ارر».
٢. أي كلا الموصوفَين.
٣. «احربا وقتلا».
٤. لوقا ٢: ١٠ ــ ١١.
٥. «ينشوا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عليه»[١]. أفلا ترى كيف يخبر أن المسيح الذي هو رب ومخلص بلاهوته هو المولود من جوهر آدم بذات ناسوته، وهو الطفل الناشئ في قامته وتربيته المنعَم عليه فيما أُوتي من علمه وحكمته. والا فليس بجائز أن يكون الرب المخلص بجلاله وعظمته هو الطفل الناشئ قابل الحكمة والمزاد من النعمة من غيره[٢] يوماً قيوماً بذاته وجوهره: وكلا القولين قيلا في المسيح الواحد الابن الواحد.

ويقول يوحنا: «ان يسوع قال لأوليائه ان العازر حيينا توفي واني فَرِحٌ إذ لم أكن هناك من اجلكم لتؤمنوا»[٣]. ويقول انه أتى موضعَ قبر العازر من بعد ما دفن بأربعة أيام وجعل يبكي وتسيل دموعه. ثم انه دنا إلى باب القبر فرفع صوته وقال: يا لعازر اخرجْ، فانبعث الميت بأمره وخرج من القبر حياً بكلمته. وهذا بيّن أن الإله الأزلي الذي لا يخلو منه موضع ولا ينتقل من مكان إلى مكان ومحيي الموتى[٤] أمر بفهم وسلطان[٥]، ليس البشري الذي فزع وبكى ومضتْه الأحزان. وكلا الوصفين ذُكرا[٦] عن المسيح الواحد الابن الواحد. // [102 b]

فهذا بعض ما يخبر الإنجيل من تقلّبه وحالاته وصنائعه وأفاعيله الدالة على اختلاف جوهرَيه ووحدانية بنوّته. فلنذكر الآن أقاويله التي كان يُحيل فيها على ذلك من حاله. يقول يوحنا: «ان يسوع قال لأوليائه: إنا صاعدون إلى أورشليم وابن البشر يُدفع إلى أيدي الخطاة فيها رويداً ويُقتل ويُصلب وفي اليوم الثالث يقوم». ويقول في موضع آخر ان يسوع قال ذات يوم في مجمع من الناس: «انا خبز الحياة الذي هبطتُ من السماء». ويقول في موضع آخر انه لقي ذلك الذي وُلد من أبيه ضريراً من بعد ما فتح عينيه فقال له: «أتؤمن

---

١. لوقا ٢: ٥٢.

٢. «من غير» فقط في النص، أي من «الغير».

٣. يوحنا ١١: ١٤.

٤. «الموتا».

٥. قد يكون: ومحيي امره الموتى بفهم وسلطان.

٦. «ذكر».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أنت بابن الله. فقال له الرجل: ومن هو يا سيدي حتى اؤمن به. فقال له المسيح: قد رأيته وهو الذي يناجيك ويكلمك».

فهذه الثلثة أقاويل قالها المسيح في نفسه لا يُحمَل منها شيء على معنى واحد وآخر سواه. فأيّ بيان أبين وشهادة أوضح من بيانه جوهرَيه وانتحالهما في بنوةٍ واحدة من قوله: أنا البشري أُهانُ وأُذَلّ وأُقتل وأُصلب وانبعث حياً، وأنا الخبز الذي هبطت من السماء، وأنا ابن الله حقّاً.

ويقول في مكان آخر: «ان يسوع قال لجماعة اليهود انكم تريدون قتلي وأنا رجل كلمتكم بالحق»[١]. وفي مكان آخر يقول: «ان يسوع قال لليهود: ان ابراهيم اباكم كان يتمنّى أن يرى يومي فرآه وفرح. قال له اليهود: وأنت لم تأتِ لك خمسون سنة بعد وقد عاينتَ ابراهيم. أجابهم وقال: حقاً أقول لكم اني من قبل أن يكون ابراهيم قد كنت أنا»[٢].

[102 a] ويقول في موضع آخر: ان يسوع قال لجماعة اليهود // انكم انما تريدون قتلي لما أخبرتكم اني ابن الله. فان لم أعمل أعمال أبي فلا تصدقوني». أفلا نرى أنه يقول اني رجل بشري كلّمتكم بالحق وأنتم تريدون قتلي. وقد أخبر إنجيله من قبل انه إنسان ولد من نسل إبراهيم بعد نيّف وأربعين عقباً. ثم يقول: «اني قد كنت من قبل ابراهيم أبيكم الذي تمنّاني»، ويقول اني ابن الله وانما أعمل عمال أبي، أخلق كما يخلق أبي. وكيف لا يكون صادقاً في قوله: انا رجل بشري، انا[٣] أُقتل، وأنا قبل ابراهيم لم أزل، وأنا أنا ابن الله حقاً، ألا والانسيّة المحدثة من ابراهيم فيه ثابتة، واللاهوت القديمة خالقةُ ابراهيم فيه موجودةٌ، والبنوة الواحدة[٤] اسوته ولاهوته شاملةٌ جامعة.

وهذا أيضاً بعض أقاويله التي كان يحيل بها على جوهرَيه وعلى وحديّة

---

١. يوحنا ٧: ١٧ ــ ١٩.

٢. يوحنا ٨: ٥٦ ــ ٥٩.

٣. «وما» في النص.

٤. أي الموحدة، أو «الواحدة في...».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بنوّة قنومية، وقد وضع ذكر الله فيه هذا الابنَ من جميع كتبه، أم أجرى الابن فيه ذكرَ نفسه، أم وصف فيه شيئاً من صنائعه وأفاعيله[١]، الاّ وقد شرح فيه بدلالات واضحة وشهادات قاطعة في جوهرَيه المتوحدين وقنومَيه اللذين[٢] من لاهوته وناسوته.

المسألة الثامنة عشرة[٣]

فان قال: وما معنى هذا الاتحاد والاتفاق الذي زعمتم بين الإله والإنسان، وما مذهبكم فيه. أتعنون أن الإله والإنسان تركّبا فقام منهما إنسان واحد غيرهما، بشري احد، أم اختلطا وامتزجا فصار منهما طباعاً حادثاً غير اللذين[٤] كانا، كهذه النتائج المكوَّنة من بين الأجسام الهمازة المفسدة بعضها[٥] بعضاً، فماذا تعنون، فاخبرونا.

الجواب قلنا: نعني بذلك انه، إذ اتخذ اللهُ الكلمةُ ذلك // البشريَّ له جسداً وهيكلاً ومحلاً، [102 b] استحق البشري المتحمّل لذلك حقَّ البنوّة وحظَّها مع المتجسد الآخر واستويا فيها جميعاً. وهنالك أيضاً ساواه في كل ما ذكرنا من ربوبيته وملكه وجميع سلطانه وجميع ماله، ما لم يمكن مساواته فيه من أزلية ذاته وروحانية جوهر ذلك، من غير أن ينالَ الأزليَّ في شيء من ذلك مماسّةٌ أو تركيب أم اختلاط أم امتزاج أم فساد ام شيء ممّا يجري من الأجسام المخلوقة من نتائجها واستحالتها[٦]، بل أعلى[٧] وارفع من كل ما أدركته الأوهام المحدثة المكونة.

فهذا مذهبنا في مائيّة[٨] هذا الاتحاد والاتفاق من الإله والإنسان، ليس الاّ.

---

١. «وفاعليه» في النص.

٢. «الذي».

٣. وهي الثالثة في الترقيم المحدث.

٤. «الذين».

٥. «وبعضها» في النص.

٦. «واستحالها».

٧. «اعلا».

٨. «مابية»، أي «ماهية».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة التاسعة عشرة[١]

فان قال: فهبْكم تخبرون لأنفسكم ما تدّعون من اشراكه إياه فيما له من السلطان والملك والدينونة وما أمكن في هذا وشبهه، لِمَا زعمتم من أنه أنعم بذلك عليه إنعاماً، فأما ما ذكرتم من تجسده إياه وائتلافه به وحلوله فيه فكيف كان وكيف أمكن من لا مماسة ولا ممازجة ولا تركيب ولا تحديد[٢] ولا لزوم عرض؟

الجواب قلنا: إنما يلزمنا الجواب في أن فعلَ وما فعل[٣]. فأما كيف فعل فليس يلزمنا فيه الجواب، كما أن سائلا لو سأل هل علي[٤] خلقُ الله خلقاً، لم تُنكر عليه مسألته ولا قيل له: سألت عظيماً لا يمكن دركه والجواب عنه. بل يقال له نعم قد تجد خلقاً مخلوقاً وتعلم ان له خالقاً واحداً خلقه من لا علاج ولا كلفة ولا تعب ولا حركة.

فان عاد الثانية فقال: وما خَلْقُه الذي خلقه بلا حركة ولا علاج؟ فقيل له: سألت عظيماً لا يمكن المخلوقين دركه والجواب عنه. امّا // أن يكون قد خلق، فقد علموا وأما ماذا خلق من [103 a] العالم وأهله، فلم يجهلوا. وامّا كيف خلق وكيف صنع من لا حركة ولا علاج، فلا سبيل إلى معرفته والأخبار عنه، لأن المخلوق لا يفعل فعلاً من [دون][٥] الحركات والعلاج. كذلك لا جواب لمسألة عن كيفيّة تجسد الله واتحاد الجسد مع المتجسّد في جهة تلك البنوة، الذي يلزمنا الجواب فيه من السؤال أن هل تجسد وهل اتحد. فاما معنى تجسده واتحاده فقد أجبنا فيه بالذي سمعت. فاما كيف تجسده وكيف اتّحد فلا سبيل إلى دركه والجواب عنه.

---

١. المسألة الرابعة في الترقيم المحدث.

٢. الكلمة ممحوة ولكننا نتبصر فيها كلمة «تحديد» استناداً إلى ورود مثلها في آخر المسألة.

٣. «فعلي».

٤. «علي»، هكذا في النص، ولعلها بمعنى «عِلَي»، أو «علا».

٥. في النص «من» فقط، والمقصود: «الاّ من»، أو «من دون».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

غير انا نوقن بصورة لا شك معها ان جوهر الأزلي جلّ ثناؤه متعال[١] عن مماسّة الأجسام ومخالطتها والامتزاج بها والتركيب معها والتحديد فيها وقبول الأحداث والاعراض من قِبَلها. ولا ندفع ذلك من ايجاب الاتحاد والتجسد عندما أخبرنا به من كتبه اضطراراً.

المسألة العشرون[٢]

فان قال: واذ لم يمكنكم ان تخبرونا عن كيفية ذلك التجسد والاتحاد، فأخبرونا[٣] لماذا تجسد واتحد وما الذي دعاه إلى ذلك. فقد تزعمون ان الحكيم لا يفعل شيئاً عبثاً لغير معنى.

الجواب قلنا: ألا ان الحكيم عزّ جلاله متعال[٤] عن أن يفعل شيئاً عبثاً لغير معنى. كذلك لم يكن تجسّده وتأحيده عبثاً بلا معنى، بل جوده وكرمه وصلاحه وجبروته [التي دعته][٥] إلى أن أبدع وأنشأ خلقه، هي التي دعته أخيراً إلى انتقام نعمته واستكمال احسانه بتجسده بشرياً من خلقه. وذلك ليوجب للبشري بتجسده اياه حظَّ بنوته وسنا // ربوبيته وليعمّ الخليقةَ كلها شرفُ ما [103 b] أناله الشخصَ الواحد الأنسيَّ المستخَصّ من جميعها.

المسألة الحادية والعشرون[٦]

فان قال: وأيّ شرفٍ عمّ الخليقة في ابتدائه هذه الأمور إلى بشريٍّ واحد من بينها، وفي إشراكه إياه في شرفه وربوبيته دونها. وما باله إذ[٧] استقام له

---

١. «متعالي».
٢. المسألة الخامسة في الترقيم المحدث.
٣. «وأخبرونا».
٤. «متعالا».
٥. نفترض نقصاً في النسخة: جبروته التي دعته إلى أن أبدع وأنشأ خلقه هي التي...
٦. هي المسألة السادسة في الترقيم المحدث.
٧. «إذا» في النص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

هذا التجسد ثم أراد به استتمام نعمه المتقدمة على الخليقة فيما أنشأ من خلقها، لم يتّخذها كلَّها أجساداً.

الجواب قلنا: انه ان كانت بينه[١] ذات العالم الكبير الذي هو مجمع الخليقة، فمهما انبل العالم الصغير الذي هو الإنسان شرفاً أم أفيضت عليه نعمه فقد[٢]. ذلك ذات العالم الكبير معاً. كما أنه بلغ الملك بالدرة الثمينة واتباعها بالثمن الكبير الجزيل شملت تلك الكرامة التي خصّ بها الدرة الواحدة جوهرَ اللؤلؤ كلّه كمالاً[٣].

وكما أنه إذا اختصّ الملك رجلاً واحداً من أهل بيت فقرّبه وأدناه إلى نفسه وحباه وفوّض إليه أمره وسلطانه عمّت بذلك الرفعة التي خصّ بها الواحد من أهل بيت. كذلك شرفت الخليقة كلها شرف الواحد المختَصّ من جميعها.

واماّ امتناعه أن يتّحد بالخلائق كلها له أجساداً مخلَّصين[٤]... انه لم يشأ[٥] بحكمته أن يضع نعمته حيث لا يبتهج لها أهلها ولا يعرف المنعم عليه بها عظمَ قدرها ولا يوجد لديه امكان الشكر على جسيم خطرها. وانه لو أنعم النعمة على سوى طبيعة الناس، إذاً لكانت نعمته مجهولة لا يبتهج لها أهلها ولا يؤدوا إلى المنعم ما يستحق من الشكر عليها. بل إذ[٦] أراد أن
[104 a] تستتمّ نعمته // المتقدمة على الخليقة كلها بهذه الفضائل التي كانت لديه موجودة لها، فعل كالذي يليق بحكمته فوضع مواهبه بحيث يعرف أهلها فضلها فيديمون[٧] له الشكر على ما ابتدأ

---

١. يوجد طبعاً كلمة ناقصة هنا في جملة معطلة.

٢. أيضاً كلمة ناقصة دون شك هنا. والمعنى هو التالي: إذ كان بينه وبين العالم الكبير رابطة، فالشرف الذي أفاضه على العالم الصغير، أي الإنسان، قد شرف العالم كله.

٣. الجملة أيضاً ينقصها ما لا يستقيم بدونه معناها ومبناها، مع أن المعنى ظاهر من التشبيه بين الدرة المختارة وسائر اللآلي، شرف هذه هو شرف الجميع.

٤. هنا في النص ثلاث كلمات: «لا يجهلان احداهما» لا رابطة لها بما تقدم وما يلي. والمعنى ظاهر: لم يتحد بالخلائق كلها لأنها كانت جهلت هذه النعمة.

٥. «يشأ» أو «يرد» افترضناها وهي غير موجودة في النص.

٦. «اذا».

٧. «فيديموا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الفهم من عظيم قدرها، أعني دون العقول من جوهر الناطقين الروحانيين والجسدانيين.

والأحرى انه، مع ما أراد بهذا التجسد من تقريب جوهر الناطقين الذي تجسد الشخصَ الواحد من أهله إلى نفسه[١] وإيجاب جوهر بنوته له بذلك، أحبّ ان يُظهر فيه كنه جوده ويكمّل لديه خلة نعمته واحسانه فيؤتيه منزلةً لاهوته ومرتبةَ ربوبيته، فله اتحد الخلايقَ كلها اتحاداً[٢] لم يكن إلى البلوغ بها إلى رتبه الاله الذي رفع منها إليها سبيل[٣]. لأنه إنا صحت لذلك الواحد رتبة الإله وخلصت له دونه الربوبية حتى علا فوق كليّة وجود له الكل[٤]. فباعتلائه على الكل كملت رفعته وشرفت الخليقة كلها بشرفه. ولو اتخذ كل ما خلق له أجساداً لم يجمل[٥] بحكمته وعدله أن نعبد الأشياءَ كلها كل شيء واحد من بينها جمعاً، إذ كلها بالسويّة له أجساد. بل لو تجسدها كلها بحوله[٦] أن يرفعها عن أن يعبد بعضها بعضاً، فكانت غير بالغة رتبة الإله التي رفعها جمعاً إليها بالواحد الذي استخلصه من جميعها فرفعه إلى أعالي السماء وحوله مبرية[٧]، كيف كذلك لو اتخذ جميع أشخاص الأنس له أجساداً لاستحال أن يبلغ بها جمعاً إلى الدرجة التي رفعها إليها برفعة الواحد الذي انتخبه من بينها.

المسألة الثانية والعشرون[٨]

فان قال: فلِمَ استخلص هذا التجسد وهذه الفضائل شخصاً ترابياً دنّياً من أشخاص الناس دون شخص روحاني شريف من أشخاص الملائكة.

---

١. أي: من تقريب جوهر الناطقين... إلى نفسه.

٢. «اتحاد».

٣. أي: لم يكن إلى البلوغ... إليها سبيل.

٤. كذا.

٥. «يحمل» في النص.

٦. كذا في النص.

٧. كذا، وقد تكون بعض الكلمات ساقطة من النسخة سهواً، فالمقطع كله مضطرب التركيب والمعنى.

٨. المسألة السابعة في الترقيم المحدث.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الجواب قلنا: أو تجسد شخصاً من أشخاص الملائكة بدل تجسده شخصاً من أشخاص الناس، لم تعمّ حياته وكرامته // الخليقة كلها، فانه لا قرانة بين الروحانيين محضاً وبين [104 b] الجسدانيين[١] محضاً في ذات الجوهر أصلاً. لكنه أراد جلّ ثناؤه أن يعدل بين الخليقة كلها فيما لم يزل يهمّ به من حيوتها[٢] وتقريبها وتشريفها بلطف حكمته، فخلق خلقاً واحداً جمع فيه من كل ما خلق من جواهر الحيوان والموات والأجسام والأرواح جميعاً ثم علّل[٣] الأعقاب من نسل الواحد الذي خلق، وانتخب منها جميعاً[٤] شخصاً طاهراً زكياً نقيّاً فتجسده وأخذه في ملكه وسلطانه. ثم رفعه أعلى مكانة ودعا الروحانيين كافةً إلى تحميده وتمجيده حتى إذا هم قصدوا نحوه بتسبيحهم وتهليلهم وتقديسهم وترتيلهم، كانهم إنما يقصدون بذلك نحو أنفسهم فيخبرون ويفرحون ببلوغ العضو المنزَع من جوهرهم إلى المنزلة التي ساوى[٥] فيها حالتهم.

المسألة الثالثة[٦] والعشرون

فان قال: فكيف خصّ مع عدله وانصافه ذلك البشريَّ الواحد بهذه الفضائل كلها دون غيره من أهل جوهره.

الجواب قلنا: خصّه بها دون غيره من أهل جوهره لفضله على جميع أهل جوهره في برّه وطهارته وحبورته[٧].

---

١. الجسدانيين هي الأصح من «الروحانيين» الواردة هنا في النص.
٢. «حيوتها» بمعنى «احيائها» دون شك.
٣. «يحلل» في النص.
٤. «جمعاً».
٥. «ساوا».
٦. وضعت كلمة «الثامنة» بالخط المحدث ونسي صاحبه محو كلمة «العشرون» من الترقيم القديم.
٧. في النص «جبورته»، والكلمة ترد للمرة الثانية؛ هل يعني بها «الحبورة» أي الامامة، مأخوذة من «حبر»؟ أم بالأحرى من «حبر» بمعنى الحسن.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة الرابعة والعشرون[١]

فان قال: فكيف كان ذلك لحبورته[٢] وبرّه، وقد تزعمون انها ما أوجبت منذ وقت الحبل[٣]، فهل كانت له، إذ كان في أمّه، أعمال استحق بها هذه الأمور من صانعه؟ وهل كانت لغيره، ممّن في بطن أمّه أيضاً، أعمال يستحق بها حرمان ذلك من خالقه. فان لم تكن هناك أعمال استحق بها ثواباً[٤] ولا لغيره ما استوجب به حرماناً، فكيف يجوز لعدل الحكيم أن يخصّ بعض الأطفال بشيء من المواهب دون بعض.

الجواب قلنا: انه ليس بمنكر للجواد الحكيم النافذ العالم في الكائن من أعمال خلقه أن يقدّم لمن سبق علمُه[٥] فيه أنه لا يميل إلى شيء من // الفساد، ولا يختار الاّ الخالص من البر [105 a] والصلاح، أحسنَ المآب وأجلَّ الثواب كالذي أظهر من صنعه ذلك بغير واحد[٦] من خلقه، منهم صموئيل[٧] ومنهم ارميا الذي قال له: «ان من قبل أن أصوّرك في بطن أمك عرفتك ومن قبل أن أخرجك من الرحم طهّرتك وجعلتك نبياً للشعوب»[٨]. كذلك لم يُنكَر له عزّ وجل أن قدّم هذه المواهب للشخص الذي إليه أسندها وايّاه خصّ بها، على العلم منه بالكائن من صلاحه وحبورته[٢] وفضله على جميع أهل جوهره.

---

١. المسألة التاسعة في الترقيم المحدث.

٢. «حبورته» كلمة ترد للمرة الثالثة، وقد تكون مصاغة من «الحبر» أي الحسن.

٣. في النص يوجد هنا كلمة «والحبل» ولا محل لها، إلا كانت «والجبل».

٤. في النص «تراباً».

٥. في النص كلمة «عليه»، أي أن يقدم إلى من سبق فعلم انه...

٦. في النص: «بعد واحد». والمعنى: كما صنع بغير واحد من خلقه مثل صموئيل وارميا.

٧. في النص شموايل.

٨. سفر ارميا ١: ٤.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة الخامسة والعشرون[١]

فان قال: ما الدليل على أنه كان أفضل الخلائق كلها وابنِ أهل جنسه أجمعين؟

الجواب قلنا: الدليل على ذلك واضح من اختصاص الخالق اياه بهذه الفضائل دون غيره. فاذ[٢] كان عزّ جلاله حكيماً لا يجهل وعدلاً لا يجور، بلا شك انه لم يجد في كل خلقٍ خلقاً أفضل ولا أبرّ ولا أحقّ بهذه المواهب التي خصّه بها منه. ولو كان في الخلق أحد يتقدمه في الحبورة[٤] والبرّ والصلاح، لما جهل الحكيم مكانه ولا كان ليُبدي مواهبه إلى أحد من خلقه سواه.

المسألة السادسة والعشرون[٣]

فان قال: فهل كان مستطيعاً لركوب المعاصي والآثام والتغيّر عن الحبورة والصلاح من بعد تجسّد خالقهِ اياه؟ فان زعمتم انه كان لذلك مستطيعاً، فقد أقررتم انه كان غير معصوم من الآثام والخطايا، فانه لم ينتفع بتجسد خالقهِ إياه شيئاً، ولعلّه لم يلبث في برّه وصلاحته، ان رجع عنهما، الا زمناً[٤] يسيراً. وان زعمتم انه لم يكن كذلك فقد أوجبتم انه //[٥] كان على بره [105 b] وصلاحه واجتنابه المعاصي المحارم مجبوراً. ولا حمدَ للمخلوق على طاعته، إذا كان عليها مقهوراً، ثم كان غيره ممّن برَّ وأطاع ربَّه بإرادته هو[٦] أولى بنعمائه[٧] منه اضطراراً.

الجواب قلنا: قد كان، مطلقاً، مستطيعاً، فلم يكن إذن معصوماً، ولا علْمَ لنا بالمعصوم عندك ما هو، إلاّ أن تزعم ان المعصوم ممنوع أي مجبور

---

١. المسألة العاشرة في الترقيم المحدث.

٢. «فان».

٣. المسألة الحادية عشر في الترقيم المحدث.

٤. في النص «زمنياً».

٥. في النص هنا ترداد حذفناه، وهو: «لذلك فقد أوجبتم».

٦. «وهو» في النص.

٧. أو «بنعماته».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ومجبول على اجتناب المحارم. فان زعمت ذلك فقد أخبرناك انه غير ممنوع جبراً، بل كان ممنوعاً كغيره من الناس أموراً، معصوماً إليه فيها هواه ومشيئته، مجبراً[١].

وأما قولك انه لم ينتفع بتجسد خالقه إياه ان لم يعصمه من ركوب المعاصي والمحارم، فقد لعمري انتفع بتجسد خالقه إياه إذ استحق شرف الاهيته وسنا ربوبيته والاستواء معه في بنوته.

فأما العصمة[٢] التي معناها الجبر على ترك المعاصي فلم تحلّ به رأساً ولا انتفع من قِبَلها، كما قلتَ، شيئاً، بل كان نفعه في الإطلاق والتفويض اللذين[٣] كانا ضدّ الجبر والقهر وخلافهما، وبهما اكتسب ذات الحياة والصلاح اللذين[٤] أوجبا له نعمة التجسد والتأحيد.

المسألة السابعة والعشرون[٥]

فان قال: فهل كان مستحقاً للمواهب التي أوتيها من التجسد والتأحيد وغير ذلك. فان كان مستحقاً، فلا حمد للمُعطي على عطيته إياه ولا نعمة له فيها عليه، إذ كان إنما استولى على حق له كان مستوجباً وان كان غير مستوجب له فقد وضع المعطي عطاياه في غير موضوعها.

الجواب قلنا: اما تجسده إياه فقد كان بنعمة وتفضّل منه عليه وعلى أهل جوهره، كما أخبرنا تثبيتاً لأمور تقدمت منه استحق بها أن يتخذه له جسداً، ولو بلغ[٦] في حبورته[٧] أضعاف // ما بلغ منها. وأما ما سوى ذلك من تشريف الحال في الربوبية والملك والسلطان وما أشبه ذلك واستحقاق ذلك واستيجاب لتجسد [106 a]

---

١. جملة مضطربة.

٢. في النص «المعصية»، وهي دون شك «العصمة».

٣. «الذين».

٤. «للذين».

٥. المسألة الثانية عشرة في الترقيم المحدث.

٦. «أبلغ».

٧. حبورته أي حسنه.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خالقه اياه، وان كان الجواد إنما بتجسده إياه رويا[١] ليوجب له به هذه الفضائل إيجاباً. كما[٢] أن الملك الجواد الكريم إذا أراد أن يكمّل نعمته على قوم ويتمّ احسانه إليهم ويحبوهم بأفضل ما يمكنه من الحيوة[٣] ويقرّبهم إلى نفسه أقرب ما يجد السبيل إليه[٤] من القربى، حطب[٥] إليهم وخلط نفسه بهم، حتى إذا وُلد له فيهم ابنٌ واسطٌ منه ومنهم، استحق الابن وراثةَ[٦] ملك أبيه وسلطانه وجميع ما له كاملاً[٧]. والصبغة[٨] الأولى من مصاهرته[٩] القوم وخلْطِ نفسه حياةٌ[١٠] منه لهم وانعام[١١] منه عليهم. وأما وراثة المولود منه ومنهم الملكَ والسلطانَ فحقٌّ واجب لا بانعامٍ منه على ابنه ولا عليهم.

كذلك أيضاً إنما أوجب المتجسد على الجسد وعلى أهل جوهر الجسد من قِبَل تجسده إياه خاصة. وأما ما سوى[١٢] ذلك فباستحقاق واستيجاب لتجسده إياه كما أخبرنا.

المسألة الثامنة والعشرون[١٣]

فان قال: فهل يقدر خالقه أن ينزع عنه ما انعم به عليه من التجسد والتأحيد، ويستردّ منه ما أصار إليه من الملك والسلطان والقدرة؟ فان زعمتم انه غير قادر على ذلك، قيل لكم: وهل يقدر البشري المُعطَى أن يمنع فلا يردّ ما أُعطيَ

---

١. كذا.

٢. «كما» مكتوبة مرتين.

٣. ولعلها «الحيوة».

٤. في النص: «السبيل إلى إليه».

٥. لعله يقصد «حطب عليهم» أي مال.

٦. «وراتت».

٧. أو كمالاً، كملاً.

٨. هي «الصيغة»، أم «الصفة».

٩. في النص «مضاهرته»، أهي «مظاهرته».

١٠. «حيوة» في النص: أهي «حيوة».

١١. «وانعاماً».

١٢. «ساوى».

١٣. الثالثة عشر في الترقيم المستحدث.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وأُنعم[١] به عليه. فان قلتم[٢]، رجع الحكم إلى عجز المعطي عن الأخذ. وان قلتم: كلا ما يقدر أن يمتنع من ردّ ما أنعم عليه، قيل لكم: فما يؤمنكم أن يكون قد استردّ منه ما أعطى؛ وفي ذلك أيضاً ابطال ما ادعيتم ان الخالق أحَّدَه في كل ما له وصيّره مثله في الملك والقدرة والسلطان والمنعة وساواه في الأشياء كلها ما خلا ذات جوهره بلا زيادة ولا نقصان.

[106 b] الجواب // قلنا: ان مسألتك هذه مستحيلة من أصلها، وذلك لامتناع الجهتين واستحالتهما جميعاً. لأنه إذ أحّده فصيّره معه في القدرة والمنعة والسلطان والإرادة شيئاً واحداً، فلن يريد المخلوق شيئاً إلا ما أراده الخالق ولن يريد الخالق شيئاً إلا ما أراده المخلوق. ومحال أن يرغب المخلوق في التخلي عن الفضائل التي يحبها.

وأيضاً فاذ قد ساواه بنفسه في القوة والقدرة والمنعة وصيّره معه شيئاً واحداً، استحال من بعد أن يُوصف احدهما عاجزاً والآخر ممتنعاً. كما لو أن الله جلّ ثناؤه شاء أن يصيّر خلقَين من خلقه في القوة والشجاعة والجلَد والمنعة سواءً، لاستحال أن يقال هذا أقوى من ذاك أو ذاك أقوى من هذا. إلاّ أن تقول ان الخالق لم يمكنه أن يصيّر البشريَّ الذي تجسده في القدرة معه شيئاً واحداً، كما يمكنه أن يجعل خلقين من خلقه في القوة سواء. وأنت واصف لخالقك بالعجز عمّا يشاء دوننا.

وان أقررت بأنه قادر على ما يشاء ويمكنه البلوغ بأضعف خلقه إلى القوة التي لأعجز بشرّيها[٣]، فقد يستحيل، من بعد تبليغه إياه إلى تلك الحال، أن يقال إنه يعجز عن كذا وكذا وتقصر قدرته عن كذا وكذا.

كذلك إذ تجسّدَ ذلك البشريَّ وأحّدَه في قدرته التي لا قدرة فوقها، ساواه بنفسه في كل الأمور التي ساواه فيها، فلم يجعل بينه وبين نفسه فصلاً ولا بينونةً[٤]

---

١. «وانعمه».

٢. أي فان قلتم هذا.

٣. هكذا قرأنا الكلمتين.

٤. «يتبوئه».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في شيء منها جميعاً. فقد يستحيل أن يقال ان احدهما عاجز ضعيف والآخر قوي منيع.

المسألة التاسعة والعشرون[١]

فان قال: وكيف تزعمون انه لا فصلٌ[٢] ولا بينونة[٣] بين الجوهرين في العز والسلطان والمنعة، وقد تصفون المخلوق بالانقياد[٤] للاعراض والافات والعاهات، ترفعون // جوهر الخالق عن ذلك أجمع. واية[٥] بينونة[٦] أعظم من هذا وأبعد، أي دليل على باطل ما تدّعون من اتحادهما واستوائهما فيما وصفتم أبين من هذا وضح. فان زعمتم أنه لو يوحَّد في الجوهر، أي لم يصر جوهره وجوهر المخلوق جوهراً واحداً، فلذلك باينه[٧] فيما كان للمخلوق جوهرياً من قبول الاعراض لآفات، قيل لكم: ففي أي عزٍّ أو أي منعة إذن اتحدا واستويا، ان ثبت[٨] جوهر الخالق على ما لم يزل عليه من التعالي عن الآفات وجوهر المخلوق على الانقياد بها حتى الممات. [107 a]

الجواب قلنا: ألا انّا قد أخبرناك في صدر كلامنا انه لم يساوهِ في الجوهر بل إنما ساواه في الأمور التي يوصف بها الجوهر من العز والمنعة والجلال والعظمة، ليست عن الطباع والجوهر، وذلك الذي[٩] تدرّعه وتجسده واتخذه هيكلَه ومحلَّه.

فأما قولك ان انقياد المخلوق لِمَا نزل به من الآفات، دون جوهر الخالق، أوضح دليل على بعد البينونة بينهما في العز والمنعة والسلطان والقدرة على باطل ما

---

١. في الترقيم المستحدث هي الرابعة عشر.
٢. «فضل» في النص، والأفضل «فصل».
٣. في النص «بيتوته».
٤. وفي النص «بالانعباد».
٥. «وأنت» في النسخة.
٦. «بيتوته».
٧. كلمة غير مقروءة «باينه»، وقد يعني «فلذلك بان فيه ما هو خاص بالمخلوق من الاعراض...».
٨. «يتب».
٩. «وذلك الذي»، أي «وهذا ما».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ادعينا من استوائهما في ذلك وشبههِ، فقد عظم غلطك في ذلك لأنّا نقول انه وان كانا تباينا فيما انقاد له المخلوق من تلك الافات والآلام حيناً لأمور لم يكن لمخلوق من إكمالها بالصبر على ما لم يزل به منها محيص[١]، فقد ساواه أخيراً في الاعتلاء عنها والاستعلاء به عليها وفي الثبات على الاتباع[٢] كصانعه منها أبداً.

المسألة الثلاثون[٣]

فان قال: أو لستم تقولون ان جميع ما أحّده فيه خالقه وساواه بنفسه قد[٤] أكمله بالفعل منه ساعة حبله[٥].

الجواب قلنا: كلا ما نزعم ذلك. بل نقول إنه كما أن الوارث ولو كان مستحقاً لجميع مال أبيه وميراثه منذ ساعة يحبل به في البطن ويستحقه // من بعد الولاد وإذ هو في حال [107 b] التربية والرضاع وتحت أيدي المؤدبين والمعلمين، فلا يُسلَّم إليه ميراثه دون أن يُدرَّب بالآداب ويستحكم معالمَ الأمور، كذلك وان كان البشريّ لم يزل مستحقاً لجميع ما لخالقه منذ ساعة حبله وتجسده في بنوته، ومستحقاً له في جميع ما كان متقلباً[٦] فيه من حالاته، فانما لم تظهر فيه جميع الفضائل التي كان يستحقها ما افصل[٧]، حتى أكمل تدبيره الذي أراد اكماله بالعمل. ثم استوى على جميع ما كان مستحقاً من تلك السماء والأرض والتعالي عن الآفات والآلام، كالذي[٨] شهد مِن فيه من بعد انبعاثه وقال: «اني أوتيتُ كل سلطان السماء والأرض»[٩]، كانه إنما أُوتي السلطان في تلك الساعة، ولم يعنِ بذلك أي

---

١. أي لم يكن لمخلوق محيص عن إكمالها. وكلمة محيص كتبها الناسخ «مختص».

٢. «الايتباع»، أهي «الاتباع»؟

٣. المسألة الخامسة عشرة في الترقيم المستحدث.

٤. «وقد» في النسخة.

٥. «جبله» في النسخة.

٦. «مقلب».

٧. أي طالما لم يبلغ؛ «أفصل المولود»، أي حان وقت فطامه.

٨. أي كما.

٩. متى ٢٨: ١٨.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الآن تحرّرتُ وتخلّصتُ من جميع الحقوق التي كنت بها مرتهناً تحت تلك الأحوال الحائلة[١] كانت دوني[٢] ودون الاستواء على ملكي وسلطاني.

وكان مثله في ذلك كمثل رجل ابتاع ضيعة لنفسه بثمن جسيم لم يدفع ثمنها نقدةً واحدة واستوجبها على شريطة يؤدي ثمنها نجوماً. والضيعة صارت له ملكاً منذ ساعة وقع اسم الشراء عليها، ثم لم يزل ينقد ثمنها[٣] نجماً بعد نجم[٤] والضيعة مرتهنة بباقي ما عليه من ثمنها حتى إذا أدّى آخرها نجماً سُلّمت إليه ضيعته بكمالها، فعند ذلك جاز له أن يقول الان ملكت مالي وصحّت لي ضيعتي.

كذلك بشرنا المنتخب من جوهرنا صارت الخلائق كلها له ملكاً بعد ساعة اتخذ[٥] صانعه له جسداً، غير انه كانت عليه دون أن استولى عليها أخيراً دون قضاء تلك الحقوق محيص. ولم يكن له أيضاً إلى أداء تلك الحقوق جملة سبيل، فصيّر نقودَها عليه نجوماً. فكان **أول** نجم نقد منها إظهاره شواهد جوهر ناسوته من الحبل والولاد والتربية بألوان الغذاء من الرضاع والطعام والشراب وما أشبه ذلك من الشهادات الدالة على أنسيّته ليعلّم // بذلك نعمة الحالة عليهم في تجسده بشرياً من جوهرهم. [108 a]

والثانية إقامته شرائع التوراة التي افتُرضت[٦] على آل إسرائيل خاصة، ليعلّم الناس أيضاً انه من نسل إسرائيل ومن زرع إبراهيم الذي وعد الله اخراج المسيح بشرياً من زرعه، وان الله وفي[٧] إليه بما وعده ليعلّهم باقامته عليها وأخذه بسنتها أنها حق من عند الله، فيستشهد ما فيها من الشهادات المقولة عليه لنفسه.

والثالثة القيام بما ظهر له في العالم بتبشير الناس بالبعث والنشور والخلود في

---

١. «الحاملة».
٢. أي الأحوال التي كانت حائلة دوني...
٣. «بتقديمها».
٤. «نجما» ساقطة من النص سهواً دون شك.
٥. «واتخذ».
٦. «افترضه».
٧. «وفا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

النعيم الذي لا يزول. ودعاهم أجمعين إلى التوبة الشريفة المقبولة من التعامل بالفضل والاحسان بدل القصاص وما أشبه ذلك ممّا أمر رسله باتيانه في الجبل[١] المجيد.

والرابعة بذله نفسه للقتل والصلب لما أراد به من هداية الناس واستنقاذهم به من الضلالة والكفر ثم من الخطيئة والموت على ما نحن مزمعون بتفسيره من بعد، ليستحق بذلك منهم ما كان مزمعاً بأن يُدعى[٢] إليه أهل جوهره أجمعين من عبادته وسجدته.

فانه كما أن الخالق عزّ جلاله وجبت له العبادة والسجدة والحمد والشكر من خلقه، لخلقه اياهم وبخلقه لهم جميعَ ما احتاجوا إليه من هذه الدار لقوام حياتهم، كذلك استحق المسيح بناسوته العبادة والسجدة والحمد والشكر من جميع الناس لما استنقذهم من الخطيئة والموت بقتله الذي احتمل لخلاصهم.

والخامسة ظهوره لأوليائه بعد القيام من الموت ليحقق بذلك ما وعدهم من قيام أجسادهم ومكافاتهم على ما اكتسبوا لأنفسهم فيصلحوا أعمالهم ليجزل على ذلك ثوابهم.

فلما كمّل تدبيره بالنقدة الخامسة التي كانت[٣] ظهوره بعد القيامة فقال: «اني أُعطيت السلطان على ما في السماء والأرض»[٤]، اني قد فككت نفسي واستخلصت ملكي وسلطاني من الديون التي كنت أنا وأهل سلطاني // بها مرتهنين. [108 b]

المسألة الحادية والثلاثون[٥]

فان قال: بل قوله ذلك يدل على أنه في تلك الساعة أُعطى سلطان السماء والأرض.

---

١. «الحبل» هكذا في النسخة، ولعلها في «الجيل»، أو بالأحرى في «الجبل»، إشارة إلى موعظة الجبل.
٢. «يدعا».
٣. «كان».
٤. انجيل متى ٢٨: ١٨.
٥. السادسة عشرة في الترقيم المستحدث.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الجواب قلنا: فاين أنت من قوله قبل ذلك ان أبي قد...[١] الأشياء كلها وقوله في مكان آخر إذ[٢] جعل يعترف لأبيه ويخبر بما فوّض إليه من ملكه وسلطانه يقول: «جميع ما لك يا أبت[٣] فهو لي وكل ما لي فهو لك، بل لك كانت الأشياء كلها واياي أعطيتَ يا ابت»[٤].

فهذا ما تسمعه بيّنَ لك أنه أُعطيَ سلطان السماء والأرض قبل ذلك الوقت، ولكنه لم يستولِ عليه من بعد ما انبعث[٥]، ولا كان أوجب على الناس عبادته والسجود له قبل أن يتجشم الموت والآلام في سبيلهم، كما أوجب ذلك عليهم بعد احتماله ألم القتل وعار الصليب لأجل خلاصهم.

المسألة الثانية والثلاثون[٦]

فان قال: وما الذي دعاه، إذ[٧] كان قد يحد[٨] الأشياء كلها كمالاً، ثم كان[٩] منيعاً قادراً عزيزاً، إلى أن ينتزع لما أنزل به أعداؤه من الآلام والأوجاع والموت والهوان، بل حقّ له[١٠]، ان كان على[١١] ما وصفتم من عزة ومنعة، ان يمتنع مما أنزل به من الموت والبلايا والآفات.

الجواب قلنا: قد أخبرناك بالعلل التي منُحها التي لم تمتنع ممّا نزل به من تلك الآلام والآفات. وبعد فان عزته وقوته دعته إلى احتماله والتضرع لما أُنزل به

---

١. كلمة غير مفهومة: «بحبلني».
٢. «ان».
٣. «اية».
٤. «اية».
٥. أي: الاّ من بعد ما انبعث.
٦. المسألة السابعة عشرة في الترقيم المستحدث.
٧. «ان».
٨. قد تكون: يجد؟
٩. «كا».
١٠. «حوله».
١١. «علم» وهي «على» دون شك.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

منها. وذلك ليظهر بانبعاثه من بعد التضرع لها قوّته من قهرها وقمعها والاستعلاء عليه والارتفاع عن سلطانها.

ألا ترى الشجاع البطل المدل بقوته كيف يقف للمبارز له استحقاراً له واستطالةً عليه قبل أن يبطش به، حتى إذا بلغ المبارز له غاية حيله ومنتهى قوته حمل هو عليه من بعد حمله فاهلكه. كذلك تضرع المسيح للآفات والآلام التي انزلت به فلم يمانعها استحقاراً لها واستطالةً عليها، حتى لمّا بلغت به الموت الذي هو غايتها انبعث بقدرته حياً واستعلى عليها جميعاً.

// وأيضاً فكما الطبيب الماهر الرفيق، إذا أراد أن يقتدي الناس بعلمه ويركنوا إلى [109 a] طلبه ويتنافسوا في دوائه، اظهر برهانَ ما ادّعى من علمه ومهارته في نفسه. ولا يجد برهاناً أوكدَ عندهم ولا أوثق في صدورهم من أن يدعوا بسمٍّ قاتل فيشربه أمامهم، حتى إذا أنجع السمّ في بدنه تناول شيئاً من دوائه فاتبع السمَّ به فعاش ولم يضره السمّ مع دوائه شيئاً، فحينئذ[١] يعرف الناس الناظرون فضل علمه ويتنافسون في الاستكثار من دوائه.

كذلك المسيح محيي العالمين بقوته، إذ[٢] كان سبب ظهوره[٣] في العالم ليستنقذ الناس من ضلالتهم ويجذبهم من طاعة ابليس إلى طاعة ربهم وليشبعَ عقولهم يقيناً[٤] بما بشرهم به من قيامة أجسادهم ومصيرها إلى النعيم الذي أعدّه لأولي الصلاح منهم، سرّه لرأفته بهم وحبّه لهم ان[٥] يحمّل نفسه الأوجاعَ والآلام في صلاحهم فيموت أمامهم ويقوم تجاههم لتطمئن[٦] إلى ما بشّرهم من ذلك نفوسهم ويوقنوا انه قادر ان يفي لهم بما وعدهم به من إقامة ميتتهم[٧] وابانتهم

---

١. «فحينئذاً».

٢. «ان».

٣. «ظهور».

٤. «نفسا».

٥. «او».

٦. ليطمئن أو لتطمئن، وفي النص «ليطمان».

٧. «متيتهم».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بالنعيم السمائي على إيمانهم وصلاح أعمالهم فيؤثرون[١] طاعته ودعوته على دنياهم، فيجزل على ما يبذلون له من طاعتهم ثوابَهم وجزاءهم.

والذي دعاه كما أخبرنا إلى التضرع لاعدائه لما أنزل به قاتلوه، إرادة[٢]، إذا هم بلغوا غايتهم في قتله وموته، أن يقوم بحياة أوليائه بقوة ربوبيته ليصدق عندهم وعدُه في ابطال الموت في آخر الأزمان عن أهل جوهره.

المسألة الثالثة والثلاثون[٣]

فان قال: أوَليس، قد كانت الأنبياء والرسل من قبل تأتي فتدعو الناس إلى طاعة ربهم وتبشرهم بقيامة أمواته، فبعضٌ[٤] يُقتل منهم وبعض يخالفهم، وعلى ما كان من حال المسيح وحالهم، فما زال أحد منهم لم يصنع بنفسه كما صنع المسيح من دفع نفسه إلى أعدائه. أو ما الذي دعاهم إليه المسيح من طاعة الله وخلع الدنيا والتصديق بالقيامة والدار الآخرة وثوابها وعقابها // فاحتاج إلى كل ما صنعه بنفسه، ولم يدعُ إليه موسى وداود وسائر الأنبياء والرسل [109 b] واكتفوا من إقامة الحجة على ما دعوا إليه به، بدون ما بذل[٥] عليه المسيح نفسه له. وان كانت الدعوة واحدة والكلمة واحدة وقبول الناس منهم جميعاً قريباً من السواء فقد كان بذل المسيح نفسه من دونهم بغير سبب.

الجواب قلنا: أيّ الرسل من رسل الله الذين كانوا قبل المسيح وجدتَه يذكر لك من أمر الآخرة وثوابها وعقابها ويدعو الجميع إلى خلع الدنيا ورفض نعيمها. فهذه التوراة والزبور وما بعدها من كتب الأنبياء والرسل قدامك فتحرَّها جميعاً[٦] وانظر فيها نظراً شافياً، فان وجدت في شيء منها حرفاً واحداً[٧] فالأمر على ما

---

١. «فيوترو».

٢. أي: ان ما دعاه إلى... كان إرادة منه أن...

٣. المسألة الثامنة عشرة في الترقيم المستحدث.

٤. «ببعض».

٥. «يدل» في النص.

٦. «جمعاً».

٧. «واحد».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ذكرت. فان وجدت ما يدعو إليه من سننها وشرائعها ويتقدم فيه من وعدها ووعيدها، لا يعدو أمورَ الدنيا ولا يجوز بها عشيرة إسرائيل وحدها.

أو لم تسمع ما تتلو توراة موسى لبني إسرائيل إذ[١] جمعهم في برية حوريب بغايتهم[٢] ويقول لهم: «أنتم الذين رأيتم صنع الله بأعدائكم من أجلكم فلم تحفظوا وصاياه ولم تعملوا بطاعته، والآن فهذه شروطه ومواثيقه قدامكم أمرني أن أتقدم فيها إليكم وأقول لكم: ان أنتم أطعتم ربكم وحفظتم وصاياه من أقصى[٣] قلوبكم وأقمتم سننه بكل جهدكم فانه يبارك[٤] فيكم ويجمع شملكم ويبارك في ثمار بطونكم وثمار أراضيكم ويكثّركم ويكثّر مواشيكم وأموالكم ويطيل في الأرض حياتكم وينصركم على عدوّكم وينزلكم الأرضَ التي أقسم لآبائكم أن يجعلها ميراثاً لخلوفكم أو من الكنعانيين والأموريين والحثيين[٥] الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً وتسكنون هنالك مطمأنين آكلين شاربين ناعمين آمنين[٦]، //[٧] وان أنتم لم تطيعوا الله ربكم ولم [110 a] تحفظوا سننه ولم تعملوا بوصاياه من كل قلوبكم، فانكم تكونون مغلوبين مرذولين يبدّد الله شملكم ويسلّط عليكم أعداءكم، فيستبيحون أموالكم ويسبونكم إلى بلدانكم ويذلّون رقابكم، وتكونون مذعورين فزعين خائفين من جميع الشعوب كل أيام حياتكم لأنكم لم تطيعوا الله ربّكم ولم تعملوا بوصاياه ولم تقيموا سننه».

فهذه الشروط وأشباهها دعى موسى بني إسرائيل إليها. وبها سلكت فيهم

---

١. «ان».

٢. كذا، أترى المقصود: إذ جمعهم بغايتهم، بمرامهم؟

٣. «اقصا».

٤. «مبارك».

٥. «والحسانس».

٦. وقد كتب أثر هذا بالخط المستحدث الذي غير ترقيم المسائل: «وسل؟ هذا كله حينما كانوا آكلين». تنتهي هنا الصفحة في نصف السطر، ويتغير الخط في الصفحة التالية، أو بالأصح يعود الخطاط الأول الأصيل إلى الكتابة.

٧. يستعيد الناسخ الأول خط الكتاب، مبتدئاً بالكلمات الأخيرة من الصفحة السابقة: «اكلين شاربين ناعمين امنين».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بعده الأنبياء والرسل. فاما شروط المسيح فهي التي تقول: «من أراد أن يحيي نفسه فهو يهلكها ومن أهلك نفسه من أجلي في هذه الدار الزائلة فانه يدخرها لحياة الدار الباقية». وإذ يقول: «من ذا الذي يترك وطنه واخوته واخواته واباه وأمه وامراته ويتبعني فأكافيه بالواحد ثلثين وستين ومائة». فقال له بعد[١] هذا القول أحد أصحابه: «يا سيدنا ها نحن قد تركنا كل شيء لنا واتبعناك فماذا جزاؤنا؟ فأجابه المسيح وقال له: الحق أقول لكم أنتم الذين رفضتم الأشياء كلها واتبعتموني فان في العالم المزمع إذا جلست على منبر مجدي تجلسون أنتم أيضاً على اثني عشر كرسياً وتداينون اثني عشر سبط إسرائيل، وحيث أكون أنا في السماء هناك يكونون معي أبداً».

ولم يقل لهم انكم إذا اتبعتموني وعملتم بطاعتي وتركتم الأشياء كلها من أجلي أكثرت أولادكم وغنمكم وبقركم ومواشيكم وأموالكم، وأُورثكم أرض أعدائكم وأطيل في الأرض حياتكم وأنعّم بالطعام والشراب أبدانكم. لكن قال: بل تكونون في الدنيا مطرودين مرذولين مبغوضين من الناس // أجمعين، وتعذَّبون من أجلي بأنواع العذاب، وتُقتلون بسببي بأنواع القتل، ويأتي [110 b] عليكم زمان إذا قتل الرجل منكم[٢] رجلاً يحسب انه يقرّب لله قرباناً، فمن أحتمل وصبر منكم على البلاء إلى الممات فهو الذي يحيا.

فهذه كانت شروط المسيح وعداته[٣] لأوليائه وأهل دعوته. فعارضْ بها شروط التوراة وعداتها[٤]. فلعمري لئن نظرت إليها بعين العمى كنظراتك الأولى فستجدها كما قلت قريبتين[٥] من السواء. وان كشفت عن بصرك غشاوةَ الظلمة، استبان لك عظيم الخلاف وبُعْد البينونة بينهما. ثم لم تنكر على المسيح، إذ حمّل أهلَ

---

١. «عبد» في النسخة.

٢. أي إذا قتل أحد رجلاً منكم.

٣. أي مواعيده.

٤. عداتها أي مواعيدها.

٥. كذا، أي إذا نظرت إلى كلام المسيح بعين العمى وجدته قريباً من كلام التوراة مساوياً له.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

دعوته ما حمّلهم عاجلاً من الصبر على الشدائد لأجل الثواب عليها، أن يحمّل نفسه على صلاحهم من اوجاع الموت والألم والبلايا أضعافَ ما حمّلها حباً وشفقةً وعطفاً.

المسألة الرابعة والثلاثون[١]

فان قال: فما كان له إذاً، فيما أحيا لذي أهل زمانه من الموتى وأظهر لهم من الآيات والقوى، حجةٌ عليهم في تصديق ما خبذرهم به من قيامة أمواتهم حتى بذل نفسه للذل والهلاك فيما لا درك له ولا لغيره فيه.

الجواب قلنا: بل لعمري قد ثبتت عليهم حجته في دون ما أظهر لهم من اعلامه وآياته. ولكن ابت أنفسهم أن تدعوهم إلى التصديق بذلك منه والمصير إلى أخلاص طاعته دون أن يعاينوا جميع ما دعاهم إلى التصديق من القيام الروحاني والارتفاع إلى الملك السمائي. فلما لم يجد في عدل قضائه أحداً أحق بالسبق إلى ذلك[٢] //[٣] الموضع الشريف الذي دعا الناس منه إليه، [111 a] للفضائل التي بها نال الشرفَ العالي[٤] من صانعه وبها استحق الحياة والقربى منه دون جميع أهل جوهره، لم يكن له من حلّ من أن يتجشم كراهة الموت دون ذلك قدامهم، ثم يُبعث حياً روحانياً أمامهم ويرتفع على هيئة[٥] انبعاثه إلى السماء تجاههم ليحقق في صدورهم عدته[٦] لهم في صعودهم روحانيين على هيئة[٥] قيامتهم.

---

١. وهي المسألة التاسعة عشر في الترقيم المستحدث.

٢. الصفحة التالية هي في غير موضعها من المخطوطة، انظرها بعد الصفحة ١١٧.

٣. الورقة هذه في غير محلها من المخطوطة.

٤. «العال».

٥. «هية».

٦. «عدته» أي وعده.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة الخامسة والثلاثون[١]

فان قال: فما باله، إذ أراد أن يحقق عندهم شأن القيامة والصعود إلى السماء، لم يمت قدامهم موتاً سوياً، بل ينبعث أمامهم كما زعمتم روحانياً سمائياً، دون أن أمكن أعداءه من نفسه حتى أذلّوه وقتلوه وبلغوا أمنيتهم فيه[٢].

الجواب قلنا: لو مات كسائر من يموت على فراشه ومضجعه موتاً سويّاً ثم انبعث فقام حياً لاشعر قلوب الناس في أمره شكاً عظيماً. بل لم يكن يشك أكثرهم عند نفسه أنه لم يمت رأساً وإنما كان ذلك منذ خداعاً، ولكانوا جدراء[٣] أن يقولوا: وألا، إن كان بقدرته مدلاً وعلى قوته متكلاً، برز لأعدائه المستعصمين منه جهاراً ليقتلوه، ثم يقوم تجاه من شهد قتله حياً.

فالذي علم بسابق علمه أنه لا محيص إلى دفع الشك عن قلوب العوام في موته إلا بإظهاره لهم دونه ببدنه، تخيّر الأوقاتَ بلطفه ودبَر الأمور بإظهاره لهم دونه بحكمته، حتى وجد لِمَا أراد من ذلك فرصةً. فكان إذا[٤] احتوشته اعداؤه في جمع من جموع الناس ليقتلوه ورأى أنه قد حضرت الفرصة التي يترصّدها في دفع الشك عن // قلوب العوامّ خلّى[٥] حينئذٍ في أيديهم [111 b] نفسه واهملهم[٦] فيما أرادوا من قتله وصلبه بهواه ومشيئته وإرادته ابطالَ الشك عن قلوب الجميع في موته ودعته[٧] إلى امكان الأعداء من نفسه، دون أن يموت كمن يموت موتاً سوياً على فراشه ومضجعه.

---

١. وهي المسألة العشرون في الترقيم المحدث.

٢. أي لماذا لم ينبعث روحانياً دون أن يمر بالموت، فيبرهن لهم ما شاء مباشرة.

٣. جدراء كلمة من قاموس عمار البصري وهي عنده جمع «أجدر».

٤. «اذا».

٥. «خلا».

٦. «واهمهم»، وهي دون شك «واهملهم» التي ترد مراراً في أدناه، أي «تركهم».

٧. أي بارادته ابطال الشك في صحة موته فمكن الأعداء من نفسه مستسلماً لهم على دعة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة السادسة والثلاثون[١]

فان قال: فما كان للناظرين فيما عاينوا من قتله وموته مقنعٌ وكفايةٌ حتى أهمل أعداءه يصلبونه كما يصلب السرقة والقطاع وأهل الدعارة؟

الجواب قلنا: ألا أن فضيحةً وعاراً على من أُلفيَ سارقاً داعراً محارباً ليُكشف بذلك عن أمره فتجهر به فضائحه وتشهّر به مخازيه. فامّا من حمل ذلك ظلماً وبغياً وعدواناً واحتمله تحرياً لهداية الناس به تطوعاً واستنقاذاً للعوام[٢] من الهلكة تفضلاً، مع براءته من دنس الآثام وطهارته من أوساخ الخطايا، فذلك له فخر ومدح ومجد.

وألا ترى أنه لا شيء من الأشياء التي تموّت الناسَ أفشى فيهم ذكراً ولا أشهر لذكرهم خبراً ولا العوام إلى النظر إليه أشدّ احتشاداً من ميتة الصلب. فالذي[٣] توخّى[٤] المسيح جلّ جلاله من إذاعة شان موته وقتله وإظهار رؤية ميتته لجميع من كان بحضرته. ثم وافق ذلك أيضاً ما اجتمعت ضمائر أعداء النعمة من صلبه وشهْر قتله[٥]، وما أرادوا به من ذلك وأراده بنفسه.

المسألة السابعة والثلاثون[٦]

فان قال: وهَبْه أراد باهماله إياهم وصلبه تحرّياً لاشهار شأن موته، فما الذي يلبثه[٧] بعد موته على الصليب ميتاً كزعمكم، حتى احتاج إلى الوضع // في القبر والدفن في التراب. وألا [112 a] نزل عن صليبه[٨] بعدما أظهر لهم رؤية ميتته

---

١. «الواحد والعشرون» في الترقيم المستحدث.
٢. في النص: «تطولاً واستنقاد العوام».
٣. أي فان ما توخى...
٤. «توخاً».
٥. أي «ان ما توخى... هو ما أرادوا...»
٦. «الثاني والعشرون» في الترقيم المستحدث.
٧. أي «جعله يلبث».
٨. في النص: «يزال على صلبه».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حياً، كما سأله صالبوه في ذلك الوقت وقالوا خلّص نفسك وانزل عن صليبك لنرى ونؤمن بك. لو نزل في تلك الساعة قدامهم حياً لكان أكمل ما أراده من برهانه في قيامته، ثم قطع بذلك حجة الجاحدين في جحودهم قدرتَه وقوةَ ربوبيته. ولعل كثيراً منهم كان يؤمن به ويصير من أهل دعوته فيعود بذلك لمن فاز به من أهل شعبه.

الجواب قلنا: ان مسألة القوم إياه ذلك كانت على جهة الاستهزاء والامتحان، ولم يزل الله جلّ ثناؤه يسخط على مسألة المستهزئين ويمنع سؤال الممتحنين، كما بيّن ذلك وأوضحه على لسانَي السعيدَين موسى وداود إذ قال: «ان بني اسرائيل تذمروا على ربهم وامتحنوه في قلوبهم وسألوه طعاماً وشراباً في أوان جوعهم وعطشهم فمنعهم الله لامتحانهم إياه بسؤالهم[١] وأنزل نقمته بجميعهم». وهذه خصلة معروفة مشهورة في كتب الله من سخطه على من امتحنه واستهزأ[٢] بأوليائه. وقد أكثر في التقدم إليهم ألاّ تجرّبوا الله ربكم ولا تمتحنوه في قلوبكم.

كذلك المسيح جلّ ثناؤه، إذ سألوه صالبوه النزول عن صليبه على جهة الاستهزاء والتعنت والامتحان، لم يرَ أن يعطيهم سؤالهم بل زاده ذلك غصباً عليهم وتحريضاً لإنزال نقمته بهم.

وبعد فلو نزل عن الخشبة على هيئة ما فارقت روحُه بدنَه حياً، لكان ذلك يظن ما حذّره[٣] من دخول التهمة والشك قلوب العوام في موته. فانه لم ان لو انه نزل عن الخشبة، ساعة مات، حياً، لقال كثير من أهل التعنّت والشغب والبغي: وكيف لنا أن نعلم // انه مات موتاً صحيحاً. ولعلّه أرخى رأسه رياءً ومكراً ليُري الناظرين انه قد مات يقيناً يقيناً، فازداد بالدفن من بعد الصلب [112 b]

---

١. «سولهم».

٢. «واستهزي».

٣. أي لو نزل حياً على نفس الهيئة التي مات فيها، لوقع الظن الذي حذر منه، أي الشك بصحة موته.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في القبر ولبث ما لبث في التراب بحضرة الامناء والحرّاس، لابطال التهمة والتراءي[١] في صحة موته عن قلوب الناس.

وأيضاً فكما أنه وعد الناس أن يحيي أجسادهم بعد الموت وأراهم برهان ذلك في إقامة صرعة جسده من الموت، كذلك إذ وعدهم أن يقيم أبدانهم وينشرها في التراب، أحبّ أن يريهم برهان ذلك في بدنه فيدفن في القبر ميتاً وينبعث من التراب حياً.

المسألة الثامنة والثلاثون[٢]

فان قال: فما منعه، إذ كان إنما دعاه إلى إعلان شأن موته بالقتل والصلب والدفن إرادةَ أن يقوم فيحقق بذلك أمر البعث والنشور، من أن يقوم[٣] من قبره علانيةً نهاراً ثم يظهر لجميع من رأى ميتته على الصليب حياً جهاراً، بل قام بزعمكم لدى[٤] أناس قليل وبرز لنفر يسير لا يعشر[٥] عددهم ممّن شهد موته على الصليب.

الجواب قلنا: منعه من ذلك أربع خصال في امتناعه من الظهور لها على طريق الحق والصواب. **أحدها** أنه إذ قام على تلك الهيئة الروحانية المجيدة التي قام عليها لم يؤهِّلْ قاتليه الأرجاس للنظر إليها، ولم يؤهل لمعاينتها الاّ الاطهار الأخيار. فكما أن الله جلّ ثناؤه لم يتراءَ[٦] لأحد من خلقه بالأنحاء التي كان يترآى[٦] بها لهم الاّ لأولي[٧] الصلاح والخير والعقاب منهم، ولا أيضاً ملائكته الاطهار كانت تكاد أن تترآى[٨] الا لأهل التقى والصلاح والعفاف، كذلك

---

١. «والتراي».

٢. المسألة الثالثة والعشرون في الترقيم المستحدث.

٣. «يقيم».

٤. أو لذي.

٥. قد يكون المقصود بهذه الكلمة إذ صحت لنا قراءتها: أي لا يبلغ العشرة ممن شهد موته، وفي النص «من شهد موته».

٦. «يترااا».

٧. «الاولي».

٨. «تترااا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[113 a] المسيح ربنا // تعالى ذكره لم يؤهّل مقاوميه وقاتليه للنظر إلى رؤيته الروحانية السماوية لكفرهم به وسوء صنيعهم إليه. فأما مَن سواهم من أهل شيعته ودعوته فقد عاينوه وخاطبوه وآكَلوه وشاربوه.

والثانية: فانه لو ظهر لجميع الناس على لطافة تلك الهيئة التي قام عليه، لجعلَ لقاتليه في ذلك علةً يزيدون أعداءَ النعمة لها ضلالاً وطغياناً، ولكانوا قائلين بلا شك: ألسنا قد أخبرنا من قبل أنه برئيس الشياطين كان يعمل الأعاجيب ويخرج الشياطين، وهذا أيضاً شيطانه الذي كان معه قد ظهر للناس بصورته ليُضلّ أهلَ شيعته ويُريهم أنه قد صدق في وعده إذ قال انه منبعث بعد ثلثة أيام. وبخاصة كان يخالج قلوب للعوام، من افكهم وكذبهم، الشكّ العظيم، إذ فقدوه بعد الأربعين يوماً التي صعد بعدها؛ ولقالوا: فألا، إذ كان هو المنبعث بعينه حقاً، كان يلبث مع أصحابه كلبثه معهم فيما مضى. ولعمري ما كان يستقيم أن يلبث على الأرض بعد قيامه أبداً. وإنما تجشّم ألم القتل وعار الصليب وذل التراب لينبعث حياً ثم يختم آياته ويتمّم عداته[1] بالطلوع بعد قيامته إلى السماء.

والثالثة: فانه إذ أراد أن يُعمّ بدعوته الخلقَ أجمعين ويساوي[2] بها بين أهل الأرض كلهم، لم يرَ بعدله أن يظهر لأهل مدينة واحدة دون أهل البلدان جميعاً. ولو تكلّف أن يظهر لأهل البلاد جميعاً، إذاً احتاج إلى أن يخبر كلَّ قوم منهم أنه كان مقتولاً مصلوباً مدفوناً وقد انبعث حياً وأتاهم من أرض كذا وكذا. فلم يكن له محيص من أن ينصفهم، إذ دعاهم إلى ما دعا
[113 b] إليه نظراءهم، فيُظهر لهم من البرهان على ما ادّعى مثلَ الذي[3] // أظهره لغيرهم من احتمال القتل والصلب والدفن ثم القيام من بعد ثلثة أيام من القبر والموت. وكان ذلك غير ما يمكن في طبعه الروحاني الذي أبطل عنه قبول الآلام والأوجاع والموت والغيار.

---

١. أي مواعيده.

٢. «ويسوي».

٣. «الذي» بمعنى ما كعادته المؤلف.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والرابعة: فلِمَا أراد من إظهار العوام على عظمة لاهوته وإطلاعها على جلال ربوبيته في بعثه رسلاً باسم نفسه إلى شرقي العالم وغربيّه يدعون الأمم والشعوب إلى طاعته وعبادته ويخبرون بما كان من صلبه وموته وقيامته وصعوده ويظهرون بذلك الآيات المرهوبة من طرد الشياطين واحياء الموتى واشفاء المرضى باسمه. لكي إذا نظر الناظرون إلى القوى التي تظهر باسمه على أيدي رسله المقربين بالعبودية له، كان ذلك أدلّ لهم[١] على حقيقة ما أرد إظهاره من عظمة ربوبيته، من أن لو وَلِيَ اعلامَ ذلك لهم ببدنه لشأن نفسه بذلك أيضاً؛ معما أراد من إعلام الجميع بأنه الإله الخالق القهّار بلاهوته الذي كانت الرسل السالفة تعمل الأعاجيب أيضاً باسمه ظهر متأنساً بجسدٍ من أهل العالم ليخلصهم جميعاً على يديه. فقد احكم المسيح جلّ ثناؤه تدبيرَه في بعثه رسلَه بأيْد الآيات يقومون دونه بحجة انبعاثه وصعوده، إذ يقف الرجل[٢] على الميت فيقول باسم يسوع الناصري الذي صلب ومات وانبعث، قمْ فيقوم الميت من ساعته. وكذلك كانت أفعالهم بأهل الزمانات[٣] وأنواع الآفات فآمنت بها الشعوب على أيديهم وانقادت لها الأمم لطاعتهم وخضعت من أجلها الملوك والجبابرة لعبادة مُرسلهم // وأيقنت بأنه الرب الرحيم [114 a] الكريم الذي تجشم الأوجاع والآلام والصلب والهوان في بدن أنسيته تحرّياً لخلاصهم.

المسألة التاسعة والثلاثون[٤]

فان قال: فاذ كانت رسله قد قامت عند الشعوب دونه بحجة انبعاثه وصعوده إلى السماء بالآيات التي كانوا يعملونها باسمه، فما كانت حاجته إلى تجلّيه[٥] نفسَه إلى عدوّه، وقد كان يكتفي بأن يموت قدام رسله موتاً سوياً ثم ينبعث تجاههم

---

١. وفي النسخة «ادلهم».

٢. أي الرجل من الرسل.

٣. أي المصابون بالأمراض المزمنة.

٤. المسألة «الرابع والعشرون» في الترقيم المحدث.

٥. «تجليه نفسه» أو «تجلية نفسه».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حياً سليماً ويصعد بمشهدهم كما صعد إلى السماء، ثم يرسلهم بأيَدِ الآيات إلى من شاء وحيث شاء.

الجواب قلنا: لعمري ان لو كان واثقاً بيقين رسله إذ ذلك وحصافة عقولهم، لاكتفى بأن لا يطّلع على موته وقيامته أحد من الناس سواهم، فلا يستغني بذلك عن اهمال نفسه إلى أعدائه ليبلغوا منه بُهتَهم. ولكن أما سمعت من تحذيره اياهم خطرات الشك في كل وقت وتعييره اياهم بقلة اليقين في كل حين، وقوله لهم انه «ان يكن لكم ايمان فلا تشكوا وقولا لهذا الجبل ان ينتقل فيقع في البحر فينتقل»: «ما يُستَدلّ به على أنه كان غير واثق بإيمانهم ويقينهم، وغير آمنٍ عليهم خطرات الشك عند كل شديدة تنزل بهم. وإنما اتخذهم بهم ملوك الأرض وأجناد الشياطين.

وقد كانت أمور المسيح تعالى ذكره أعجب وأعظم وألطف من ان كانت الرسل، مع بلاهة عقولهم وسخافة أذهانهم، بلغوا، في الزمن اليسير الذي[١] // صحبته في معرفتها واليقين بها، ما كانوا يقوون به على دفع الشك عن أنفسهم عند كل بليّة تنزل بهم. بل كان يحذّرهم في الساعات والأوقات، وإذ هو بعدُ على الأرض حاضر[٢] معهم، من الشك في أمره والتفكر في حالاته ما كانوا يكادون أن يفرّوا[٣] منه ويجتنبوا صحبته. وقد كان أكثر من يصحبه مثلهم، إن سمعَ اختلافَ أقاويله، إذ يخبر مرةً عن شان لاهوته ومرةً عن شأن ناسوته، ستفظع[٤] كلامَه ونفرَ قلبُه عنه ففارقه[٥] ولم يعد إلى صحبته، كما سمعتَ الإنجيل يقول إن تلاميذه، لمّا سمعوا ذات يوم كلامه، قالوا: «ما أوحش هذا الكلام [114 b]

---

١. والمعنى: ان أمور المسيح كانت أعجب وألطف من أن يستطيع الرسل، وهم ما هم عليه من أن يدركوها ويتيقنوا منها، في الزمن القصير الذي قضوه في صحبته، الخ...

٢. «حاظر».

٣. «يعروا».

٤. «استفضع».

٥. «مفارقه».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

واشنعه ومن ذا يستطيع يسمعه». ويقول: «ان كثيراً منهم تركه إذ سمع مقالته ومضى لسبيله».

وكما شمعون كبيرهم إذ قال له: «ائذن لي يا سيدي ان ابلغ إليك مشياً على الماء»، فلمّا إذن له فمشى خطوات تداخله الشك فكاد أن يغرق مكانه، فاستنقذه المسيح وعيّره وقال له: «أيها الصغير الايمان لماذا شككت»، وكذلك شك فيه لمّا أخذه أعداؤه فكفر به. وانكر معرفته توما وكذّب أصحابَه إذ قالوا له ان سيدنا قد انبعث. وقال: «لست آمن بذلك حتى أعاين موضع المسامير التي سُمّرت بها يداه، ثم أضع يدي على موضع الطعنة من جنبه»، فلمّا تبيّن له من ذلك ما شك فيه صدّق وآمن.

ولم يزل الشك يخالج قلوبهم في كل أموره. فلو انه، بدل ما شهر من موته عند كثرة تلك الجموع واضطربت القلوب إلى التصديق به عند شهرة خبره، كان مات قدام رسله موتاً حقاً ثم انبعث تجاههم حياً سليماً، إذاً لكانوا جدراء[١] أن يكذّبوا من بعدُ ابصارَهم // ويقولون: [115 a] لعلّه استنبانا واستنبى عقولنا ولم يمت على ما أظهر لنا يقيناً، ولكان[٢] أعداؤهم[٣] بلا شك يطعنون في ذلك عليهم ويزيدونهم فيه شكاً إلى شكّهم، فكانوا لا يستأهلون مع كثرة الشك الذي يعتريهم الثقةَ[٤] والرسالةَ بابداء[٥] الآيات إلى الشعوب، كما لم يستأهل شمعون أن تلبث معه قوةُ الروح مع الشك الذي عرض له طرفةَ عين.

ولو كان الشك لا يمنع العبادَ قوةَ الروح، إذاً لما كان الأنبياء والرسل والمختارون للرسالة أولى بالرسالة من سائر الناس الذي لا يقين لهم. ولكن أراد المسيح تعالى ذكره أن يؤهّل رسلَه للرسالة بابداء[٥] الآيات وقوة الاعلام، ولم

---

١. أي أجدر، وعمار البصري يستعمل هذه الكلمة في مفرداته بمعنى أنسب، أكثر موافقة.

٢. «ولكن».

٣. «اعداهم».

٤. «الفة».

٥. «بايدي».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يمت قدامهم موتةً يداخل منها شك يحرمهم عطيةَ الآيات والرسالة إلى العوام، بل دفع نفسه تجاههم إلى أعدائه ليلوا[١] بالصلب قتلَه، لكيما لا يجد أحد في ذلك مساغاً إلى الطعن عليهم في موته.

فلما أزاح عللَ الشك عنه، بما رأته أبصارهم واسترعتْه من شهادات المعاندين أسماعُهم وأمِنت من خطرات الشك قلوبهم، أهّلهم لمعاينة رؤيته من الانبعاث أولاً ثم للبعث والرسالة بهم إلى العوام بابداء[٢] الآيات أخيراً. فلهذه العلة لم يقنعه الموت قدام رسله، دون من شهد موته على خشبة الصليب جهاراً.

المسألة الأربعون[٣]

فان قال: فما[٤] ترى، إذ كان في قتله وصلبه صلاح الخواص والعوام وهدايتهم أجمعين من الضلالة والكفر ونجاتهم به من النار والعذاب ثم كان ذلك موافقاً لإرادة المسيح ومحبته له، على[٥] اليهود جناحاً[٦] فيما تولوا من قتله وصلبه، بل // هم في صنيعهم ذلك مأجورون. [115 b]

الجواب قلنا: انك لو ألطفت النظر في عدل[٧] قضاء الله واستقامة سبله، لعلمت أن قاتل النفس بغير همةٍ وتعمّدٍ لا عقوبة تجب عليه في عدل قضائه. كما لو أن رجلاً وطئ بطنَ إنسان في ظلمةٍ فقتله من غير تعمدٍ أو همةٍ، أو زلّ[٨] زلة الخطا فاتى بها على[٩] نفس الإنسان، لم يكن عليه في قتله اياه حجة.

---

١. أي ليتولوا قتله.

٢. «بايدي».

٣. المسألة الخامسة والعشرون في الترقيم المحدث.

٤. «فما»، أي فهل ترى...

٥. في النص «وعلى».

٦. أي: أفما ترى... على اليهود جناحاً.

٧. الكلمة ممحوة وهي دون شك «عدل».

٨. في النص «زلت».

٩. في النص «عن»، سهواً من الناسخ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أما المصرّ المتعمد قتل النفس، وان لم يتأتَّ[١] له ما أصرّت عليه نيّتُه من ذلك بالفعل، فجزاء القاتل في قضائه واجب عليه بحقّ. كما لو انّ رجلاً شدّ بسيفه على رجل فضربه ضربة تعمّد بها قتله فزالت الضربة عن قتله فحسب الضاربُ أنه أتى على نفس المضروب بضربته، فقد استوجب من الله عقوبة القائل لا محالة.

فاليهود لم يكن اعتقاد نياتهم في قتل المسيح تعمداً لصلاح الناس ولا اتّباعاً لمُرضي المسيح، بل حملهم على ذلك طغيانهم القديم وحسدهم العائلي[٢] وعادتهم الخبيثة لقتل أنبياء الله وأوليائه ورسله. والله يؤاخذهم على سوء نياتهم في قتله وقتل من حض من أوليائه ممن تولّوا قتله، لا انه يأجرهم على قتلهم اياهم، وان كان صبر من صبر من أوليائه على ما حملوا سعادةً وأجراً، ولاتباعهم خيرةً وفخراً، ولقاتلهم شقوةً وعذابا.

واعلم يا هذا ان كثيراً ممن شارك قاتلي المسيح في قتله غفر الله له ذنبه إذ تاب إليه وندم على ما فرط إلى المسيح من زلته وذنبه. وان كثيراً ممن لم يشهد ما أوتي إليه فكان مصوّباً رأيَ القوم في صنيعهم به، قد شركه معهم وأوجب عليه ما أوجب عليهم، لتعلم أنه بالنيّة والضمير يستوجب // العبدُ من ربه الثواب، وبهما يستحق منه سوء العقاب، سيّما إذا [116 a] اتفق الضمير مع الفعال.

المسألة الحادية والأربعون[٣]

فان قال: فكيف يؤاخَذ اليهود على صنيعهم وقد شفع لهم المسيح وطلب إلى أبيه وهو على الخشبة فيها، إذ قال: «يا ابتِ[٤] اغفر لهم لأنهم لا يدرون

---

١. «يتاتا».

٢. في النص «العادلي».

٣. السادسة والعشرون في الترقيم المحدث.

٤. «اية».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ماذا يصنعون»[١]. فمن كلا[٢] الوجهين يحق أن يكون قد غفر لهم ذلك: احدهما[٣] من قِبَل أن المسيح شفع لهم، والآخر أخبر أنهم لا يدرون ما يفعلون. وليس على الجاهل في جنايته[٤] جناح. وان قلتم انه لم يشفع في صلبه فيهم، فقد قصرتم وصيّرتموه بمنزلة الذي لا تُقبل[٥] دعوته. وان زعمتم انه قد قُبلت دعوته فيهم، فلا خوف عليهم ولا عقاب في صنيعهم.

الجواب قلنا: انه قد يؤوِّل[٦] اناس هذه الكلمة على وجوه شتّى[٧]. فبعضٌ قال انه إنما عني بقوله: يا ابتِ[٨] اغفر لهم، أي يا ابت[٨] أهملْهم وأمهلْهم ولا تعجلْ بنقمتك عليهم ليستكملوا الذنوب فتنتقم منهم جملةً على ذنوبهم، كما حين استكملوا الذنوب إلى طيطس الرومي فهدم بينهم وخرب بلادهم وقتل من قتل وسبي من سبي منهم.

وبعضٌ قال بل إنما عني بذلك يا أبتِ[٨] أمهلْهم ليتوبوا، كما قد تاب كثير منهم وتندّموا على ما فرط منهم إليه من جرمهم. وبعض قال: إنما دعا لهم دعوةً خالصةً ليغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يصنعون بغدرهم، وقال انهم لم يعقلوا صنيعهم.

وبعضٌ قال إنما دعا لشرطة الروم الذين كانوا من قِبَل فيلاطس، فان أولئك لم يعرفوه ولم يدروا من هو.

[116 b] أما نحن فنقول: انه لم يعنِ بذلك شيئاً من هذه // الجهات أصلاً، ولا كانت علة دعائه لهم طلب المغفرة لهم أو إهمالهم. بل نقول ما يُقاس[٩] على طريق

---

١. لوقا ٢٣: ٣٤.

٢. «كلى».

٣. «احدهما» أي أحد الوجهين.

٤. «جنياته».

٥. «يقبل».

٦. «تاول».

٧. «شتا».

٨. «ابة».

٩. «لقاس» هكذا.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الحق والصواب: انه كما أن جميع ما دعا الناسَ إليه من البر والصلاح وأمرَهم به من سنن التقى والسلم والعفاف، فبدأ هو ففعل بها جميعها لا لحاجة كانت لنفسه إلى شيء منها، بل ليحضّ الناس بذلك على العمل بها ليستوجبوا الثواب الجزيل منه عليها، كذلك، إذ كان أوصاهم بدياً بأن يحبّوا ويباركوا على من لعنهم ويحسنوا إلى من أساء إليهم ويدعوا لمن طردهم وأضرَّ بهم، فأراد أن يحضّهم من ذلك أيضاً على ما كان أوصاهم، دعا لقاتليه المسيئين إليه في الوقت الذي سمعوه يكافي به أعداءَه من حسن الدعاء لهم عند اساءتهم، فيستحقون بذلك جزيل الثواب في دار الجزاء من ربّهم. لا انه تعمد باستغفاره طلب المغفرة لهم، ولا كان ليعوزه[١]، لو سرّه الصفحُ عنهم، دون أن يبتهل إلى أبيه فيهم، إذ لا فرق بينه وبين أبيه فيما يلي من سياسته العبادَ وثوابَهم وعقابَهم، وقد بدأ وأخبر عن نفسه أن له السلطان على أن يغفر خطايا أهل الأرض وذنوبهم، وقد سلّط رسلَه على أن يغفروا ذنوب الناس إذ قال: ان كلّ من غفرتم له خطاياه فمغفورة له، ومن لم تغفروا له فلا مغفرة له، وكلما حللتموه في الأرض فمحلول في السماء وما أسرتموه في الأرض فمأسور في السماء[٢].

أفيمكن[٣] من سلطان له على مغفرة الخطايا أن يسلّط عبيده على أن يغفروا خطايا الناس وذنوبهم، ويكونَ محلولاً في السماء ما حلّوه في الأرض ومأسوراً[٤] هناك ما أسروه في الأرض. // ولكن ليعلّم انه إنما أراد بذلك القول تخصيصاً[٥] على ما كان علمّهم ووصّاهم به من حسن [117 a] الدعاء لمن أساء إليهم.

فاما اليهود فلم ينتفعوا بدعائه لهم. فانه كما انه لا نفع للظالم في دعاء المظلوم له بالمغفرة له، إذ كانت علة دعائه له التماس الأجر لنفسه، كذلك لا نفع لليهود في دعاء المسيح بالمغفرة لهم، إذ كانت علة دعائه لهم إرادةَ أن يعلّم الناسَ كيف

---

١. أي ليعوزه الاستغفار، لو أراد الصفح عنهم.

٢. متى ١٨: ١٨.

٣. في النص: «فيمكن»، ولكن المعنى معها يصبح على غير ما شاء صاحبه.

٤. «وما بسور».

٥. والأصح «تحضيضا»، يقصد بها «حضا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يكتسبون الثواب بالدعاء لمن ظلمهم[١]، بل زادهم[٢] خزياً إلى خزيهم وعذاباً إلى عذابهم.

وأما قوله انهم لا يدرون ماذا يصنعون، فلم يعنِ به أنهم جهلوا صنع أنفسهم. لأنهم لو كانوا بهائمَ دواب لَمَا جهلوا أنهم مجتهدون[٣] في قتله وصلبه، لكن عنى[٤] بذلك ليس يعرفونني بالوهيتي[٥] وربوبيتي، ولجهلهم بذلك اجتروا عليّ وصنعوا هذا الصنيع لي.

وقد قال اشعيا الرسول المصطفى إلى الاحبار لجهلهم بأموره إذ قال: «انهم لو علموا لم يجتروا على صلب اله المجد». وليس من طريق معرفتهم بلاهوته يؤاخذهم، ولا من طريق جهلهم بربوبيته يغفر لهم، بل إنما يؤاخذهم بسوء مكافأتهم إياه على احسانه إليه في احيائه[٦] موتاهم واشفائه[٧] مرضاهم وإبراء زُمنائهم وإظهاره لهم من الآيات ما لم تسمع مثلَه أمثالُهم ولم ترَ شبهَه أعينُهم. كل ذلك تحرّياً لارشادهم وطلباً لصلاحهم. فلم يعتبروا بذلك منه ولا شكروه على احسانه ولا اقنعهم أيضاً.

المسألة الثانية والأربعون[٨]

[117 b] فان قال: واية[٩] عداوةٍ كانت بينهم وبينه في أنفسهم، فرأوا[١٠] منه ما // ذكرتم من الآيات فلم يقبلوا قوله ولم يبطلوا السبب بأمره ولكن قتلوه على

---

١. كل تعليل عمار البصري لاستغفار المسيح غير مقبول.
٢. أي اليهود.
٣. «مجتهدين».
٤. «عنا».
٥. «بالهتي».
٦. «احياه».
٧. «اشفاه».
٨. السابعة والعشرون في الخط المحدث.
٩. «وايت».
١٠. «فراو».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ذلك وصلبوه. بل لا شك انهم لو عاينوا منه الآيات التي وصفتم لكانوا يقبلون قوله في السبب وغيره دون أن يتمادوا في قتله وصلبه.

الجواب قلنا: بماذا كانت بينه وبينهم عداوة لم تكن بينهم وبين غيره من أولياء الله الذين[١] رأوا آياتهم وقتلوا من قتلوا منهم ونفوا من نفوا منهم وعصوا من عصوا منهم. بل العداوة التي كانت بدياً بينهم وبين موسى الذي استنقذهم الله على يديه من عبودية فرعون وأخرجهم من أرض مصر بالآيات العظام وأرادوا رجمه وقتله، كما شكا من فعلهم مراراً[٢] إلى ربه. وهي العداوة التي كانت بينهم وبين هرون الذي أرادوا قتله حين أتوه بحليّ الذهب ليعمل لهم منها صنماً يعبدونه. وهي العداوة التي كانت بينهم وبين ايليا[٣] الذي عاينوا آياته وتحقيق نبوته فأرادوا قتله، كما شكا منهم إلى الله مرةً بعد مرة.

وهي العداوة التي كانت بينهم وبين اشعيا الذي كانوا يرون تصديق نبوءاته صباحاً ومساءً فقتلوه شقّاً بالمنشار. وهي العداوة التي كانت بينهم وبين ارميا الذي رأوا برهان ما أخبرهم به من أنواع البلايا التي لقوها من عدوّهم فقتلوه رجماً. وهي العداوه التي كانت بينهم وبين زكريا الذي لم يمت حتى شهد جميع السرائر التي أخبرهم في نبوءاته من سببهم ورجوعهم، فقتلوه ذبحاً بين المذبح والهيكل. وهي العداوة التي كانت بينهم وبين الأنبياء الذين قتلوهم كقول ايليّا[٣]، إذ دعا ربّه عليهم وقال: «يا رب قتلوا //[٤] انبياءك وهدموا مذابحك وانا وحدي بقيت وهم يريدون قتلي». [119 a]

فلعمري ما ننكر عداوتهم للمسيح مع العداوة القديمة التي كانت بينهم وبين أولياء الله الذين ذكرنا بعضهم. بل إن حملنا القياسَ على شرهم وخبثهم وفسقهم

---

١. «الذي».

٢. «مرار».

٣. «آليا».

٤. هذه الصفحة واردة في غير محلها في الكتاب.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وشرهِ أنفسهم وحرصهم على ذوات بطونهم، وجدنا قتلَهم لمن مضى من الأنبياء والرسل قبل[١] المسيح أعجبَ من قلتهم المسيح.

وكذلك ان الأنبياء والرسل من قبل المسيح إنما كانت ترشدهم وتحثّهم على ما ينالون به صلاح دنياهم، أي كانوا إذا قبلوا قولهم فتابوا إلى الله من معاصيهم وأرضوه باليسير من أعمالهم، أوسعَ عليهم معاشَهم وأزكى له ثمارَ أرضهم وسلّطهم على عدوّهم واحسن إليهم في جميع أمورهم، كالذي[٢] كان من شرطه لهم، وإذا عصوه وتركوا وصاياه أضرّ بهم وبدّد جمعهم وسلّط عليهم أعداءَهم فسبوهم إلى بلادهم وذلّوا رقابهم، على ما كان عاهدهم.

فاما المسيح فانه أمرهم برفض ما كانوا يؤثرونه من أمور دنياهم والعمل بما يفوزون به في آخرتهم. فكان ذلك زوال دولتهم.....[٣] وروسائهم ونزولهم من مراتبهم ومصيرهم خَوَلاً[٤] لرسله الصيادين الذين كانوا يأنفون عن مناجاتهم، فضلاً[٥] عن أن يسجدوا لهم. فقتلُهم[٦] المسيح الذي كان يخصّهم على ما فيه ترك هذه الأمور به مع أضعاف تلك الآيات التي أظهرها لهم، لم يكن بأعجب من قتلهم الأنبياء الذين يظهرون لهم أيضاً في تشديدهم[٧] لما فيه قوام ملكهم وثبات سلطانهم وصلاح معاشهم.

[118 b] // **المسألة الثالثة والأربعون**[٨]

فان قال: فما الذي دعا المسيح من بعد هذه الأمور التي وصفتم إلى أن يقول لرسله: «انطلقوا فاجتذبوا جميع الشعوب واعمدوهم باسم الاب والابن وروح القدس»[٩]،

---

١. «قبل» مخطوطة مرتين.

٢. كالذي مستعملة بمعنى كما.

٣. خمس كلمات هنا لم نحسن قراءتها: «وفور اللقمة (أو: اللقم) السمان أفواه سواسهم».

٤. في النص «حولا»، وهي «خولاً»، أي عبيداً أو اماء أو أهل حاشية الرسل.

٥. «فصلاً».

٦. «فقبلهم».

٧. «تسديدهم».

٨. في الترقيم المستحدث هي المسألة الثامنة والعشرون.

٩. متى ٢٨: ١٩.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فنصب لهم ولاعقابهم عثرةَ الشك في وحدانية خالقهم وعلّة الشقاق والمراء فيه بينهم. وألا، إذ كان رحيماً بهم شفيقاً عليهم، تركهن على ما لم يزالوا[١] عليه من الاقرار بوحدانية صانعهم، دون أن كلّفهم الايمان بما ينبو[٢] عنه عقلُهم. فإمّا أن تأتونا بذلك حجةً توجبون بها أنّ إظهار ذلك كله أصلحُ لهم، وإما أن تقرّوا بأنه ليس من شأن الحكيم[٣] تكليفَ خلقهِ ما فيه عثرتهم وفسادهم؛ وإنما ذلك من افتعال ائمّتكم الذين ولوا[٤] تحريف كتبهم.

الجواب قلنا: به الله أرحم وأغلى بهم عيناً[٥] من أن يتعمّد لشيء ممّا يكلّفهم عثرةً بهم وفسادهم. لكن ليس من نعمة أنعم بها على جوهرهم الاّ وهي، إذا خفيت عنهم، أحبّ بلطفه ورأفته أن يعرّفهم اياها وان يكشفها لهم ليجزل على ما يزيدون إليه من شكرها ثوابهم. فانه على قدر نعمته لديهم يستحق الشكر هو عليها منهم، وعلى حسب ما يزيدون إليه من شكرهم يجزل عليه من بعد ثوابهم.

وانما غرضه في ذلك[٦] ما أولاهم. وغايته في كل ما اصطنعه عندهم أكملُ منفعتهم واستكمالُ الاحسان إليهم. وانه لم تكن في جميع ما اولاهم من نعمه من يوم أنشأهم، ولا يمكن أن تكون إلى يوم يغنيهم، نعمةٌ أشرف قدراً ولا أعظم خطراً من النعمة // التي من أجلها [119 a] احتجنا إلى أن نذكر لهم هذه الأسماء، وهي نعمة التجسد والتأحيد الذي به صحّت لجوهرهم المعرفة بطاعة خالقهم. فكان إذ[٧] اطلعهم المسيح جلّ جلاله بأقاويله وأفاعيله [على][٨] علم ما كان من ذلك مستوراً عنهم، يعني اتحاد لاهوته وناسوته، ثم حضر الوقت الذي أراد فيه فراقَهم،

---

١. «يزلوا».
٢. «ينبوا».
٣. «الحليم».
٤. أي تولوا.
٥. في النص «غنياً» ولعلها «عنياً» أي اعتناء.
٦. أي في ما.
٧. «اذا».
٨. «على» ناقصة؛ «اطلعهم علم» أي على علم؛ وعمار البصري هنا كعادته يعدي الفعل اللازم.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

احبّ أن يعرّفهم فيه كيف صحّتْ لناسوته المنتزَعة من جوهرهم تلك البنوةُ الإلهية التي كان أوعز ذكرها إليهم، وكيف صدق في قوله ان من قبل ابراهيم قد كنت انا[١] وفي قوله اني نزلت من السماء[٢] وانا وأبي شيء واحد[٣]، فقال: انطلقوا فعمّدوا الشعوب باسم الاب والابن والروح القدس، أي اعلموا أنه لم يزل للآب الأزلي ابنٌ أزلي، وهو القائل اذّاك اني نزلت من السماء وقد كنت قبل ابراهيم وانا وابي شيء واحد؛ وباتحاده جسداً من جوهركم استحق جوهرُكم بنوةَ خالقكم؛ فأدمنوا الآن شكركم ليجزل عليه ثوابَكم، ولو انه، إذ أخبركم عن وحدانيته[٤] لا انه بنوة لاهوته وناسوته بدياً، ثم ردف ذلك بذكر الآب والابن الأزليين أخيراً[٥]، لمَا استقام عندهم أن أزلياً وبشرياً إذا اتحدا وائتلفا صار الله ابناً، ولَمَا فطنوا لانعام الله على ناسوتهم بصحة البنوة لله، ولكانت البنوة التي ادّعاها المسيح لناسوته عندهم بنوةً بدعوة خاوية لا بحقيقة واجبة.

ولكنه إذ[٦] أراد أن يحقق صحة ذلك في قلوبهم اخبرهم بأزلية الاب والابن والروح القدس، لينبّه بذلك عقولهم إلى صحة بنوة بشريتهم المتحدة[٧] مع الابن الأزلي الذي كان أخبر انه نزل من السماء وكان قبل ابراهيم، فيوجبوا له ما استأهل على ذلك من عظيم الشكر ليستوجبوا // منه بشكرهم عليه جزيل الثواب. فهذه كانت علة اظهار المسيح اسم الاب والابن وروح القدس. وربّما اعترض المعترض في موضع قول المسيح اني نزلت من السماء، فيقول: ان كان انّما عنى بذلك لاهوته الأزلية فكيف لِما[٨] لم يزل وما لاحد له لا يخلو[٩] منه موضع ان [119 b]

---

١. يوحنا ٨: ٥٨.

٢. يوحنا ٦: ٥٠.

٣. يوحنا ١٧: ١١، ٢٢.

٤. «وحدانيه» في النص، أي لو أخبركم منذ الابتداء.

٥. في النص «اخبر انه».

٦. «اذا».

٧. «المؤتحدة».

٨. «لما» مستعملة بمعنى الذي، أي فكيف للذي لم يزل والذي لا حد له ومن لا يخلو...

٩. «يخلوا».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ينتقل من مكان إلى مكان وينزل من السماء إلى الأرض، وهو لم يزل بزعمكم في الأرض منذ كانت الأرض، كما لم يزل في السماء منذ كانت السماء.

الجواب فنقول: انا قد أخبرنا في أعلى[١] كتابنا هذا ان صنائع الله جلّ ثناؤه ليست كصنائع ذوي الأجسام، كذلك نزوله لا يكون بنقلةٍ من مكان إلى مكان، وقد ذكر الله في مواضع كثيرة من كتبه اني نزلت ونظرت وهبطت واستعليت. وليس ذلك على ما نعرف من نزول المخلوقين وهبوطهم وظهورهم. بل يعني بذلك إظهار اعلامه وآثاره في الأرض واعلان قوله وأموره في أهل العالم. كذلك الأزلي من قنوم الابن جلّ ثناؤه عني بقوله اني نزلت من السماء أي انا المتعالي في السماء تجسّدت بشراً من أهل الأرض فاظهرت منه أمري وسلطاني وربوبيتي، وباتحادي به صرت في عداد أهل الأرض مع أهل جوهره، كما أنه باتحاده معي صار في عداد أهل السماء مع ذوي جوهري. فهذا معنى قول الأزلي اني نزلت من السماء.

المسألة الرابعة والأربعون[٢]

فان قال: فان كان إظهار اسم الاب والابن لعلّه اتحاد الابن مع // البشري كما زعمتم، [120 a]
فما الذي دعاه إلى ذكر اسم الروح. وقد كان يكتفي بذكر الاب والابن فقط.

الجواب قلنا: أراد بذلك خصلتين احداهما أنْ ذكرَ الابَ في مواضع أُخَر وذكر الابنَ في مواضع أُخَر مفرداً، ثم قرن بين أسمائهما في ذلك الوقت الذي أراد الإخبارَ فيه عن وحدانية جوهرهما. كذلك إذ ذكر الروحَ في مواضع مفرداتٍ[٣] وكان نظير الاب والابن نفسهما[٤] فنقول العين الحارة واليابسة نارٌ كامنة. كذلك

---

١. «اعلا».

٢. التاسعة والعشرون في الترقيم المستحدث.

٣. «مفردات» ولعلّها «مفردة»، أي الروح.

٤. لا شك في أن مقطعاً سقط من الناسخ هنا، والاّ فلا سبيل إلى ربط ما يلي من الجملة بما سبق منها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسيح لم يستجز، إذ حضرت علّةٌ احتيج بها إلى وصف مائية[١] الجوهر الأزلي بكمال خواصه، أن يذكر اسم الاب والابن ويغفل ذكر اسم الروح.

المسألة الخامسة والأربعون[٢]

فان قال وكيف استجاز المسيح أن يقول لرسله بعد ذلك اني منطلق ومرسل إليكم روح القدس الفارقليط، مع زعمكم ان روح القدس اله خالق كالاب والابن. أفيمكن أن يكون الهٌ خالق رسولَ الهٍ خالق. ام كيف لا يكون اله خالق واله خالق [واله خالق][٣] ثلثة[٤] الهة خالقين؟

الجواب قلنا: انه لم يعنِ بقوله اني مرسل إليكم روح القدس روح الفارقليط، أي انا مرسله كما يرسل المرء عبدَه أو خادمه أو كما يرسل المخلوق مخلوقاً مثله. بل كان مذهب قوله في ذلك على منهاج ما قال الله في كتبه من قبل: اني نزلت وهبطت وظهرت واستعليت. وكان ذلك يحيل على أفاعيله وأعماله وقواه واعلامه. كذلك عني المسيح بقوله اني مرسل إليكم روح الفارقليط، أي انا مظهرٌ فيكم وعلى أيديكم آياتٍ واعلاماً تنسب إلى روح الفارقليط. وامّا // اجراؤه[٥] ذكرَ الفارقليط ههنا واضافته الأمر إليه، إرادةَ ان يعلمهم[٦] ستراً[٧] أن روح الفارقليط [120 b] نظيره ونظير أبيه في اللاهوت والسلطان، وليس دون روح الفارقليط يُظهر على أيديهم تلك الآيات. وانه وان كانت الثلثة الأقانيم الأزلية مستوية في السلطان متفقة في الطباع، فانه إذ ذكر الاب في النوبة الأولى وخصّه بافاعيل لقوله: ان أبي الحالّ فيّ هو يفعل هذه الأفاعيل، ثم خصّ نفسه في النوبة الثانية فقال اني أفعل كما يفعل ابي واخلق كما يخلق ابي، كذلك احبّ، إذ كان روح القدس

---

١. «مائية».

٢. «المسألة الثلاثون» في الترقيم المحدث.

٣. «واله خالق» ساقطة من النص.

٤. في النص «وثلثة».

٥. «اجراه» في النص.

٦. «يعلمهما» في النص.

٧. أو «ستراً»، وفي النص «سيراً»؛ ولعلها «سراً»، وهو المعنى المقصود.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في الهيّته وربوبيته وسلطانه وأزليته كالاب والابن، أن يجعل لذكره نوبةً يخصّه فيها بأفعال الآيات والأعاجيب كما خصّ الاب والابن في النوبتين من قبل، ليبيّن بذلك انه ليس بين الاب والابن وروح القدس فصل في القدرة ولا بينونة في السلطان والربوبية. فهذه كانت علّة قول المسيح لرسله: اني أرسل إليكم روح الفارقليط.

فاما قولك: فكيف يكون خالق وخالق وخالق ثلاثة خالقين، فلعمري ان لو عددناها كما وصفت خالقاً وخالقاً وخالقاً لكانت لا محالة ثلثة خالقين. فاما ان كنا نسمّي كلّ واحد منها خالقاً صانعاً بارياً لا دون صاحبيه، لأنها تخلق بهوى[١] واحد وارادة واحدة، فليس يلزمنا ان نسمّيها خالقاً وخالقاً وخالقاً تصير في الجملة لا محالة ثلثة خالقين. إنما كان يلزمنا أن نعدّها خالقاً وخالقاً وخالقاً تصير في الجملة ثلثه خالقين، لو قلنا ان كل واحد منها بقوة وارادة منه وله خاصةً دون صاحبيه.

وألا ترى أنك قد تسمّي الشمس لا محالة شمساً مسخنة منضجة // مضيئة محرقة، فلا [121 a] يجوز لك أن تعدّها شمساً وشمساً وشمساً ثم تصيّرها في الجملة ثلاث شموس وثلاث محرقات. لأنها إنما تسخن وتنضج وتحرق بحرارة واحدة وقوة واحدة، لا ان خاصةً منها تنضج وتحرق وتسخن بحرارة وقوة ولها دون صاحبتيها. بل تسخين العين وانضاجها واحراقها هو تسخين الشعاع واحراقه، وتسخين الشعاع وإنضاجه واحراقه هو تسخين المنبثق المنبسط على الأرض منها وانضاجه واحراقه. لذلك صارت في الجملة شمساً واحدة مسخنةً واحدة محرقةً واحدة.

هكذا وعلى مثل هذا نقول ان الاب جلّ ثناؤه خالق صانع بارئ[٢] والابن خالق صانع بارئ[٢] وروح القدس خالق صانع بارئ[٢]، وليست ثلثتها في الجملة ثلثة وثلثة صانعين ولا هي في العدد أيضاً خالق وخالق وخالق، وان كان كل واحد منها إذا أنت أفردته بخاصته سمّيته خالقاً بارياً صانعاً. وذلك ان جميعها يخلق

---

١. «بهوا».

٢. «بار».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ويصنع بإرادة واحدة ومشيئة واحدة. وعن تلك الإرادة الواحدة والمشيئة الواحدة والسلطان الواحد تكونت جملة الخليقة، لا ان كل واحد من الثلثة يخلق ويصنع ويدبّر بارادته ومشيئته منه وله دون صاحبه. بل ارادة الاب وخلقه هي إرادة الابن وخلقه وارادة الروح وخلقه.

وكذلك الجميع في الجملة خالق واحد صانع واحد بارئ[١] واحد على قياس ما أخبرنا من جوهر الشمس وخواصها وأفعالها.

[121 b]

المسألة السادسة والأربعون[١]

فان قال: فما معنى قولكم ان المسيح جلس عن يمين الله يشفع إليه فينا؟ هل لله يمين يجلس المسيح عنه؟ أم هل يحتاج المسيح إذا أراد أمراً أن يشفع فيه إلى غيره؟

الجواب قلنا: فاما ما قيل عن جلوسه عن يمين الله فمعنيٌّ به ما أخبرنا به في اعلى[٢] كتابنا من استيلائه على جميع سلطان الله، ثم ما هو عتيد أن يتولاه أحد من مداينة الناس في البعث عن الله[٣].

واما ما قال انه شفع إلى الله في ابتغاء الحياة الدائمة لهم من الله طلباً لمغفرة خطاياهم المنقذ[٤] ودوام تلك الشفعة بها، قرب شخصه على الصليب ذبيحةً طاهرة لله تتلافى[٥] ما تقدم من جناية آدم التي بها جرت صرعة الموت عليهم من الله، كما قد سمعت ما قد قيل في التوراة من ما شبه[٦] ذلك ومثاله: ان الله كان يغفر خطايا بني إسرائيل بذبائح الغنم والبقر والطيور ويصفح بسفك دمائها عن سيئاتهم.

---

١. في الترقيم المتأخر: «المسألة الواحد والثلاثون».

٢. «اعلا».

٣. لكي يستقيم المعنى يجب زيادة حرف نفي، فيكون المعنى إذاً: من استيلاء المسيح على جميع سلطان الله وعلى محاكمة الناس في الدينونة، وهي وظيفة لن يتولاّها أحد غيره.

٤. في النسخة: «المتقد»، ولعلها المنقذ كنعت لكلمة طلب.

٥. «يتلافا».

٦. «ماشية».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فإذا كانت دماء الطيور والبهائم والدواب تشفع إلى الله في غفران خطايا الناس، فأحرِ برأفته ورحمته أن تصفح عن ذنوب الناس بشفاعة دم ابنه الذكي النقيّ الذي قرّب نفسه ذبيحةً طوعاً بدل خطايا الناس.

كذلك أيضاً ليس بمنكر، من فضل المنعم الجواد، إذ كان بزلةٍ صغيرة فرطت من واحد من الناس أوجب الموت والهلاك على جميع الناس، أن يكون بكمال برّ واحدٍ من الناس يوجب الحياة والفوز لجميع جوهر الناس. بل الكريم الجواد، للمسارعة إلى ما يشاكل فضلَه وكرمَه من احتمال ذلك، خَلقهم واجتذبهم[١] إلى فضائل نعمه، وهي[٢] // نعمة الخلق[٣] بالمسيح عزّ جلاله، [122 a] أكملَ فيهم الخصلتين جميعاً كما أخبرنا، أي دحضَ خطيئة آدم عن ذرية آدم ببرّه وطهارته، ثم أبطل عنهم الموتَ الذي اكتسبه آدم بمعصيته ثم اكتسب لهم الحياة بقربان لحمه ودمه.

المسألة السابعة والأربعون[٤]

فان قال: وكيف دحض عنهم الخطايا، وقد نرى الناس كلهم يخطئون ويذنبون. ثم قد تزعمون أنه أوعد الخطاةَ بعذاب لا يزول. وكيف أبطل عنهم الموت ولم يكن الموت منذ كانت الدنيا أكثر منه منذ ظهر المسيح إلى اليوم، ولا كانت اعمار الناس منذ قط أقصر منذ ذاك حتى الآن.

الجواب قلنا: انّا لم نعنِ بقولنا دحض الخطيئة أنهم جبرهم الاّ يخطئوا أو يذنبوا، أم أباح لهم الخطايا يرتكبونها كيف شاؤا. ولا عنينا بقولنا انه أبطل عنهم الموت أي ألاّ ينقلهم بالموت من هذه الدار إلى دار الحياة. بل عنينا بدحض الخطيئة عنهم القاءَ وزر خطيئة آدم أبيهم عنهم الجالية للموت على جميعهم،

---

١. في النسخة «خلقه واجتذابهم». والجملة مضطربة.

٢. في نهاية هذه الصفحة وبداية التالية يعود الناسخ الأول إلى الكتابة.

٣. «بعمه لحلق».

٤. في الترقيم الثاني: «الثانية والثلاثون».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ببرّه الذي كان تلافى[١] قطع خطيئة آدم أبيهم. وعنينا بابطال الموت عنهم إيجابَ القيامة والحياة الآجلة ببره تلقاء الموت العاجل الذي جلبه آدم بخطيئته على جوهرهم.

أوَ لم تسمع ما تحكي التوراة من قبول الله لآدم: «انك يوم تأكل من هذه الشجرة تموت موتاً»[٢]. ثم تخبر ان آدم عاش من بعد اكله من الشجرة مائة وكذا وكذا سنة، لتعلم انه عني بقوله ان يوم تأكل من الشجرة تموت موتاً، أي يوم تأكل منها تستوجب الموت.

[122 b] وهكذا قلنا فيما أبطل المسيح من الموت، أي من ذلك أوجب القيامة // والنشور لجميع الناس، لا انه منذ ساعة أوجب القيامة ارتفع الموت عن الناس أجمعين. فكما شركهم الله جميعاً في خطيئة آدم أبيهم وموته عاجلاً، إذ لم يشاركوه في خطيئته فعلاً وعملاً، كذلك شركهم جميعاً في بر المسيح الذي تجسد منهم وقيامته آجلاً، وان لم يشاركوه في برّه عملاً وفعلاً.

أوَ لم يبيّن الله ما يشبه هذه المنزلة وأمثالها في كتبه ممّا لم يزل يعامل به خلقَه، كقول التوراة: ان ابراهيم تضرّع إلى الله في أهل سدوم وقال: يا رب ان وجدت في هذه القرية خمسين صالحاً تصرفُ عنها غضبك ونقمتك لصلاح الخمسين. فقال الله له: ان وجدت فيها خمسين أبراراً صفحت عن جميعهم لصلاح الخمسين. ثم لم يزل يراجع ربّه حتى انتهى إلى خمسة، فقال الله له: ان وجدت فيهم خمسةً أبراراً صفحت عن جميعهم لمكان الخمسة[٣].

ثم يخبر في كتاب آخر بقصة غاحار بن كومى وصنيعه بما كان من هلاك الوف كثيرة من بني إسرائيل في سبب خيانته.

ويخبر في مكان آخر صرف غضبه عن جميع الشعب بدعاء فنحاس الكاهن إذ صلّى[٤] قدامه وتضرّع إليه أن يصرف الموت عنهم. أفلا تراه قديماً أنه يؤاخذ

---

١. «بلافا».

٢. سفر التكوين ٢: ١٧.

٣. تكوين ١٨: ٢٠ ــ ٣٣.

٤. حلاّ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الكثير بذنب الواحد ويصفح عن الكثير ببرّ الواحد. على نحو ما فعل أولا من إيجابه الخطيئة والموت بجناية الواحد الذي كان ابن الجميع، كصنيعه أخيراً على ايجابه القيامة والحياة للحميع ببر الواحد الذي صار آخر الجميع.

المسألة الثامنة والأربعون[١]

// فان قال: أفلستم تزعمون أن الله خلق آدم مائتاً من قبل أن يخطئ، وخلقه وذريته [123 a] على أن يقيمهم ويبعثهم من الموت، من قبل أن يجيء المسيح. فاذ كان خلقهم في البدء على الأمرين جميعاً، فما الذي جلبت عليهم خطيئة ادم من الموت، وما الذي أوجب لهم برّ المسيح وقربان لحمه ودمه من الحياة؟

الجواب قلنا: ألا ترى ان الله جلّ ثناؤه، وان كان خلق آدم وذريته في الأصل بما أراد بهم من الخير والنعيم في الأصل، فأراد أن يُهنيهم ذلك الخير ويكمُل سرورُهم بذلك النعيم الذي ازمع به لجوهرهم، جعل ذلك باكتساب واستحقاق له. وان كان خلقهم في الأصل أيضاً ليبعثهم على الحياة التي أزمع بها لهم، فأراد أن يكمُل بما تعمّدهم به منها سرورُهم، ثم أحب أن ينيلهم اياها باكتساب منهم، ــ فالذي علم بسابق علمه أنه لا يبلغ من برّ كل واحد منهم وصلاح أعمالهم ما يستحق به من تلك الحياة مقدار طرفة عين، ثم عرف أنه سيبذل يوماً ما تصغر عند بره وخيره شرور من مضى قبله وذنوب من يأتي بعده، أعانهم بلطفه وعطفَ عليهم برأفته فشرك من أهل جوهرهم أجمعين في صرعة الموت ونهوض الحياة وفي العلّتين الجالبتين لهم[٢] خاصة. ثم بدأ يعاملهم اولاً بشبه ما حكم به عليهم. فألزمهم ما لم يتعاطوه من جناية آدم أبيهم. ثم أوجب الموت الذي كان عقوبة تلك الجناية على جميعهم. حتى إذا بلغ من جوهرهم الواحد المنتخَب[٣] لاقامة صرعتهم، فكانت حبورته[٤] وطهارته بلقاء خطيئة أبيهم واستحقاقُه للنهوض من الموت بلقاء صرعة

---

١. في الترقيم الحديث: «الثالثة وثلاثون».

٢. في النسخة: «العليين الحالسس لهما».

٣. في النص: «المنتصب».

٤. حبورته أي إمامته أو نعمته.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[123 b] أبيهم[١]، وحيث // حجتهم به بلقاء الحجة التي أوجبها الخالق عليهم[٢] بجناية أبيهم. فكان عدله جلّ ثناؤه كالمقتضي له عنهم المغفرة الموجبة للحياة التي اكتسبوها بأخيهم، كما اقتضاهم أولا من وزر تلك الجناية الجالية للموت التي اكتسبها لهم أبوهم.

أو لم ترَ فعل اللطيف الرحيم من هذه الشركة التي أنعم بها على خلقه ما يفعله الاب الحصيف الشفيق بأولاده إذا استبان له عجزهم عن القيام بشأن معاشهم وقلة حَيْلهم في مكاسبهم وتضييعهم لما فوّض من ماله إليهم. ثم أنسَ برجل واحد من بنيه وعرف حسنَ قيامة بكل ما يصلح شأنهم وكفايتَه لكل ما تقلّده من أمورهم، شرك بينهم جميعاً في كل ما عليهم وما لهم وسوّى بينهم في مكاسبهم وتجاراتهم. حتى إذا نزلت بهم نازلةٌ يضيق بها ذرعهم، كان أخوهم القوي رفداً لهم في دفع المكروه عنهم وسنداً لظهورهم عند كل آفة تدخل عليهم أبدانَهم وأموالهم[٣].

كذلك فعل الاب الرحيم جلّ ثناؤه بخلقه إذ عرف عجزهم عن أن يبلغوا من طاعته ما يستحقون به منه، احيا ميتَهم واستحقاقَهم ما يستاهلون به منه اقامةَ صرعتهم، اعانهم برحمته وشرك بينهم وبين أخيهم القوي المحتمل لِمَا حمل من أمورهم. ثم بدأ يطالبه بما لزمه ولزمهم من دَيْن أبيهم. حتى إذا بذل بدنه ودمه له قرباناً كالسنّة التي أجراها قديماً على أهل جوهرهم من تقريب أجسام الحيوان ودمائها ليكفّر خطاياهم، كان بتجشّمه بشاعة ميتته على الصليب الذي
[124 a] كان يعقبه نهوضُ الحياة أبطالاً للذّة، فيناقض تلك الشهوة التي كانت // عاقبتها صرعة الموت.

---

١. أي ان نعمته هي بدل خطيئة ادم واستحقاقه القيامة بدل سقوط ادم.

٢. أي انه هو الحجة التي يواجهون بها الحجة التي أوجبها الخالق عليهم.

٣. أي كل آفة تدخل أو تصيبهم في أبدانهم وأموالهم؛ في النص: «تدخل عليهم»، وقد يكون الأصل «تدخل على...».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة التاسعة والأربعون[١]

فان قال: فان كان الأمر حقاً على ما تدعون، فبماذا يموت الناس منذ جاء المسيح إلى اليوم؟ وألا، إن كان الأمر صحيحاً كما تصفون، صرفَ الموت عن الناس منذ ذلك فلا يموتون؟

الجواب، قلنا: ان المسيح لم يخصّص بهذه النعمة مَن يأتي بعده دون من مضى من قبله. بل شملت نعمته الماضين[٢] قبله مع الاتين بعده. فلو انه صرف الموت عن من كان بعده دون من مضى قبله، إذن لكان عدلُ الجوّاد في ذلك غيرَ شامل لأجمع خلقه، إذ أشرك أوليّهم بدياً في جناية ابيهم وموته، وحرمهم ما شرك فيه آخريهم عاجلاً من بر أخيهم وحياته. ذلك مع بيان الحيف أيضاً في صرفه عن آخريهم ما اوجب على أوّليهم من جناية ابيهم وموته.

ولكنه أراد عز جلاله الاّ يجد[٣] الناس في شيء من الشركتين اللتين اجراهما بينهم من ذلك مطيعاً[٤]، اهمل الموت وأتى على المتقدمين وعلى المتأخرين كلهم كملاء[٥]. حتى إذا استقضى السنّةَ السالفة منهم حظّها[٦] بالموت عن جميعهم، عطف عليهم من بعد فأوجب للحسنة[٧] الجارية منهم حقَّها من الحياة لأجمعهم.

المسألة الخمسون[٨]

فان قال: أوَليس كل ما تصفون من فعل الحسنات والصالحات والانقياد والخضوع للموت والآفات يدل على أنه عبد من العبيد، فما يمنعكم من ان

---

١. «الرابعة وثلاثون».

٢. «الماضيين».

٣. «بحد». أهي «يجد» أم «يحد».

٤. «مطيعاً» في النسخة، ولعلها «محيصاً»، أي لم يجد محيصا؛ وهذا التعبير مألوف عند عمّار.

٥. في النسخة «كملا» ومعناها: جميعاً.

٦. «حطها». المعنى: بعد أن ترك سنة الموت تأخذ حظها منهم، عطف عليهم.

٧. كذا في النسخة، وقد يكون الأصل: «للسنة».

٨. «الخامسة وثلاثون».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[124 b] تسمّوه[١] عبداً، وليست هذه الصفات الا لعبد من العباد؟ ثم قد // تقرون أيضاً بأن الله قد سمّاه في بعض كتبه عبداً خاضعاً، فلَمَ تستنكفون له ممّا لم يستنكف له؟

الجواب، قلنا: ان حسناته وتواضعه وخضوعه وموته وما أشبه ذلك يدلّ على أنه بعيد من اسم العبد وذلة العبودية. لأن الحسنات التي لا تشوبها السيئات، والتواضع الذي لا يشوبه الكبر، والخضوع الذي لا يشوبه التجبّر، والبرّ الذي لا يشوبه شيء يفسده[٢]، من أفعال الأحرار البعيدين من أسماء العبيد لا من أفعال العبيد. ذلك ان العبد عندنا مَنْ كان في خطيئته مرتبكاً[٣] وبذنوبه مرتهناً كالذي[٤] قال المسيح: «ان العبد إنما هو عبد الخطيئة». فاذ كان تواضع المسيح وخضوعه وانقياده وموته التماساً لصلاح العوام وتفضلاً وبراً وإنعاماً كالذي[٤] فسّرنا في أعلى[٥] كتابنا، فليس بمستحقٍ لاسم العبيد من جهة مما ذكرت من حسناته وخضوعه وتواضعه.

وأما ما قلت من أن الله سمّاه عبداً، فقد، لعمري، سمّاه عبداً وصدق اله جلّ ثناؤه في تسميته عبداً. ولكن لا من الجهة التي قد حسبتَ. فقد سمّاه «حجراً» وسمّاه «شمساً» وسمّاه «كوكباً» وسمّاه «حملاً» وسمّاه «أسداً». والمسيح أيضاً فقد سمى نفسه «خبزاً» و«باباً» و«طريقاً» و«نوراً» و«حياةً» و«نشوراً». فقد سُمّى نفسه بهذه الأسماء كلها وليست معانيها معاني أعيان الأمور تتشبه[٦] بها. كذلك سماه الله عبداً وليس على المعنى الذي تظن به هذا الظن، بل على المعنى الصحيح الذي له استوجب ذلك من وقت إلى وقت اضطراراً. وما من [125 a] أحد وُجد على الأرض كان أحقّ // باسم العبودية على ذلك

---

١. «تسمونه».

٢. أي: هو من أفعال...

٣. قراءة غير أكيدة.

٤. كالذي بمعنى كما.

٥. «اعلا» في النص.

٦. «يتسبه».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المعنى، منذ الوقت الذي فيه استوجب ذلك إلى وقت الذي انتهى من المسيح[١] جلّ وتعالى.

وذلك انه، إذ كانت الخطيئة السالفة هي التي أوجبت اسم العبيد على آدم وذريته، كالذي[٢] حكم به المسيح من أن العبد إنما هو عبد الخطيئة، ثم كان هو الكفيل الضامن عنهم، أدّى ثمن تلك الخطيئة وموتَهم شخصَ انسيّتهِ بدلهم لأداء قيمة تلك الجناية، ــ لزمته وعَقِبَه بذلك تلك العبوديةُ التي وُجبت على جميعهم بتلك الجناية لا محالة.

وهنالك تم قول الله على لسان نبيّه إذ قال: «انه يصير عبداً لكثير لأن خطاياهم هو تحمّلها»[٣] أي تحمّل خطيئتهم بموته الذي هو دحضُ خطيئتهم، وهو معنى قوله يصير عبداً لكثير.

ثم يبين أيضاً ويقول «إنه يلزم الخطيئة نفسه لترى عيناه ثمرة ما زرع وتطول أيام حياته ومسرة الله على يده تصلح»[٤]، أي بتقلد الخطيئة الموجبة للعبودية والموت ببدنه عنه، تطول الحياة التي اجتناها الله من ثمرةِ ما زرع من بذل لحمه ودمه وإرادة الله من إيجاب الحياة على بدنه بوساطته.

فلما نقد عنهم ثمن تلك الخطيئة التي وجب بها عليه من قِبلهم اسمَ العبيد بقربان لحمه ودمه اللذين بذلهما لفكاكهم، ثم انبعث من الموت الذي تجرّعه بسببهم فأزال تلك الخطيئة وأبطل تلك العبودية عنهم وعن نفسه. وكان مثلُه في ذلك مثلَ رجلٍ دخل إلى دار سلطان فنظر إلى قوم من أهل بيته ولحمه ولحمته يُطالَبون بأموال قد ضاق ذرعهم عن أدائها من خراج وموائد وغير ذلك، وبعضهم يُضرب وبعضهم يُعذّب بأنواع العذاب، فرَق لهم وترأف[٥]

---

١. أي منذ خطيئة ادم إلى وقت انتهاء زمن العبودية بموت المسيح.

٢. أي «كما».

٣. اشعيا ٥٣: ١١.

٤. اشعيا ٥٣: ١٠.

٥. «وترآ أف».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

[125 b] // عليهم. ولم يزل يتلطف حتى وصل إلى الملك فقال له: أيها الملك أنا اضمن لك كلّ ما لك على هؤلاء[١] القوم وكفيلهم لك بأنفسهم، فأطلقْهم واحتبسني مكانهم. فأطلقهم الملك بضمان الكفيل فصار الكفيل عبداً أسيراً في بدنه بدلهم. وأمر بحبسه في السجن مكانهم. ثم لم يزل يستأديه نقدةً بعد نقدة حتى إذا استوفى كل ما صار له عليه من قبلهم خلا سبيلَه، فصار هو وهم جميعاً أحراراً لا سبيل للملك عليهم.

كذلك المسيح مغيث أهل العالم، إذ دخل دار العالم فرأى أهل العالم عبيداً أسرى الذي ملك[٢] العالمَ بدَيْن أبيهم الذي خلقه من العالم، رحمهم وترأف[٣] عليهم واقترب إلى ملك العالم فسأله أن يضمنه ما له عليهم من دَيْن آبيهم آدم. وصيّره عبداً أسيراً بدلهم إلى أن يُخرج إليه ممّا له عليهم. فضمنه ذلك ووثق به فيما له عنهم وصيّره له عبداً أسيراً مكانهم. ثم أمر وحبسه في سجن العالم حتى إذا كمّل تربيةَ بدنه ودمه بعد العفاف والطهارة والصلاح زماناً، قرّبهما إليه تبرّعاً وتطوعاً[٤] قرباناً نفسياً زكياً؛ فكانت قيمة ما أدّى إليه من ذلك أعظم من قيمة ما ضمن له عن أهل العالم.

ثم استحق باستيجاب لا يُدفع أن تبطل عنه العبودة التي وجبت عليه بضمانه دَيْن أهل العالم. وتستشهد له فيما تقول من ذلك كلمة الرب السابقة على لسان نبيّه ونجيّه زكريا إذ قال: «وانت أيها المخلص اطلقت بدمك الذي هو ميثاقك من الجب الذي ليس فيه ماء»، أي أطلقت المأسورين بحبل الموت، إذ لا رجاء لهم ولا مغيث يغيثهم، بسفك دمك الذي به كان من الموت فكاكهم.

[126 a] ولم يُدعَ مجيباً[٥] إذ استغفلت[٦] عن رسله هذه العلة التي كانت[٧] // احدى

---

١. «هاولاء».

٢. «اسرا لدي»: «اسرى لدى ملك العالم»، أو «اسرى الذي ملك العالم».

٣. «وترااف».

٤. في النسخة «وتطولا».

٥. في النسخة «محبياً». لعلها «محبباً» أو «مجيباً». والجملة غامضة.

٦. قراءة غير أكيدة أبداً.

٧. يتغير الخط أثر هذه الصفحة، ويعود الخطاط الثاني إلى الكتابة.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

العلتين اللتين من أجلهما[١] بذل جسده ودمه للموت ان عرض تناسبهما ومثالهما[٢].

وفي غير موضع من أقاويله وأفاعيله من ذلك أن تناول الكاس في ليلة الفصح وشرب منها ثم ناولهم وقال لهم: «اشربوا منها كلكم فان هذا هو دمي الذي هو ميثاقي يُهراق من أجلكم»[٣]. فقد سبق من قبل ذلك فقال: «ان الخبز الذي اطعمه أنا هو جسدي الذي أبذله لحياة أهل العالم»[٤]، أي إذا بذلت جسدي ذبيحة تُرفع على الخشبة ودمي قرباناً يُسفك على الأرض، أبطلت بذلك الخطيئة والموت عن أهل العالم، وأوجبت به الحياة والنشور جميعاً.

وذلك أيضاً تصحيح قول نبي الله اشعيا إذ يقول: «وهو يُقتل من أجل خطايانا ويتواضع في سبب حياتنا، فعليه السلام من جميعنا، لأنّا بجراحاته نستشفي وبآلامه نتداوى. أو كلنا كالغنم ضللنا لقاء[٥] الرب خطايانا كلنا»[٦].

ويقول في موضع آخر: «ان في ذلك الزمان، يعني زمان الفاروق[٧]، يُبتَلع الموت بالغلبة»، أي[٨] سلطان الموت يغلبه المسيح إياه بايجاب[٩] البعث والقيامة. ثم ينبعث الرسول السمائي فولوس كالمستهزئ بالعدوّ المنهزم المغلوب فيقول: «اين شوكتك يا موت واين غلبتك ايتها الهاوية»؛ ثم يبيّن ويقول: «ان شوكة الموت كانت الخطيئة وقوة الخطيئة كانت السنّة»: يعني بالخطيئة المعصية السالفة الجالية للموت، يعني بالسنّة الشريطة التي وضعها الله بينه وبين آدم إذ نهاه عن الأكل من الشجرة، خبراً[١٠] لمن كان دونه في البشر من جميع ورثة آدم.

---

١. «اجلها».

٢. «ومثالهم». الجملة غير واضحة المعنى والمبنى.

٣. متى ٢٦: ٢٧.

٤. يوحنا ٦: ٥١.

٥. «طللنا لقاء».

٦. اشعيا ٥٣: ٥ ــ ٦.

٧. الفاروق من السريانية ܦܪܘܩܐ ومعناها المخلص.

٨. في النص «ان».

٩. «بانجاب»، وقد تكون «بايجاب» وهي كلمة من مفردات عمار البصري.

١٠. في النص «خبر».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المسألة الحادية والخمسون[١]

[126 b] // فان قال: فهبْكم صادقين في قولكم ان تلك الحياة الأخيرة أفضل من هذا الموت. ولكن أية[٢] فضيلة لتلك الحياة على هذه الحياة الدنيوية، مع زعمكم أنه لا نعيم من أكل وشرب ونكاح وغير ذلك من لذات الأبدان هناك. بل لو يخلّد الناسَ في هذه الدنيا ينعمون فيها بما قلّ وكثر من نعيمها، كان أصلحَ لهم وأحسنَ لهم من تلك الحياة، إذ كان لا نعيم من اللذات معها.

الجواب قلنا: بل فضل تلك الحياة على هذه الحياة عظيم غير مجهول عند ذوي العقول. لأن تلك الحياة لا ضرورة معها ولا حاجة تشوبها ولا آفة تنالها، وهذه متسيّجة بكل ضرورة وكل حاجة وكل آفة. وقد يكاد الموت، إذ[٣] لا حاجة معه، أن يكون أجلّ[٤] وأفضل من هذه الحياة الدنيانية، إذ كانت الآفات والضرورات مخالفة لها.

أوَ لا ترى أيها الحكيم انه لا لذة ينالها آكلو الطعام من طعامهم وشاربو[٥] الشراب من شرابهم إلاّ[٦] يتقدم الجوع والعطش بأجوافهم، كان أكولهم ممّا يلذونه من طعامهم وشرابهم. وكذلك حالهم في جميع ما نالوه من شهواتهم. فمن هذا ما يُستدلَّ انه لا سبيل إلى نيل اللذات إلا يتقدم الشهوات ولا وجود للشهوات الا باهتياج الضرورات. فإذا ارتفعت الضرورات بطلت الشهوات وإذا بطلت الشهوات تلاشت اللذات.

أوَ لم يتبين لك في أعلى[٧] كتابنا هذا[٨] انه غرث هذه النواقص في هذه الأبدان

---

١. «السادسة والثلاثون» خطت فوق الأولى.

٢. «أيّت».

٣. «ان».

٤. او: «اجد»، «احلى»...

٥. «شاربوا».

٦. أي: إذا لم؛ والجملة ناقصة، بينما معناها واضح.

٧. «اعلا».

٨. «هذه».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لسبب التناسل وعطل الاكتساب[١]. فإذا بطل التناسل أعطلَ الاكتسابَ[٢]، ثم جُدّدت الأبدان على بنية روحانية سمائية ارتفعت // وتعالت على أن تنعم بالشهوات واللذات، بل تنال نعيمها روحياً سمائياً [127 a] كنعيم الملائكة الروحانيين السمائيين[٣] المستغنين عن لذات الأطعمة والأشربة. أو لعلّ ان ليس لذة للملائكة[٤] كالمتقدم[٥] ذكره.

* * *

[٦ تم وكملت المسألة الست وثلاثون. تم وكمل الكتاب الذي هو كتاب تحقيق الأمانة الارثذكسية. ولربنا المجد دائماً أبدياً امين].

[اذكر يا رب عبدك الخاطي المسكين الغارق في بحار الخطايا والذنوب الذي من كثرة خطاياه لا يستحق أن يذكر اسمه.

اذكر يا رب عبدك الخاطي المسكين الغارق في بحار الخطايا والذنوب الذي لا يستحق أن يذكر اسمه من كثرة خطاياه وذنوبه الذي أكثر من عدد الرمل على شاطي البحر. اغفر له يا رب خطاياه وذنوبه ووالدَيه[٧] ووالدي والديه وأهله واخوته وأبوه في الاعتراف ومعلمه في الله ولجميع أبناء المعمودية أجمعين. ونسأل ونتضرع إلى كل واقفاً عليه ومطالع فيه أن يدعي إلى الله لغفران الذنوب، يغفر له الله ذنوبه أنه على كل شيء قدير وبالاجابة (؟) جدير. والحمد لله رب العالمين[٨]]

---

١. «الاكتسال».

٢. أي ان الله الذي غرث هذه النواقص لأجل التناسل والكسب، سيبطل التناسل والاكتساب والموت ثم يجدد الأبدان على بنية روحانية...

٣. في النص «روحانيين سمائيين».

٤. في النص «للذة الملائكة».

٥. «كا المتقدم» في النص، أي كما تقدم ذكره.

٦. هذه الحاشية هي بخط مختلف، خط من غيّر ترقيم المسائل والصق بالكتاب عنواناً جديداً.

٧. في النص «وولديه».

٨. هذه الحاشية والتي قبلها هما من خط الكاتب نفسه الذي وضع الصفحة الأولى من كِتَاب البُرْهَان وزاد وبدل أرقام المسائل والمقدمات والحواشي في الصفحات...

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ملحق تصحيحي†

وُضع الكتاب تحت الطبع وبيروت تحت النار. فلم نُعطَ، بين هدنة وأخرى، من اطمئنان البال ما يمكننا التدقيق في اصلاح الأخطاء والاستفاضة في الشروح والتعليق على كل الحواشي وذكر مصادر الكتب المقدّسة كل مرّة استشهد بها عمّار البصري.

فقد لزم إذاً أن نستدرك أهم الشوائب في هذا الملحق، مع الإشارة إلى أن المقدّمة الفرنسية هي المعوّل عليها لأنها تعوّض عمَّا ورد في المقدّمة العربية العاجلة من اقتضاب

الصفحة ٢١ ــ السطر ١٧	ــ «الصيح»، والصواب «**الصحيح**».
الصفحة ٣٠ ــ السطر ٢٠	ــ «فاذا»، والصواب «**فاذ**».
الصفحة ٣٧ ــ السطر ٢١	ــ «وضعنا»، والصواب «**وصفنا**».
الصفحة ٣٧ ــ السطر ٢٢	ــ سقط من الطبع في آخر هذه الفقرة مقطع هام هو التالي: **«فايّ هذه الأخبار يقبلها العقل أو يخترعها الرأي أو تقع في الفكر حتى يُتَوهّم ان ذلك سبب قبولها. بل كلها تُستَشنع وتُستَثقل ولا تُعقل. واي شيء أشنع من الدعاء إلى عبادة مصلوب والخضوع للصليب والايمان بواحدٍ ثلثة».**
الصفحة ١٠٠ ــ في اعلاها	ــ «**المسألة الثالثة**».
الصفحة ١٣٧ ــ السطر ١٥ ــ ١٦	ــ كان من اللازم التعليق على أسماء هذه الشعوب:

---

† صُححت الأغلاط في النص.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

* «ابرا»: قد تكون «**ابرو**» يعني «الايبار (Ibēres) أي سكان اسبانيا.
* «**اللاّن**»: شعب يسكن المقلب الشمالي من جبل القوقاز.
* «**جيلان**» (لا «حيلان» كما وردت خطأ في الطبع): منطقة ساحلية جنوبي غربي بحر قزوين.

الصفحة ١٨٥ ــ السطر ٨ ــ «زعتم»، والصواب «**زعمتم**».

الصفحة ١٨٥ ــ السطر ١٠ ــ «أنفسَكم»، والصواب «**انفسُكم**».

الصفحة ٢٤١ ــ السطر ٧ ــ «اعايش»، والصواب «**اعاين**».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

انجزت المطبعة الكاثوليكية في بيروت
طبع كتاب «البرهان» في السادس
والعشرين من شهر نيسان ١٩٧٧

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.